نظام الحيازة

فى المجتمع البدوى

دكتور

فوزى رضوان العربى

مدرس الأنثروبولوجيا التطبيقية

كلية الآداب — جامعة الاسكندرية

١٩٨٠



الهيئة المصرية العامة للكتاب

فرع الاسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

« الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ».

« صدق الله العظيم »

« سورة البقرة »

إهداء

إلى قسم الأنثروبولوجيا

« شكر »

يشكر الباحث كل من ساعده فى جمع بيانات هذا البحث من الأجهزة الرسمية والتنفيذية بمحافظة مطروح وعلى الأخص السيد محافظ مطروح والسيد سكرتير عام المحافظة، والسيد اللواء مدير أمن مطروح والسيد مأمور قسم مطروح والسادة مديرو الشئون الاجتماعية والقوى العاملة ورعاية الشباب والشئون الصحية والتربية والتعليم بالمحافظة، والأستاذ خير الله فضل عطيوه والحاج عوض ختال والحاج عبد اللطيف عبد المالك والعمدة عبد الفتاح عطيوه وعمد ومشايخ قبائل الأفراد والعزايم والقناشات والعشيبات بمطروح والقصر، كما يشكر السادة مدير ومهندسى الجهاز التنفيذى للمشروعات الصحراوية بقطاع مطروح. كما يشكر الباحث أيضا السيد أمين مكتبة كلية الآداب جامعة الاسكندرية والعاملين بالمكتبة على معاونتهم طوال فترة ست سنوات إستغرقتها فى اعداد هذا البحث.

محتويات الكتاب

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

مقدمة

يعرف التملك بأنه « مجموع الحقوق التى يمتلكها الافراد أو الجماعات ، وتختلف أنواع الملكية ليس فقط بالنسبة للمجتمعات المختلفة ، ولكنها تختلف حتى داخل المجتمع الواحد طبقا لطبيعة الملكية الموجودة والحقوق المرتبطة بها ، والقواعد التى تحكم تلك الحقوق ، وأخيراً الافراد والجماعات التى تمارس تلك الحقوق .

وتختلف حقوق الملكية تبعا لنوع الملكية والافراد والجماعات التى تمارس الحقوق وتبعا للجوانب الاقتصادية والمظاهر الدينية والقانونية والسياسية المتعلقة بتلك الحقوق (١) .

ويمكن التعرف على نظام حيازة الارض إذا مادرسنا حقوق الأشخاص والجماعات فى الأرض . وأهم حق أساسى هو حق الإنتفاع بالأرض بطرق متعددة ، والحق فى أخذ نصيب من نتاج الأرض إما مباشرة أوكايجار بدون مشاركة فى العمل . وحقوق أخرى مثل : الحق فى تحويل الملكية ، والحق فى تحويل الأرض (مثل فى حالة البيع أو الهبة) ، والحق فى منح حقوق الانتفاع بالارض للآخرين ، وقد يكون هناك أيضاً حقوق أسمية غامضة والتى بالرغم من كونها تحمل قيمة معينة ، فإنها فى ظل الظروف والأحوال العادية لاتعطى أى ربح مادى للحائز ، ولأغراض التحليل تظهر الحاجة للتعرف على أنماط وأنواع الأرض التى تمارس عليها الحقوق والأشخاص والجماعات التى تملك تلك الحقوق (٢)

---

1 — Notes and queries on Anthropology. *R.* and K. Paul 67. London p, 144.

2 — 3, Ibid, p. 144. p. 154

وقواعد الملكية التى تستخدم فى نوع معين من الارض قد لاتستخدم بالضرورة فى نوع آخر .

بالإضافة إلى أن مساحة معينة من قد تستخدم بطرق مختلفة وفى مناسبات مختلفة فالارض المتروكة للمزارعين قد تترك مرعى للرعاة ، والاشجار المزروعة قد لاتخص الرجل الذى زرع الارض الموجودة عليها الاشجار ، وباختصار فالاشخاص المختلفون قد يكون عندهم حقوق مختلفة على نفس الارض

ويمكن التعرف على الافراد والجماعات التى تمارس حقوقا للملكية وخصائصها إذا ما قمنا بتحليل التنظيم الاجتماعى للمجتمع ، وكل الزمر الاجتماعية ـ بوجه عام تمتلك حقوقا للملكية بشكل أو بآخر . وتمتد خاصية تماسك الجماعة ـ المميزة للقانون البدائى ـ بشكل أو آخر إلى علاقات الملكية . ويرى وليم سيجل WILLIAM SEAGLE فى كتابه The quest for law أن هناك ارتباط كبير بين تماسك الجماعة وبين الفكرة الشيوعية ، وهو يرى أنه بالرغم من أن الشيوعية كانت تتعرض لآراء كثيرة ومتضاربة فى القرن التاسع عشر إلا أنها مازالت ـ حتى يومنا هذا ـ موضوعا لتلك الاراء المتضاربة بين علماء الانثربولوجيا وعلماء الاجتماع ، ولا يمكن قبول الرأى القائل بأن البشرية كانت غارقة فى همجية ممارسة الشيوعية ، لانه إذا استطعنا أن نبرهن على عدم وجود الشيوعية البدائية يصبح حينئذ معنى الملكية الخاصة جزء من طبيعة الانسان الخالدة التى هى أساس لكل القواعد القانونية والاجتماعية .

غير أن الجدل المتواصل فى ذلك لم يكن له هدف ، ولو توصلنا إلى أنه كانت هناك مرحلة فى تاريخ البشرية ساد فيها النظام الشيوعى فلن يهمنا على الاطلاق إن كان للنظام الشيوعى سوابق أم لا . ومن الواضح أنه لايمكن التدليل على

وجود نظام شيوعى بدائى من عدمه من الناحية النظرية ، فإذا كان لابد من رفض النظرية القائلة بوجود النظام الشيوعى بين الشعوب البدائية فمن العدل أن « اللاملكية » كمرحلة أولى سابقة تطورت تدريجيا إلى نظام الملكية الشائع. انظر :

WILLIAM SEAGLE, The quest for low. ALFRED A. KNOPE. NEWYORK. 1941 p. 50

وتنبثق من حق الملكية سلطات كبرى انتقلت الان من المالك إلى غيره ، لكنها مازالت سلطات مشتقه من « الملكية » ، وبينما لم تعد هناك ضرورة لان تتجه مطالب المجتمع فى تقييد سلطة ذوى النفوذ تجاه المالك الشرعى إلا أنه لا تزال هناك حاجة كبيرة تجاه وضع القيود الإجتماعية على الملكية الخاصة .

وهناك قيود كثيرة على الاستمتاع بالملكية وحرية التصرف فيها ، وهى قيود تقوم على الحد من الامتيازات التى تتوفر للملاك فى التصرف فى الملكية ، وقيود أخرى على سلطة الفرد فى استخدام سيطرته على الملكية كقوة آمرة ووسيلة للسيطرة من جانبه على مصادر الدولة . بل وحتى فى الدول الرأسمالية يوجد كثير من القيود القانونية على الملكية الخاصة وقد أصبحت هذه الالتزامات الاجتماعية هى الثمن الذى يدفعه الافراد لاستمرار سيطرتهم على المصادر الانتاجية فى الدول الرأسمالية . ومن بين القيود التى تلجأ لها الدول الرأسمالية فى الحد من سيطرة الافراد على الملكية الخاصة فرض الضرائب التصاعدية بهدف تقليل فرصة عدم التكافؤ فى الحصول على السلع ، إلا أن تلك الضرائب إذا زادت عن حد معين فإنها ربما تؤدى إلى التأثير على مسار الصناعة والأعمال التجارية (١) .

---

1 – WOLFGANG FREEDMAN : Law in achanging society. Pengnuin books. Second edition by STEVENS and sons. England. 1972. p, 103.

ونتيجة للقيود الكثيرة التى فرضتها الاتجاهات الجديدة على حقوق الملكية المطلقة فى القانونين العام والخاص . نادى كثير من المحافظين وفلاسفة الملكية بهدم توارث الملكيات وضرورة الالتزام بالمصلحة العامة وتحديد حرية صاحب العمل فى العقود والضرائب .

والملكية ليست فقط « حيازة للاشياء » والتحكم فيها لكنها تمتد إلى مجال المصالح الاقتصادية ، واليوم تنتشر فكرة حماية حق الملكية على المجتمع كله كوحدة بينما كان الامر يتعلق فى الماضى بطبقة محددة جدا من ملاك الارض أو السلع التجارية ، والقانون يعطى هذه الحماية الآن على حساب الاحتياجات الاساسية وحرية بقية أعضاء المجتمع ، وقد أعادت فكرة الملكية العامة الآن لوسائل الانتاج التوازن بين مصالح المجتمع وبين الملكية الفردية وأصبح على الاقطاعيين قيود فى استخدام ثرواتهم أكثر من ذى قبل ، ولكن من حق الفرد العادى أن يتصرف فى مدخرات محدودة ويعتمد أساساً فى قيام حياته وحياة أسرته على قدرته على العمل والتجارة وعلى الاستمتاع بالنذر القليل فى أدنى مستوى للحياة (١) .

ومن الحق أن نقول أن الملكية الخاصة هى شرط أساس من شروط حرية الانسان (٢) وتعتبر فكرة الملكية ـ فى معناها البسيط المستمد من الواقع اختصاص الشخص بشىء من الاشياء اختصاصا يكفل له السيطرة على

1 — Ibid, p. 117

2 — Ibid, p. 118

منافعه وكيانه (١) .

وحق الانتفاع حق عينى يخول لشخص معين الحصول على منفعة شىء أو حق للغير ينشأ بتصرف قانونى، كالعقد أو الوصية . أو بواقعة قانونية ، كالشفعة أو الحيازة ولكن أيا ما كانت طريقة اكتساب الانتفاع فهو حق مؤقت، مآله إلى الإنقضاء ، بحث تعود المنفعة لمالك الرقبة له كل عناصر الملكية من جديد .

وحق المنتفع حق عينى لأنه يرد مباشرة على الشىء . والمنتفع باعتباره صاحب حق ولكنه لايستطيع التصرف فى الشىء ذاته ، إذ أن حقه قاصر على المنفعة فقط (٢) .

ويمكن أن نفرق بين الانواع التالية لحقوق الملكية فى المجتمعات :

أ) حقوق الانتفاع

ب) حق الآخرين فى الرقابة على الانتفاع .

ج) حقوق التصرف فى الملكية .

د) حق الحصول على دخل أو منافع أخرى من استخدام الآخرين للملكية

هـ) حق الملكية الاسمى بدون الحصول على منافع أخرى فيها .

ونظرا للدور الذى تلعبه فكرة الحيازة والملكية فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى كثير من المجتمعات فقد اهتمت الدراسات الانثربولوجية بنظم الملكية اهتماما كبيرا ومن أمثلة تلك الدراسات ، الدراسات التى قام بها س.ك .

١ ـ دكتور مصطفى الجمال : « نظام الملكية » مضامينها وأوصافها . المكتب المصرى الحديث للطباعة والنشر ص ٢٩ .

٢ ـ المرجع السابق ص ٨٥ .

ميك C.K. Meek عن قانون الأرض ونظم الحيازة فى المجتمعات الأفـريقية وعرضها فى كتبه مثل كتاب Land LaW and custom in thecolonies والذى نشرته O.U.P .

عام ١٩٤٩ وفيه عرض لأهمية الأنساق الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فى حيازة الأرض والعوامل التى تحدد أسس الحيازة فى المجتمعات الافريقية من سياسية وإقتصادية وقانونية وبيئية وأنواع الأنساق الوطنية لحيازة الارض فى تلك المجتمعات وأنواع الحقوق التى تمـارس على نظم الحيازة والاشكال المختلفة للحيازة كما تحتل دراسة نظم الحيازة مركزا رئيسيا فى كثير مـــن الدراسات الانثربولوجية مثل دراسة لويس مورجان MORGAN عن المجتمع القـديم Ancient society 1877 والذى خصص فيه الفصلين الأخيرين فى كتابه للحديث عن نظم الملكية والحيازة والمراحل التطورية لتلك النظم ، ودراسة روبرت لوى R. LOWIE عن المجتمع البدائى primitive Society ، وقـد خصص الفصل التاسع من هذا الكتاب للحديث عن الملكية Property التى اعتبرها تصبغ كل مظاهر الحياة الاجتماعية وتحدث عن الملكية الفـردية والفرق بينها وبين الملكية الجماعية كما عرض لنظم الحيازة المختلفة فى المجتمعات الرعـوية والزراعية (p.p. 195 - 244) والدراسة الاقتصادية لقبيلة البمبا فى أفـريقيا والتى قامت بها أودرى ريتشاردز

AUDRY RICHARDS·1651 Land law aud diet in nor.Rhodesia

وتعرضت فى جانب كبير من تلك الدراسة الاقتصادية لنظم حيازة الارض لدى قبائل البمبا وأنواع الاراضى والحقوق التى تمارس عليها وعـلاقة التنظيم السياسى بأنساق الحيازة والقواعد التى تحكم نظم الحيازة Teunre ودراسة بارت BARTH عن بدو جنوب ايران والتى عرض فيهـــا لنظام الحيازة لدى قبيلة

البصريين بجنوب ايران ووحداتهم المعيشية وعلاقة ذلك بالزعامة التقليدية.

وملكية الأرض من أصعب أنماط الملكية بالنسبة للدراسة الانثربولوجية والاجتماعية وفى الوقت ذاته أكثرها أهمية وخطرا . ذلك أن دراسـة الملكية تثير مشاكل إدارية وقانونية واقتصادية متعددة ، كما أن نظام الملكية يتداخل ويتشابك مع غيره من النظم الاجتماعية داخل المجتمع الواحد، كذلك تتعـدد نظم الحيازة داخل المجتمع الواحد من حيازات فردية إلى حيازات أسرية وجماعية إلى حيازات حكومية .

وبالرغم من أن نظام حيازة الأرض يمكن دراسته من عدة نواحى اقتصادية وبيئية وقرابية وقانونية ودينية ، إلا أنه فى المحل الأول نظام اقتصادى سواء أكانت الحيازة أراضى مرعى أو أراضى زراعية أو حتى أراضى تقام عليها مبان أو مساكن وما يرتبط بذلك من تعدد حقوق الملكية . ومبدأ الملكية وحق الانتفاع بالأرض والعلاقة بين التوزيع الإقليمى والتقسيم القبلى ، والطريقة التى بواسطتها تقسم الأرض بين الأفراد ودرجة تحديد الحيـــازات الفردية وتعدد أشكال الحيازة ، وطرق تحويل الأرض سواء بالبيع أو الرهن أوالهبة أو القرض أو الترك الخ .

وقد بدأت الدراسات الانثربولوجية فى السنين الأخيرة تهتم على الخصوص بالدراسات الاقتصادية أكثر مما كانت تفعل من قبل مثل علماء الانثربولوجيا الذين ينتمون إلى مدرسة لندن فى الإقتصاديات ، وأهم هؤلاء العلماء هو ريموند فيرث . ويهتم ريموند فيرث فى دراساته بالنظام الاقتصادى بمعنى أنه يعطينا صورة عامة شاملة عن المجتمع الذى يدرسه وبعد ذلك يعكف على دراسة النظـام الاقتصـادى بكل تفاصيله وبـكل دقائقه ويغفل فى سبيل ذلك بقيـة

النظم الاجتماعية الأخرى ، مثل الدراسات التى أجراها على صيادى الملايو MALAY fishermen الذى درس فيه حياة الصيادين فى شبه جزيرة الملايو من الناحية الاقتصادية البحتة وبين إلى أى حد يؤثر الاقتصاد الذى يعتمد فى المحل الأول على صيد الاسماك فى حياتهم وفى علاقاتهم بعضهم ببعض ، والكتاب يهتم باقتصاديات مجتمع واحد يعيش على الصيد وبالرغم من أن الدراسة تقوم على الملاحظة وتتعلق بمجتمع صغير ومحدد وبناؤه الاجتماعى بسيط إلا أنها اهتمت بدراسة نظام اجتماعى واحد وفضلته عن بقية النظم الأخرى (١) .

ولا تزال الأرض - من الناحية الاقتصادية - هى إحدى الأشكال الرئيسية لرأس المال (إلى جانب الماشية) واستثمار الأرض يعتبر وسيلة أساسية للمعيشة (٢) .

وتعتبر دراسة الحياة الاقتصادية ركنا هاما وأساسيا فى الدراسات الأنثروبولوجية فالاقتصاد مصدر التغيرات الهائلة التى تطرأ على بناء المجتمع ، كما أن النسق الاقتصادى أكثر ديناميكية من بقية الأنساق الاجتماعية التى يتألف منها البناء الاجتماعى (٣) .

---

1 — RAYMOND FIRTH, Malay fishermen: their Peasant economy (LONDON, KEGAN PAUL) 1946.

(٢) ذكر لى أحد الأخباريين أثناء زيارتى لمطروح فى أواخر ديسمبر ١٩٧١ ، أن الأرض بالنسبة للبدوى هى كالروح بالنسبة للجسد ، وذلك للدلالة على على قوة العاطفة البدوية وارتباطها بالأرض .

(٣) يهتم علماء الاقتصاد بدراسة أنواع وكميات السلع المنتجة وكيفية توزيعها أى انتقالها من شخص لآخر ، أو من إقليم لآخر وطريقة استخدامها والإفادة =

إلا أن الوحدة الاقتصادية ليست مجرد وحدة اقتصادية خالصة ، وإنما هى فى الأصل وحدة اجتماعية تستند عضويتها إلى مجموعة من العلاقات القائمة أصلا بين الأشخاص وهذه العلاقات إما أن تكون علاقات قرابية أو إقليمية أو سياسية أو دينية والوحدة الاقتصادية سواء كانت جماعة قرابية أو جماعة إقليمية هى فى الأصل جماعة متعاونة متماسكة تشارك فى جميع المناشط الاجتماعية بصورة جماعية والنشاط الاقتصادى هو أحد أوجه نشاطها وعلى ذلك يخضع النشاط الاقتصادى لكثير من الضوابط الاجتماعية التى تفرضها طبيعة العلاقات الاجتماعية لأن الأفراد يؤدون مختلف الأنشطة خاضعين لمختلف القواعد المحددة للنشاط المشترك الاقتصادى والسياسى والدينى لذلك لاتنفصل العلاقات الاقتصادية عن العلاقات

= منها ولكن الجهاز الاقتصادى لمجتمع من المجتمعات لا يمكن فهمه إلا إذا درسناه فى علاقته بالبناء الاجتماعى فتبادل السلع والخدمات إنما يعتمد على بناء معين ينتج فيه ، كما أنه يؤدى فى الوقت نفسه إلى حفظ ذلك البناء باعتباره شبكة من العلاقات التى تقوم بين الأشخاص والجماعات . فالنسق الاقتصادى يدرس على أنه مجموعة من العلاقات التى تقوم بين الأشخاص والجماعات والتى تساعد على استمرار تبادل هذه السلع والخدمات ، وفى الوقت نفسه يستمد هو وجوده من تلك السلع والخدمات ذاتها . ومن هذه الناحية الأخيرة نجد أن الحياة الاقتصادية للمجتمعات تحتل مكانها كجزء من الدراسة العامة للبناء الاجتماعى . ومن العبث الذى لا طائل تحته محاولة عزل أى نظام اجتماعى ودراسته على حدة بعيداً عن بقية البناء الاجتماعى . أنظر رادكليف براون : « فى البناء الاجتماعى » ترجمة عبد الحميد الزين ومراجعة الدكتور / أحمد أبو زيد . مجلة مطالعات فى العلوم الاجتماعية سنة ١٩٦٠ ، وأنظر أيضا : دكتور أحمد أبو زيد : الطريقة الانثروبولوجية لدراسة المجتمع . مجلة كلية الآداب . المجلد العاشر سنة ١٩٥٦ .

الاجتماعية إذ أنها أحد أوجه أو مظاهر هذه العلاقات (١) وتعمل فى الوقت ذاته على تدعيم وتقوية هذه العلاقات واستمرارها وهـذا ما يجعل المجتمع التقليدى متميزاً بالتضامن القوى والتكامل الشديد بين مختلف مناشطه الاجتماعية بحيث يصعب التمييز بينها (٢) .

وقد قامت محاولات فى القرن التاسع عشر للاهتمام بالنظم الاقتصادية فى الدراسات الأنثربولوجية والاجتماعية ، إلا أن معظم العلماء الذين قاموا بتلك المحاولات كانوا يتجهون فى كتاباتهم اتجاها تطوريا ، فهم لم يكونوا يحاولون تحليل النظم الاقتصادية وإنما يحاولون معرفة المراحل الاقتصادية التى مر بها العالم الانسانى (٣) .

ويمكن دراسة نظام الحيازة من ناحية العـــلاقات القرابية ، فالقرابة فى المجتمعـات التقليدية هى أحد العوامل الهامة التى تنظم سـلوك الأفراد فيما بينهم

---

1 — FIRTH;R., Elements of social organisatmon, WATES, London. p. 136.

2 — Ibid. p.p :46 - 47

٣ - حاول هؤلاء العلماء أن يردوا الحالة الاقتصادية إلى عـدد من المراحل وكانوا يرون أن الاقتصاد مر بمرحلة يعتمد الإنسان فيها على الصيد ثم مرحلة الرعى ثم مرحلة الحياة المستقرة التى تعتمد على الزراعة ، ومن أشهر هؤلاء العلماء العالم الأمريكى لويس مورجان LEWIS MORGAN الذى قسم لنا المراحل الاقتصادية فى كتابه Ancient society إلى مراحل =

بحيث يمكن تكوين أنماط محددة من السلوك تشير إلى كل علاقة قرابية (١) .

وقد يستند النسق السياسى فى المجتمعات التقليدية على الروابط القرابية فى تلك المجتمعات بحيث تتكون الوحدة السياسية من جميع الأشخاص المكونين للزمرة الاجتماعية مهما كان عددهم وتربط هؤلاء الأشخـاص العلاقات القرابية وبحيث يكون البناء السياسى والتنظيم القرابى متطابقين تماما .

فالعلاقات القرابية تؤثر فى نظام الحيازة من ناحية أثرها فى تفتيت الملكيات وتطبيق قواعد معينة لوراثة الأرض وسواء أكانت الأرض هى التى تورث أم أن الذى يورث هو حق الانتفاع بما على الأرض فقط من محصول .

= هى التوحش Savagary والتبربر Barbarism ثم قسم كل مرحلة منها أو مراحل ثلاث هى الدنيا والوسطى والعليا . وأخيرا وصلت الإنسانية إلى مرحلة الحضارة الصحيحة التى تمتاز باكتشاف حروف الهجاء والكتابة والتى تمتد حتى العصر الحالى أنظر : MORGAN, H.L., Ancient society Chicago. C.H. KERR, 1877. p. 12,

والواقع أن جهل علماء الاقتصاد بطبيعة الظاهرات الاجتماعية البدائية يظهر فى أن كثيرا من هؤلاء الاقتصاديين لم يكن لهم معرفة بهذه المجتمعات البدائية ولم يحاولوا أن يفهموا أو يفسروا ظاهرات هذه المجتمعات ، وهذا يظهر على وجه الخصوص فى الأحكام التى يصدرونها على هذه المجتمعات .

أنظر المرجع السابق لمورجان من صفحة ١٩ - ٢٨ س للتعرف على المراحل المختلفـة الخمسة لطرق المعيشة عنده والتى تتدرج من طريقـة المعيشة الطبيعية عن طريق الجمع والالتقاط إلى أن تصل إلى المرحلة الخامسة والأخيرة وهى مرحلة الزراعة .

1 — EVANS-PRIECHARD. E. E. and RORTES, African - Political systems, O. U.P. 1955, p. 29.

كذلك تتعرض أى دراسة لحيازة الأرض فى مجتمع من المجتمعات إلى وسائل الضبط التى تمارسها السلطات المحلية على الانتفاع بالأرض ، والقوة التى تجعل تلك الوسائل أكثر فعالية (١) .

والحيازة الأرض جانب قانونى معين ، كما أن هناك مشاكل حول الأرض تستدعى التعرض للقانون العرفى وبخاصة فى المجتمعات التقليدية ، وكيفية حل منازعات الأرض سواء بالطرق الرسمية أو غير الرسمية ، والمجالس العرفية التى تبت فى منازعات الأرض وكيفية تشكيلها، وكيف تحل القبائل الصراعات التى قد تنشب بينها نتيجة النزاع على قطع من الأرض ، ودور القانون العرفى السائد فى حل تلك المنازعات .

كذلك تتعرض أى دراسة لحيازة الأرض لنظام الوراثة السائد فى المجتمع وكيفية تقسيم الأرض بين الورثة ، ونصيب كل وارث من نتاج الأرض، وقواعد التقسيم وهل التقسيم يشمل جميع الأبناء على قدم المساواة أم أن هناك اختلافات فى القسمة كذلك هل يشمل التقسيم الورثة من الجنسين أم يقتصر على جنس دون الآخر .

فالاتجاه الأقرب إلى فهمنا هو دراسة المجتمع دراسة تكاملية تعرض لكل البناء الإجتماعى ولكن مع ذلك تعالج هذه المسائل من زاوية اقتصادية .

مثال ذلك الدراسة التى قام بها هنتنجفورد Huntingford فى كتابه عن عمل وثقافة الناندى Nandi work and culture وقد أتبع هنتنجفورد فى

---

1 — L.T. CHUbb, IBO land tenure, IBADAN university press 1961. Introduction

دراسته للناندى المنهج التكاملى ، وأعطانا فى كتابه هذا فكرة عميقة عن كل النظم الاجتماعية التى توجد فى ذلك المجتمع البدائى وعلى ضوء هذه النظم الاجتماعية يدرس لنا النظام الاقتصادى ويربطه ببقية النظام الاجتماعى السائد فى المجتمع وشعب الناندى يسكن منطقة كينيا فى شرق أفريقية ويمهد هنتنجفورد لدراسته لهذا الشعب بأن يعطينا تلخيصا سريعاً عن أصل القبيلة وتاريخها وكيف نزحت إلى شرق افريقيا وكيف نشأت ، ثم بعد ذلك ينتقل إلى الكلام عن النظام السياسى ، ثم يتكلم بعد ذلك عن التوزيع الإقليمى أو التوزيع الجغرافى فى بلاد الناندى ، ويصف لنا علاقاتهم السياسية والاجتماعية واللغوية مع القبائل الأخرى التى تسكن فى نفس المنطقة أو المناطق المحيطة بهم ، وكيف أن هذه العلاقات تنعكس وتتبلور فى صلات قرابة أو صلات عداوة أو صلات صداقة وكيف أنها تكون مبعثا للحروب الكثيرة التى تنشأ بين الناندى وبين هذه القبائل . ويساعد على التماسك الاجتماعى فى ذلك المجتمع عاملان أولهما قواعد السلوك المتعارف عليها والتى أنحدرت من الاجيال السابقة مثل العرف والتقاليد والسلوك المتوارث والثانى هو تجمع الناندى وتنظيمهم بحسب أعمارهم أو ما يعرف باسم «نظام طبقات العمر» Age - set system ويتكلم هنتنجفورد بعد ذلك عن النظم الإقتصادية السائدة فى مجتمع الناندى فيتكلم عن طبيعة الأرض وملامحها العامة ونجد أن بلاد الناندى تلائم كل الملاءمة الزراعة والرعى على السواء ، ويشتغل الناندى بالزراعة المتنقلة ورعى الماشية إلا أن حياتهم تقوم فى الأساس على الرعى وتربية الماشية .

وموضوع هذا الكتاب هو : « نظام حيازة الأرض، وأثره فى النظم الاجتماعية التقليدية لبدو محافظة مطروح » - دراسة فى الأنثروبولوجيا الاجتماعية .

وتظهر أهمية دراسة موضوع حيازة الأرض فى المناطق الصحراوية إذا ما

عرفنا أن حوالى ٩٦،٥ ٪ من مساحة جمهورية مصر العربية أما صحراء جافة أو شبه جافة (١) .

وتمتد الصحراء الغربية من البحر الأبيض المتوسط شمالا ، والنيل شرقا ، وحدود ليبيا غرباً .

ولا تقتصر تلك المساحات الصحراوية الشاسعة على مصر وحدها ، بل أنها تمتد لتشمل العالم العربى كله ، فهو يحتوى على أمتداد صحراوى على وجه الكرة الارضية يبدأ من جبال إيران شرقا وينتهى عند سواحل المحيط الاطلسى غربا .

وتتميز المنطقة العربية عن جميع مناطق العالم بكونها قد جمعت منابع البداوة والحضارة بشكل خاص وعلى نطاق واسع جداً . ولهذا صح القول بأن المجتمع العربى هو أكثر المجتمعات فى العالم معاناه بين البداوة والحضارة وتأثرا بها (٢).

والبداوة Nomadism طريقة للحياة للذين لا يقيمون فى مكان واحد ولكنهم يتحركون حركات دائرية ودورية . كما أنها تختلف من الهجرة «فالهجرة غير دورية وتتطلب تغييراً كليا فى نمط المعيشة، بينما البداوة لا تستخدم التجول الغير مباشر أو الغير محدد ولكن يتجمع أفرادها فى مراكز مؤقتة تعتمد

---

١ ـ دكتور / أحمد أبو زيد : «قابيل وهابيل» قصة الصراع بين البداوة والحضارة فى العالم العربى فصلة من العدد الأول من مجلة معهد البحوث والدراسات العربية العالية مارس سنة ١٩٦٩ ص ٤٠٥

٢ ـ دكتور على الوردى : دراسة فى طبيعه المجتمع العراقى . محاولة تمهيديه لدراسه المجتمع العربى الأكبر فى ضوء علم الإجتماع الحديث . مطبعه العانى بغداد ١٩٦٥ ص ١٠

الاقامة فيها على توافر الطعام وتكنولوجية أستخدامه . ويعطى لنا مصطلح «بدوى» Nomad ثلاثة أشكال عامة : الصيادين وجامعى الطعام من البدو ، والرعاة من البدو وتجار البدو . (١)

وبالرغم من أن الصيد وجمع الطعام يشترطان درجة من البداوة ، إلا أنها قد لا تزيدان عن مجرد تحركات - مثل الذى بين بعض البوشمان - من يومية إلى شهرية أو زراعية شبه متنقلة سنوية ، وقد يكون السكان أكثر أو أقل استقراراً فى المناطق التى تتوفر فيها المصادر أو توجدبها تسهيلات فى توفير الطعام وينتظم جامعوا الطعام والصيادون من البدو فى جماعات صغيرة منعزلة تتحرك فى مناطق محددة حيث يعرفون مصادر المياه ومواقع النباتات .

والبداوة ظاهرة سائدة فى المجتمع العربى ، وما يزال تأثير البداوة على قيم مجتمعنا كبيراً ، وهى - منظور اليها فى الاطار القومى - تمثل مشكلة عصيبة سواء من حيث التكامل القومى ، أم من حيث خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية التى تأخذ بها الحكومات العربية أنفسها .

وماتزال الدراسات المنهجية فى المجتمع البدوى فى مراحلها الأولى ومع ما للبداوة العربية من تأثير فكرى واجتماعى ضخم فى تراثنا كتاريخ ، ومع مالها فى حياتنا المعاصرة من تأثير اقتصادى وسياسى كبير ، فإن الباحثين العرب لم يكادوا يلتفتون اليها ، ولم يولوها ماتستحق من عناية .

فالبداوة العربية فى إطارها الاقتصادى والاجتماعى كقضية من قضايا التنمية موضوع حيوى يفرض نفسه على المستوى الأقليمى للمجتمع العربى ، وهى فى

---

1 — The new encyclopaedia BRITANNICA, Vol. VII, 15 th. edition H. HEMINGWAY Pub. 1974. p. 378.

اطارها الفكرى ، كقضية من قضايا البحث والتحليل والفهم ، ميدان بكر على الدارسين العرب أن يقوموا له (١) .

ومن الحق أن نكرر أنه فى الوقت الذى نرى فيه البداوة العربية ، كـكل بداوة فى العالم المعاصر ، تتغير ، وأن هذا التغير أدى إلى اعتبار البداوة مشكلة قومية ، ان البداوة المتغيرة نفسها جزء من مجتمعات قومية تتغير هى أيضاً ، وأن وضع تلك المجتمعات بالنسبة إلى تيار التقدم العالمى يشبه إلى حد ما وضع البدو أنفسهم بالنسبة لها ، وهذا مما يعقد الأمر بعض الشىء ، من حيث أن الامكانيات المادية والفنية والتى تمتلكها تلك المجتمعات القومية تقصر فى كثير من الحالات عن مواجهة مشكلة البداوة مواجهة كاملة .

ومن هنا يجب أن نخطط الخدمات لفترة الانتقال البدوى . وفترة الانتقال هذه تبدأ دون تخطيط للتوطين ، فهى تبدأ منذ يتعرض البدو لعوامل التغيير وهى غير فترة الانتقال المحددة التى يمر فيها المجتمع البدوى الذى يتعرض لمشروع تخطيط التوطين ، بل هى أكثر خطورة لأن البدوى فى فترة الانتقال يتعرض للتدريب و التوجيه ، وتتولى المؤسسات الاجتماعية قيادته ، ويتناول الخدمات المقننة المرسومة ، ولكن فترة الانتقال التلقائية المطلقة التى تتم بعيداً عن الرقابة ، هى التى ينبغى أن يوجه لها العناية بخدمات مخططه تنتهى بمشروع التوطين المتكامل .

والبداوة - حتى فى أوج تقدمها وانتصارها - تقف عقبة فى سبيل ازدهار

١ - دكتور / محى الدين صابر ، دكتور / لويس كامل مليكة : البدو والبداوة مفاهيم ومناهج . سلسلة دراسات وبحوث البداوة والمجتمعات المستحدثة مركز تنمية المجتمع فى العالم العربى . سرس الليان سنة ١٩٦٦ . المقدمه .

وتقدم المجتمع الانسانى وتمادى فى ذلك الازدهار والتقدم . وعلى ذلك لا يمكن بحال مقارنة البداوة والنجعة بالحضارة والاستقرار .

والعالم العربى يعتبر من أفضل المناطق فى العالم لدراسة هذه الظاهرة المعقدة المتشابكة - ظاهرة الصراع بين البداوة والحضارة - التى تتمثل من ناحية فى زحف الرمال الدائم وتهديدها للارض الخصبة واعتزاز البدو بحياتهم الحرة الطليقة فى الصحراء ، ومن ناحية أخرى فى الجهود البشرية الشاقة التى تحاول - ليس فقط انقاذ الأرض الطيبة من الجدب والجفاف - بل وأيضاً تحويل الصحراء ذاتها الى أرض زراعية خصبة وتغيير نمط العمران البدوى من أساسه .

ووجود مساحات شاسعة من الاراضى الصحراوية فى الدول العربية يقدم بغير شك كثيراً من التحديات لهذه الدول التى تعتقد أن من أهم واجباتها أن تعمل على الاستفاده من تلك الاراضى بطريقة أفضل وأجدى ولو أدى ذلك الى القضاء تماماً على نمط الحياة البدوية . (١)

وتتميز البداوة ليس فقط بالحياة الجافة القاسية فى الصحراء بل وأيضاً بالحرمان من معظم مظاهر الحياة الكريمة التى تقدمها المدنية الحديثة والتى تتمثل بوجه خاص فى شتى أنواع الخدمات الاجتماعية والصحية والتعليمية التى تهدف فى آخر الأمر إلى تسهيل الحياه والمحافظة على كرامة الفرد وانسانيته - فتوفير هذه الخدمات يحتاج بالضرورة إلى درجة معينة من الحضارة والاستقرار . وعلى

١ - معهد البحوث والدراسات العربية . دكتور / أحمد أبو زيد : « قابيل وهابيل » قصة الصراع بين الحضارة والبداوة فى العلم العربى . العدد الأول من مجلة المعهد . مارس ١٩٦٤ . ص ٤٠٤ : ص ٤١٢

الرغم من الجهود المضنية التى تبذلها الدول العربية لتوفير هذه الخدمات للبدو الرحل فقد فشلت حتى الآن فى تحقيق معظم هذه الأهداف المنشــودة نظراً لسرعة تحرك هــذه القبائل وانتقالها من مكان لآخر وتبعثرها فى شكل جماعات صغيرة متباعدة .

ومــع أنه لاتوجد أية أحصائيات دقيقة عن الحالة الصحية مثلا بين هذه الجماعات فإنه يمكن القول أن كثيراً من الأمراض الخطرة كالسل والأمراض التناسلية تنتشر بصورة رهيبة بينهم كنتيجة مباشرة لعدم أحكام الرقابة الصحية الدقيقة عليهم وصعوبة تقديم العلاج فى الوقت المناسب . والأدهى من ذلك أن هذه الأمراض قد تنتشر بسرعة خارج حدود المناطق القبلية وتمتد إلى غير البدو من السكان نتيجة لإنتقالهم من مكان لآخر و نزوحهم إلى المناطق الريفية وا لحضرية فى سنوات الجدب . (١)

---

١ - يتضح من البيانات الصحية التى جمعها الباحث من مديرية الشئون الصحية بمطروح أن جملة المواليد المقيدين بسجلات المديرية عام ١٩٧٢ بلغت ٣٠٥١ طفل ، وجملة الوفيات فى نفس العام بلغت ١٠٣٢ وقد كان عدد الوحدات العلاجية عام ١٩٦٧ هو أربعة فقط : وبلغ عددها عام ١٩٧٢ خمس وحدات كما يوجد بمطروح سبعة أطباء خصوصيين وسبعة عيادات خاصة . وبلغ عدد العمليات الجراحية التى أجريت بمستشفى مطــروح العام فى نهاية عام ١٩٧١ (٦٩٧) عملية جراحية كبرى ، (٣٥٢) عملية جراحية صغرى ، كما بلغ عدد سيارات الاسعاف فى نهاية ١٩٧١ (٢٨) عربة قامت بعدد (٣٦٠٠) حالة اسعاف خلال نفس السنة ، وبلغ عدد المترددين داخليا على مستشفى مطروح العام عام ١٩٧١ عدد (١١٤٩) مريض ، والمترددين خارجيا عدد (٣٦٠٨٤) وبلغ عدد الأسرة فى نفس السنة بالمستشفى (٣٥) سرير وعدد الأطباء بالمستشفى =

كل هذه الأسباب تبرر بغير شك الاحساس القوى المتزايد بضرورة القضاء على البداوة ليس فقط باعتبارها مظهراً من مظاهر التخلف الاقتصادى والاجتماعى بل وأيضاً باعتبارها نمطاً اجتماعياً يرتكز فى أساسه على التنظيم القبلى الذى يتعارض مع القومية وفكرة المجتمع القومى . (١)

ويصعب تسجيل الوفيات والمواليد بسبب كثرة التنقل عبر الصحراء من مكان لآخر ، وبعد أماكن إقامة البدو عن مكاتب الصحة الحكومية التى تتم فيها مثل هــذه الاجراءات ، كما يشكل الترحال عقبة أمام مصلحة الإحصاء والتعداد حيث يصعب إجراء تعداد دقيق لهم ، فغالباً ما يحدث أن يقيد البدوى مرتين أو أكثر فى ذلك الحصر حيث يتواجد فى أماكن متعددة أثناء عملية الحصر والتعداد . (٢)

ويهاجر البدو الرعاة - الذين يعتمدون على الحيوانات المستأنسة - إلى مناطق معينة حيث يجدون مرعى لحيواناتهم . ومعظم جماعات هذا النوع لها مناطق تجمع تشغلها لفترات معينة من السنة ، وقد يعتمد الرعاة كلية على حيواناتهم

=(١٨) وعدد الممرضات والحكيمات (١٧) وبلغت نسبة من يخدمهم الطبيب الواحد من المرضى (٢٠٦٨) ، ونسبة من تخدمهم الممرضة (٢١٨١) ونسبة من يخدم السرير من المرضى (١٠٦٣) خلال نفس السنة .

١ - دكتور أحمد أبو زيد : قابيل وهابيل ، المرجع السابق ص ٤١٣ .

٢ - أدى تنقل البدو إلى عدم تمكنهم من الحاق أولادهم بالمدارس ، حيث تقوم الأسر البدوية بمصاحبة أولادهم فى مواسم الهجرة والرعى، كذلك تمنعهم الأسر من الذهاب إلى المدارس فى مواسم الزراعة لمساعدة تلك الأسر فى القيام بالأعمال الزراعية .

أو قد يمارسون الصيد أو بعض الزراعة أو يتاجرون مع المزارعين بالحبوب والبضائع الأخرى . وبعض الجماعات شبه البدوية فى جنوب غرب آسيا وشمال أفريقيا تقوم بزراعة المحاصيل بين فترات الهجرات الموسمية . وتعتمد أكثر الجهات الرعوية على نوع الحيوانات والطبوغرافيا والبيئة الملائمة . (١)

ولقد اندمجت بعض الجماعات البدوية فى المجتمعات الأكبر ، ولكنها بالرغم من هذا الاندماج تمسكت بطريقتها الخاصة بالحياة وتلك الجماعات تشمل البدو من التجار الذين يصنعون أو يبيعون بعض المنتجات البسيطة ويصطادون أو يعملون كعمال أجراء ،

ويعد بعض المزارعين بدواً لأنهم يغيرون معيشتهم لكى يجدوا مناطق جديدة يجمعون فيها محاصيلهم وغالباً مـــا يزاوجون بين الزراعة والصيد وجمع الطعام . (٢)

ولقد بدأت البداوة فى الزوال فى القرن العشرين لأسباب اقتصادية وسياسية تتضمن انتشار الزراعة الجماعية المنظمة ، ونمو الزراعة والسياسات الحكومية التى تعارض البداوة لتناقضها مع الحياة الحديثة .

وسوف يتحقق البحث من الفرض التالى :

« إن نظام حيازة الأرض لدى بدو مطروح يرتبط ارتباطاً قوياً بتقسيماتهم القرابية بحيث يشير أى توزيع لمساحات من الأرض إلى علاقة قرابية . »

---

1 — Ibid, p. 379.

2 — Ibid, p, 379

ومن أهم مناطق الصحراء بمصر العامرة بالسكان منطقة الساحل الشمالى الغربى من الصحراء الغربية التى تمتد من الاسكندرية شرقاً حتى السلوم غرباً . وترجع تلك الأهمية إلى أن تلك المنطقة يوجد بها كثير من الآبار الجوفية التى تصلح لزراعة كثير من أشجار الفواكه والنخيل وكذلك مياه الأمطار التى تقوم عليها زراعة الشعير الأمر الذى أدى إلى كثرة السكان نسبياً بها عن غيرها من المناطق الصحراوية الجنوبية البعيدة عن شاطىء البحر والتى يقل فيها المطر وإلى قيام الدولة بكثير من مشروعات الاستيطان فى تلك المنطقة .

المجتمع موضوع البحث

شملت الدراسة منطقة مطروح وتركزت فى عزبة الأفراد بمدينة مطروح، وأرض العشيبات والجميعات بالقصر (وهى أحدى ضواحى مطروح) . حتى يمكن ملاحظة العلاقة بين التوزيعات الاقليمية والتقسيمات القرابية للبدو، وحتى يمكن التعرف على التغير السريع الذى يحدث بتلك المنطقة .

وأسباب أختيار تلك المنطقة للدراسة أن كلا منها يمثل نمطا اقتصاديا معينا : فعزبة الأفراد عبارة عن بيوت سكنية يجاورها حدائق زيتون ونخيل ويتركز النشاط الرئيسى لسكانها فى العمل بالمصالح الحكومية وأجهزة الخدمات أوممارسة النشاط التجارى بمدينة مطروح، أو العمل بقيادة السيارات بالمدينة وأرض زهويق أرض مراعى يمارس البدو فيها تربية الأغنام. وأرض العشيبات والجميعات بالقصر تمثل اقتصادا يقوم على زراعة الأرض بالشعير وبأشجار الزيتون والموالح على المياه الجوفية وتنفذ بها مشروعات التوطين بواسطة الدولة ، ويمكن بالتالى التعرف على نوع الاختلافات بين تلك المناطق .

ويعتبر تربية الأغنام والماعز هو النشاط الرئيسى لبدو المنطقة والمصدر الأساسى لدخل الأسرة البدويه، وتعتبر الأغنام والماعز النواة التى ترتكز عليها حياة رجال القبائل، ويواجه البدو مشكلة الرعى الجائرنتيجة عدم وجودتوازن فى القانون العرفى بين حقوق الرعى ومشكلة الرعى الجائر وحمولة المرعى ولذلك فقد تدهورت أرض المراعى نتيجة الرعى الجائر .

وقدكان بدو الصحراء الغربية يعتبرون الزراعة تأتى فى المرتبة الثانية بعد الرعى، ولكن أزداد الميل مؤخرا إلى الجمع بين الزراعة وتربية الحيوان نتيجة لازدياد الاتصال مع الفلاحين وما أرتبط به من أزدياد مطالب البدو وتنوعها

والرغبة فى تحسين أحوالهم المعيشية والحصول على دخل أكثر ثباتا بحيث يوفر لهم حياة أكثر أستقراراوأمنا وطمأنينة كلها تدفع سكان الصحراء الآن إلى محاولة أستغلال الأرض الصالحة للزراعة وموارد المياه الجوفية المحلية فى زراعة الحدائق والبساتين بأشجار الموالح والزيتون والتين واللوز والكروم ومالى ذلك.

وليست مهنة التجارة ذات أهمية رئيسية فى حياة البدو الاقتصادية بوجه عام بالرغم من أن البدو كانوا يمارسون فى الماضى عملية تجارة البضائع من منطقة إلى أخرى عن طريق تنقلهم المستمر من منطقة إلى أخرى ، ولكن إختاروا هذا النشاط الآن نتيجة لوجود السكك الحديديه ووسائل النقل الأخرى بالصحراء ومع ذلك فلازالت جماعات البدو بالصحراء الغربية تلعب دوراً كبيرافى التجارة مع الدلتا وبخاصة تجارة الأغنام والماعز .

تلك باختصار هى الحياة الاقتصادية كنشاط رئيسى فى المجتمع موضوع البحث .

ومجتمع بدو مطروح مجتمع تقليدى ، وبالرغم من أتساع مساحته إلا أنه قليل السكان ، وثقافة ذلك المجتمع وتاريخه غير مكتوبين ولكنهما ينتقلان من جيل إلى جيل .

ودراسة المجتمع التقليدى تستهدف من بين ما تستهدفه - ما يلى :

١ - فهم الحياة الاجتماعية فى هذا المجتمع قد تساعدنا على فهم المجتمعات المعقدة .

٢ - هذه المجتمعات آخذة فى التغير ، وعلى هذا فنحن نحاول أن نسجل خصائصها قبل تغيرها .

وقد أعتمد البحث على الاتجاه البنائى الوظيفى الذى ينظر إلى المجتمع باعتباره نسقاً واحداً يتألف من عدد من العناصر المتفاعلة المتساندة التى يؤثر بعضهـا فى بعض ويعدل بعضها بعضاً . كما أن الاتجاه الوظيفى يعنى بالضـــرورة الاهتمام بالتعرف على مدى التشابك والتفاعل القائمين بين النظم التى تؤلف حياة المجتمع ككل ، ونصيب كل نظام فيها فى المحافظة على تماسك ذلك المجتمع ووحدته وكيانه . والدراسة الحقلية أو الميدانية خليقة بتبين العلاقات الموجودة بين مختلف الظواهر فى المجتمع .

وتعتمد الدراسة على الاقامة داخل المجتمع فترات طويلة للاتصال المباشر بالبدو، والاستعانة بعدد من الأخباريين من كبار السن والأفراد المقربين أقامة دائمة فى المدينة بما لديهم من معرفة وثيقة بنظام الحيازة وعلاقته بالنظم الاجتماعية الاخرى والذين لديهم معلومات تفيد فى مجال الدراسة ، وكذلك البدو الذين يقيمون فى القصر والنجيلة والجراولة .

وفيما يتعلق بتسجيل الملاحظات فقد كان تسجيلها وصفيا فى نفس اليوم فيما عدا التسجيل الجينالوجى فقد كان تسجيلا مباشراً أمام الناس .

كما استخدمت التسجيل المصور لبعض لقطات عن الاراضى المزروعة وأراضى المرعى وحدائق الزيتون والنخيل وبيوت البدو ، والطواحين الهوائية ،وعمليات الحرث . والثروة الحيوانية وغيرها .

وقد صادفتنى مشاكل كثيرة أثناء جمع البيانات منها على سبيل المثال :

١ ـ قلة المصادر المكتوبة عن الصحراء الغربية ، إذ أن معظمهـا كان مجرد حكايات وصفية لا ترقى إلى مستوى الدراسة العلمية . ولقد تغلبت عـــلى هذه الصعوبة بالملاحظة الميدانية ، وجمع أكبر كمية من المعلومات سواء من المصـادر

الرسمية أو بواسطة الاخباريين ومقارنتها ببعضها لاستخلاص الحقائق .

٢ ـ الاتصال بمشايخ البدو من كبار السن الذين يطلق عليهم « الشياب » وهم يعتبرون من المصادر الأساسية للمعلومات عن المجتمع البدوى وبخاصة عند رسم الانحدار الجينالوجى للقبائل والبيوت والعائلات التى ينقسم اليها المجتمع البدوى، وكنت أنتقل إليهم فى الاماكن التى يقيمون فيها وأنتظر عمدا طـــويلا إلى أن اقابلهم .

٣ ـ صعوبة الاتصال بالبدو الذين يسكنون النجوع نظرا لكثرة تنقلاتهم بحثا عن الماء والمرعى .

٤ ـ يعطى البدو كثيرا من البيانات غير الصحيحـة عن حروبهم وشجاعتهم وانتصاراتهم الوهمية ؛ وهذا تطلب من الباحث مزيدا من الجهد لتفسير تلك البيانات فى ضوء الثقافة والعلاقات الاجتماعية وفهم تلك العلاقات وتحليـــل البيانات التى تعطى له ومقارنتها ببعضها .

٥ ـ التردد فى أعطاء بيانات حقيقية عن حيازة الاراضى ومساحتها حتى لا يطالب البدو باثبات ملكيتها فيما بعد ، مما تطلب من الباحث جهدا كبيرا لاقناعهم بأنه ليس من الموظفين العاملين فى هيئة تعمير الصحارى أو محافظة مطروح وأن الهدف هو أجراء البحث العلمى فقط .

٦ ـ صعوبة التفاهم باللهجة البدوية . حقيقة أن البدو يتكلمون اللغة العربية ولكنهم ينطقونها بلهجة بدوية كانت تشكل صعـــوبة فى بداية الامر بالنسبة للباحث ، ولكن المدة التى قضاها الباحث معهم وقدرها سنه جعلته يتعرف على تلك اللهجة ويفهمها .

وقد دفعتنى إلى تلك الدراسة ثلاثة عوامل هى : -

١ - تعتبر دراسة الحيازة نقطة مركزيه يمكن عن طريقها أن نخرج بفكرة عامة عن المجتمع ككل .

٢ - أن المجتمعات الصحراوية البسيطة تتبدل وتتغير بسرعة تستوجب المبادرة إلى دراستها قبل فوات الأوان ، فهذه النسق الاجتماعية التى فى طريقها إلى الزوال تعتبر نماذج فريدة بناءة تساهم دراستها مساهمة فعالة فى فهم المجتمع الإنسانى . (١)

٣ - تجمع منطقه الدراسة بين ثلاثة أنماط اقتصادية مختلفة : الرعى داخل الصحراء ، الزراعة البسيطة على الساحل الشمالى ، الإقامة فى المدينة وممارسة العمل فى الوظائف والحرف السائدة بها .

التركيب السكانى والقبلى للمجتمع موضوع البحث : -

ولن ندخل الآن فى تفاصيل حول البناء القبلى لمجتمع بدو مطروح ، ولكن نذكر هنا فقط أن قبائل أولاد على التى تقيم بالصحراء الغربية بمصر هى فرع من قبائل السعادى المشهورة التى تقطن الصحراء الليبية .

ولكن بالرغم من انتقال أولاد على للصحراء الغربية بمصر فهم لا زالوا يرتبطون ارتباطا قويا بأقاربهم وأولاد عمومتهم بليبيا وبخاصة العبيدات الذين يعيشون بليبيا . وقد تفرع أولاد على إلى ثلاثة فروع قبلية كبيرة هى على الأبيض ثم على الأحمر ، والسننة . وكل فرع من تلك الفروع القبلية الكبرى إنشق إلى

---

١ - ايفانز بريتشارد : (الأنثربولوجيا الإجتماعية) علم الانسان الإجتماعى ترجمه الدكتور : أحمد أبو زيد المرجع السابق ص ٢٦

أقسام أصغر ، وكل قسم منها يطلق على نفسة قبيلة .

وإلى جانب أولاد على العرب يوجد أيضاً قليل من قبائل المرابطين ، وهى طائفة أخرى من القبائل التى تقيم بالصحراء الغربية وترتبط مع قبائل أولاد على فى نظام « المخاواة » . وتلك القبائل تحتل مرتبة سياسية أدنى من قبائل أولاد على بالرغم من تمتع بعضهم بدرجة معينة من الهيبة الاجتماعية حصلوا عليها من مركزهم الفريد كقادة دينيين للمجتمع .

وهناك قصص كثيرة عن أصل ووضع قبائل المرابطين فأشهر هذه القصص التى قيلت يمكن تلخيصها فيما يلى : -

١ - قيل أن المرابطين كانوا السكان الأصليين فى ليبيا والساحل الشمالى بمصر قبل غزو بنو هلال وبنو سليم ، وأنه بعد الغزو أصبحوا تحت حكم ورقابة القبائل هذه .

٢- وقيل أن هؤلاء المرابطين ينحدرون من قبائل معظمها يمنى الأصل ، والتى استعمرت شمال أفريقيا بعد الغزو الإسلامى الأول وأن قبائل السعادة تمثل قبائل بنى سليم الرحل فى القرن الحادى عشر والذين لم يستقروا قط فى الأرض بل استمروا فى عيشة البدو ملزمين المرابطين المتدينين والمسالمين دفع جزية قسراً .

٣ - وتحكى قصة ثالثة أن المرابطين كانوا جزء من قبائل عربية جاءت مع بنى هلال وبنى سليم وأوكل إليهم حراسة شواطىء البحر . ولما كانوا يريدون حماية أنفسهم من هجمات الغرباء فإن كل مجموعة منهم ربطت نفسها بإحدى القبائل الفرعية من قبيلة أولاد على فى منطقتهم .

٤ - وتحكى قصة رابعه حكاية المرابطين وتربطهم باسم القبائل الذين حكموا

أسبانيا فى القرن الثانى عشر والذين انقسموا إلى أسر تقيم بين قبائل أولاد على تدفع لهم الجزية .

ومعظم المرابطين ينادون بأنهم ينتمون إلى الجيل الورع الإسلامى الذى قام بالغزو فى القرن السابع ، ويقال أن بعضهم أشراف يدعون صلة النسب بالنبى

ومن هنا نجد أنه بالرغم من أن قبائل أولاد على يعتبرون المرابطين كأتباع وموالى الا أنهم يحترمونهم لما أشتهروا به من التقوى والصلاح ويلجأون إليهم لتسوية الخلافات والعداءات المستحكمة التى كانت تحدث بين قبائل أولاد على أنفسهم .

أكثر من ذلك نجد أن كثيراً من قبائل المرابطين لا تحوز أرضا . فقد عاشوا يرعون أغنامهم ويزرعون بعض الشعير لأجيال طويلة على أرض قبائل أولاد على لكن لم يسمح لهم قط أن يزرعوا أشجاراً أو يستصلحوا أى أرض إلا إذا قاموا بشرائها من قبائل أولاد على التى تملكها .

وبالرغم من أن ملكية قبائل أولاد على للارض لا تستند إلى قانون وضعى الا أنه لا يجوز أن يقوم مرابط أو أى غريب بشراء الأرض من الحكومة أو ينتفع بها دون موافقه وتعويض للقبيلة المالكه . ولذلك نجد أنه عندما أعلنت الحكومة القانون ١٢٤ لسنة ١٩٥٨ بشأن ملكية الأراضى الصحراويه التى تزرع بها الأشجار أو يمكن أجراء تحسينات دائمة بها ، تقدم بعض رجال القبائل المرابطين وآخرون بطلبات تمليك قطع من الأرض بغرض أصلاحها ، إلا أنهم قبل أن يقوموا بابرام عقودهم مع الهيئة الحكومية (هيئة تعمير الصحارى) كان عليهم أن يصلوا إلى تسوية نقديه مع الملاك العرفيين من القبائل .

خطوات البحث الحقل

أخترت لدراستى موضوع « نظام حيازة الأرض لدى بدو مطروح »وكيف

يؤثر هذا النظام فى نظمهم الإقتصادية والقرابية والعرفية بالرغم من صعوبه هذا الموضوع وتداخله وتشابكه الشديد مع النظم الإجتماعية الأخرى لذلك المجتمع باعتبار ان الحيازة تشكون نقطة مركزية أساسية فى الدراسة ، وبالرغم مما يبدو عليها من البساطة الظاهرية لاول وهلة ألا ان الحيازة ليست الا شبكة معقدة من العلاقات التى تحتاج إلى كثير من الجهد لفهمها وتحليلها ، كما ان نظام الحيازة نفسه من النظم التقليدية التى يحرص عليها البدو ويتناقلونها عبر الأجيال ، وإن كان نظام الحيازة قد طرأت عليه بعض التغييرات الإجتماعية التى سنعرض لهـا بالتفصيل فى هذا البحث ، وتلك التغيرات تعتبر جزءاً أساسيا من التغيرات التى تعرض لها المجتمع البدوى فى السنين الاخيرة .

وقد بدأ البحث بدراسة استطلاعية للمنطقة أستغرقت خمسة عشر يوما فى ديسمبر سنة ١٩٧١ للتعرف على مجتمع الدراسة بتوثيق الصلات مع الاخباريين اللازمين لجمع بيانات البحث ، ثم بدأت الدراسة الميدانيه لمدة عشرة شهور فى مارس سنه ١٩٧٢ وحتى نهاية ديسمبر من نفس السنه كنت أقيم فيها بمدينة مطروح وأنتقل يوميا إلى قرى القصر والنجيله والجراوله وعزبه الأفراد بمطروح . وقد مكنتنى تلك الإقامه الدائمه من مقابله عدد كبير من المسئولين بالأجهزة الرسميه والشعبيه وزيارة عمد البدو ومشايخهم فى منازلهم وعمل صلات وثيقه بهم .

وقمت بزيارة المنطقه مرة أخرى فى سبتمبر ١٩٧٣ لمدة شهرين كاملين واصلت فيها جمع البيانات الاثنوجرافيه الناقصه ، وانتهت تلك الفترة فى نهايه اكتوبر سنه ١٩٧٣ وكانت الزيارة الثانيه أسهل من سابقتها نظراً لسابقه تكوين صلات قويه فى الزيارة الأولى مما سهل إلى حد كبير عمليه جمع البيانات المتعلقه بحيازة الارض .

ثم عدت مرة أخرى لاستكمال جمع البيانات وأقمت بها اقامة دائمة لمدة شهر كامل فى يناير ١٩٧٤ ·

وعدت مرة خامسة إلى المنطقة حيث أقمت بها فى شهرى مارس وابريل ١٩٧٤ لمواصلة جمع البيانات وتحليلها ·

وقد تطلبت بعض نقاط البحث المزيد من عمليه جمع البيانات فعدت لمطروح مرة اخرى وأقمت بها بصفه دائمه خلال شهر فبراير سنه ١٩٧٥ وكانت تلك هى زيارتى الاخيرة المتعلقه بجمع البيانات . وبذلك تكون المدة التى قضيتها فى المجتمع موضوع الدراسه ١٦ شهراً فى جمع البيانات بالاضـــافه الى خمسه عشر يوما (مدة الزيارة الاستطلاعيه) ·

الفصل الأول

حيازة الارض فى المجتمعات المختلفة

الفصل الأول

حيازة الأرض فى المجتمعات المختلفة

١ - تعريف الملكية والحيازة :

توجد تعريفات كثيرة للملكية فى كتب الأنثربولوجيا والاجتماع والقانون. فالملكية اصطلاح عام لخليط من الحقوق المتساوية التى يحوزها الشخص، وهذا الاصطلاح لا يعنى شيئا فى حد ذاته إلا إذا ربطناه بغيره من العلاقات الاجتماعية فى المجتمع (١).

وقد ظهرت الكلمة فى بادىء الأمر كاصطلاح لا تبنى معناه « التوافق مع العرف » ويرى « ديكسون » Dixon أن الملكية نتاج طبيعى لمحاولات الإنسان وجهوده المتصلة لحل المشاكل الخاصة بتوفير معيشته وإشباع حاجاته » (٢).

وحق الملكية حق عينى، وهى سلطة لشخص تنصب مباشرة على شىء مادى معين . كما أن حق الملكية حق جامع مانع، بمعنى أنه يخول صاحبه جميع المزايا التى يمكن الحصول عليها من الشىء فللمالك أن يستغل الشىء ويستعمله ويتصرف فيه على النحو الذى يريده ولا يحد من سلطته فى ذلك إلا قيد يفرضه القانون، ومن ثم فهو حق مانع أى حق مقصور على صاحبه، فللمالك أن يستأثر بجميع

---

1 —Encyclopaedia of the social sciences, Vol, XII-XI: Property

2 —Dixon, R.A., Economic institution and cultural change, 1941, p, 59,

مزايا ملكه ، فيمنع غيره من مشاركته فىهذه المزايا ، حتى ولو لم يلحقه ضرر من وراء هذه المشاركة » (١) .

« والملكيه فكرة تتعلق بحيازة الأشياء التى اصطلح على تسميتها بالملك أو الممتلكات، وهى فكرة تقتضى وجود حقوق معينة لشخص أو جماعة دون غيرهم باستخدام هذه الممتلكات أو التصرف فيها » (٢) .

بينما تعنى كلمة « حيازة » Tenure امتلاك الأرض وفقا لشروط معينة وهى مشتقة من الكلمة اللاتينية Tenere (٣) .

فالحيازة حق تملك ، وهى حق للأرض التى تبقى مع حائزها ، وموضوعا فقط لقوانين الدولة ، إنهـا الحق فى تملك شىء ، وهى حالات التملك ، وهى تملك دائم (٤) .

فالحيازة سلطة أو سيطرة فعلية على شىء من الأشيـــاء سواء أكانت هذه السلطة أو السيطرة تمتد إلى الشىء فى كل منافعه ومظاهره أم كانت تقتصر على بعضها ، وذلك بنية مباشرة أو اكتساب حق من حقوق الملكية عليه .

---

١ ـ عبد المنعم فرج الصدة : الحقوق العينية الأصلية . القاهرة ١٩٥٩ . ص ١٦ - ص ١٧

٢ ـ د. أحمد أبو زيد : البناء الاجتماعى، الأنساق . المرجع السابق ص ١٣٠

3 — MEEK, C.K. land law and custon in the colonies, O.U.P london. p. 1

4 — WEBSTER's new twentteih dictionary. Second edition, 1971, p. 1881,

والأصل فى الحيازة أن تكون لصاحب الحق على الشىء ، فيكون صاحب السلطة الفعلية عليه هو مالكه ملكية تامة .

وسواء أكانت الحيازة تستند إلىحق الحائز أم لاتستند إلى أى حق فالقانون يحميها لذاتها (١) .

وإذا كان القانون يحمى الحيازة فى ذاتها ويرتب عليها هذه الآثار رغم أنها ليست إلا حالة واقعية قد لا تستند إلى أى حق للحائز ، فرجع ذلك اعتبارات الأمن واستقرار النظـــام فى المجتمع ، التى تقتضى منع الاعتداء على الأوضاع الواقعية القائمة بالفعل ولو كان المعتدى هو صاحب الحق ، فضلا عن أن الأصل أن تكون الحيازة مستندة إلى حق فتقدم لصاحبه وسيلة سهله لحمايته .

وحيازة الملكية التامة تكون بمباشرة أعمال الاستعمال والاستثمار . وكذلك حيازة الانتفـاع . فإذا ما كان الشخص يقوم بمجرد عمل من الأعمال القانونية فلا يكفى ذلك لوقوع السيطرة الفعلية على الشىء نظرا لأن العمل القانونى وحده لا يفيد تلك السيطرة .

فاذا ما توافرت النية لدى الحائز للشىء فى اكتساب الحق الذى يقابل السلطات التى يباشرها على الشىء بعبارة أخرى فاذا كانت نية الحائز أن يباشر الأعمال المادية التى يباشرها على الشىء لحساب نفسه وليس لحساب شىء آخر أو شخص آخر، وعلى ذلك إذا كان واضع اليد على الشىء يباشر عليه سلطات الملكية التامة أو سلطات أحد حقوق الملكية الناقصة لحساب شخص آخر فلا يعتبر

---

١ ـ دكتور مصطفى الجمال : « أحكام الملكية » ، المكتب المصرى الحديث ١٩٧٢ ص ٤

حائزا قانونيا ويعتبر حائزا عرضيا فالمستأجر لا يكون حائزا قانونيا بالنسبة للأشياء التى تكون تحت يده بمقتضى الإيجار لعدم توافر النية فى العمل لحساب نفسه . ولذلك تكون مباشرته للعنصر المادى فى الحيازة لصاحب الشىء ، فتكون الحيازة القانونية له لتوافر العنصر المعنوى لديه كذلك .

على أنه إذا كانت حيازة واضع اليد قد بدأت عرضية فان هذه الحيازة يمكن أن تتحول إلى حيازة قانونية إذا ما توافر لها العنصر المعنوى بأن بدأ واضع اليد يحوز لحساب نفسه فالمستأجر مثلا حيازته عرضية لأنه يحوز لحساب المالك - فاذا ما بدأ يحوز لحساب نفسه تحولت حيازته إلى حيازة قانونية .

ولكن هذا التغيير فى نية واضع اليد الذى يتوافر بتوافر العنصر المعنوى وتصبح بمقتضاه الحيازة قانونية لا بد أن يصاحبه مظهر خارجى يدل عليه دلالة أكيدة . (١)

والمهم فى كل ذلك أن يكون الفعل الذى يأتيه واضع اليد فى مواجهة من يحوز لحسابه وأن يكون أكيد الدلالة فى انكار حق هذا الأخير . ولذلك فمجرد قيام واضع اليد ببيع الشىء الذى تحت يده لا يكفى بذاته لتغيير وضع اليد إلى حيازة قانونية لأنه لا يتخذ فى مواجهة صاحب الحق الذى كان وضع اليد لحسابه .

كذلك قد يتمثل هذا المظهر الخارجى فى عمل يصدر من شخص ثالث ويكون

---

١ - عبرت المادة ٩٧١ من القانون المدنى المصرى عن ذلك بقولها : « لا يستطيع أحد أن يغير بنفسه لنفسه سبب حيازته ولا الأصل الذى تقوم عليه هذه الحيازة »

من شأنه أن ينقل الحق لواضع اليد لو كان صادرا من مالك ، كأن يشترى المستأجر الأرض المؤجرة من شخص آخر - غير المؤجر - يعتقد وقت الشراء أنه مالكها الحقيقى . فمثل هذا السند الذى يصدر من الغير يغنى عن اظهار تغيير وضع يده لمن كان يضع يده لحسابه ولكن يشترط فى العمل الصادر من الغير على هذا النحو حتى يكون المظهر الخارجى الذى ينبىء عن تغيير النية أن يكون واضع اليد حسن النية يعتقد أن السند الذى حصل عليه صادر من صاحب الحق الحقيقى ، وإلا كان فى اقدامه على التعاقد ما يدل على أنه أراد تغيير صفة وضع يده بفعله هو متعمدا اخفاء هذا التغيير عن الشخص الذى كان يضع يده لحسابه (١)

اكتساب الحيازة وفقدها .

لما كانت الحيازة تتكون من عنصرين ، عنصر مادى وعنصر معنوى ، فانها تكتسب بتوافر هذين العنصرين وتفقدهما معا أو بفقد أحدهما دون الآخر .

فالحيازة تكتسب باجتماع عنصريها فى شخص الحائز وإذا ما اكتسبت الحيازة فانها تنتقل إلى الخلف سواء أكان هذا الخلف خلفا عاما كالوارث أم كان خلفا خاصا كالمشترى . على أنه يلاحظ أن حيازة الخلف العام ما هى إلا استمرار لحيازة السلف ، ولذلك تحتفظ بكل صفاتها . أما حيازة الخلف الخاص فهى حيازة جديدة تستمد صفاتها من شخص هذا الخلف (٢) .

---

١ - نصت المادة ٩٤٩ من القانون المدنى على أنه « لا تقوم الحيازة على عمل يتحمله الغير على سبيل التسامح »

٢ - دكتور مصطفى الجمال : أحكام الملكية . المرجع السابق ص ٧١

كما أن انتقال الحيازة إلى الخلف الخاص يستلزم أن يتوافر للخلف الخاص السيطرة على مضمون الحق الواردة عليه الحيازة .(١)

وتتحقق هذه السيطرة اذا ما تسلم الخلف الخاص الأرض تسلما فعليا ، أو تسلمه تسلما حكميا . ويتوفر التسليم الحكمى فى الحالة التى يستمر فيها السلف واضعا يده على الأرض على سبيل الايجار ، اذ تعتبر حيازته لحساب الخلف فى هذه الحالة ، أو فى الحالة التى يكون فيها الخلف واضعا يده من قبل على الشيء السلف لحساب كالمستأجر مثلا .

فقد أحد عنصرى الحيازة :

والحيازة تفقد بفقد عنصريها معا أو بفقد أحدهما دون الآخر. فاذا ما تصرف الحائز فى الأرض وسلمه الى المتصرف اليه أو تخلى عنها بنية تركها فقد عنصرى الحيازة . واذا ما تصرف الحائز فى الأرض ، وظل واضعا يده عليها لحساب خلفه فقد العنصر المادى للحيازة دون عنصرها المعنوى .

والحائز لايفقد حيازته اذا حال بينه وبين السيطرة الفعلية على الأرض مانع وقتى كما لو احتلت الأرض بالعدو .

وكذلك لايفقد الحائز حيازته بمجرد فقده السيطرة على الأرض اذا كان فقده لها يرجع الى شخص آخر وضع يده عليها رغم ارادته أودون علمه .ذلك أنه يكون له فى هذه الحالة رفع دعوى استرداد الحيازة فى بحر سنة من الوقت الذى بدأ فيه وضع يد الغير اذا بدأ علنا أو من وقت علم الحائز به اذا بدأ خفيه

١ ـ المادة ٩٥٢ من القانون المدنى المصرى

فاذا انقضت السنة دون أن تسترد الحيازة على النحو السابق فقدت (١) .

شروط الحيازة :

نصت المادة ٩٤٩ من القانون المدنى المصرى على أن الحيازة اذا اقترنت باكراه أو حصلت خفية أو كان فيها لبس فلا يكون لها أثر قبل من وقع عليه الاكراه أو اختفت عنه الحيازة أوالتبس عليه أمرها الا من الوقت الذى تزول فيه هذه العيوب ويتضح من ذلك أن الحيازة وإن توافرت بتوافر عنصريها الا أنها لاترتب أى أثر من آثارها الا اذا كانت هادئة ظاهرة ، غير مبهمة فالحيازة لاترتب أثرها اذا كانت معيبة بالاكراه . والمقصود بالاكراه أن يكون الحائز قد توصل إلى الحيازة عن طريق اغتصابها بالقوة أو التهديد . أما اذا كان الحائز قد استولى على الأرض دون اغتصاب ثم احتاج للقوة أو التهديد بعد ذلك لاستعادة حيازته فان حيازته تظل منزهة عن العيب.

والحيازة لاترتب أثرها اذا كانت معيبة بالخفاء .والمقصود بالخفاء أن يكون الحائز قد مارس حيازته خفية عن صاحب الحق الذى يحوزه . ذلك أن الغرض هو أن الحائز يحوز الحق كما يحوزه صاحبه ، وأن صاحب الحق لايتخفى فى حيازته له .

والحيازة لاترتب أثرها اذا كانت معيبة بالغموض واللبس . والمقصود بالغموض أن تكون الأعمال المادية التى يباشرها الحائز على الأرض غير قاطعة فى الدلالة على أن الحائز يضع يده عليها لحساب نفسه . لذلك فهذا العيب ـ على خلاف العيوب السابقة يصيب العنصر المعنوى فى الحيازة دون عنصرها المادى.

١ ـ المادة ٩٥٧ من القانون المدنى

وكل هذه العيوب مؤقته ، بمعنى أن الحيازة اذا بدأت معيبة بأحد هذه العيوب ثم زال العيب بعد ذلك ، فان الحيازة تصبح صحيحة منذ زوال العيب فاذا كانت الحيازة قد بدأت عن طريق الاكراه أو بدأت خفية أو غامضة ، ثم أصبح الحائز فى غنى عن الاكراه للاحتفاظ بحيازته ، أو بدأ فى مباشرة العنصر المادى للحيازة بطريقة ظاهرة أو زال اللبس الذى يعيب حيازته ، فان الحيازة ترتب آثارها منذ اليوم الذى يزول فيه العيب الذى كان يشوبها .

كذلك فان هذه العيوب جميعا نسبية ، بمعنى أنه لايجوز أن يحتج بها الا من توافرت فى حقه . فلا يجوز أن يحتج بالاكراه الا من استعمل ضده هذا الاكراه دون من لم يقع عليه ولا يجوز أن يحتج بالخفاء الا من بوشرت الحيازة خفية عنه دون من كان وضع اليد ظاهرا بالنسبة له ، ولا يجوز أن يحتج باللبس الا من التبست عليه صفة الحائز فى وضع يده دون من لا يكون هناك لديه سبيل للشك بأن الحائز يضع يده لحساب نفسه .

ولما كانت ملكية الأرض تشمل ما فوقها وما تحتها ، فان الأصل أن ما يقام أو يغرس أو ينشأ فوق الأرض أو تحتها يعتبر ملكا لصاحبها اقامة على نفقته ما لم يثبت العكس (١) .

وقد جعل المشرع المصرى الأرض دائما هى الأصل وما يقام عليها أوفوقها أو فى جوفها فرعا مهما زادت قيمة هذه الأخيرة بالنسبة للأرض ، نظرا لأنها

---

١ - نصت على ذلك المادة ٩٢٢ من القانون المدنى بقولها : «كل ما على الأرض أو تحتها من بناء أو غراس أو منشآت أخرى يعتبر من عمل صاحب الأرض اقامة على نفقته ويكون مملوكا له فهذه المادة تضع قرينة قانونية على أن مالك الأرض يملك ما يقام فوقها من منشآت.

موجودة أصلا بصرف النظر عن قيام أو عدم قيام ما أقيم عليها أو فوقها أو فى جوفها (١) .

« واصطلاح » حيازة الأرض اصطلاح واسع . فهو قد يعنى ملكية الأرض أو حق الانتفاع بالأرض ، أو شيئا بين الاثنين .

وملكية الأرض تقودنا الى مفهومين رئيسين :

الاول هو حق الانتفاع بالارض ، **والثانى** هو حق تقرير طبيعة وحد الانتفاع بها بواسطة الآخرين ، أو بالمعنى الواسع للكلمة - الحق فى تحويل كافة الحقوق المتعلقة بالارض إلى آخرين. وأى شكل للحيازة لايتضمن كلا من هذين المبدأين يؤدى إلى نقصان الملكية التامة .

ومن الملامح الشائعة لحيازة الارض أن الحقوق المتعلقة بها تتوزع بين المجتمع المحلى وبين الافراد المنتمين اليه ، بمعنى أن لكل فرد الحق الشرعى فى الانتفاع بقطعة من الارض ، ولكنه اذا كف عن ممارسة ذلك الحق فان حق الانتفاع بها بواسطة آخرين لا يمارس بواسطته وإنما يمارس عن طريق المجتمع المحلى (٢) .

فضلا عن ذلك فإن الحقوق الخاصة بالأرض - أيا كانت - قد تكون حقوقاً مطلقة أو قد تخضع لنوع من الضبط الخارجى ، وهذا الضبط الخارجى قد يمارس بواسطة الدولة ككل ، أو بواسطة فرد أو جماعة من الأفراد ، أو بواسطة الأعراف والقوانين الدينية للاقليم وبخاصة فى المجتمعات البدائية والتقليدية .

---

١ - دكتور مصطفى الجمال - المرجع السابق ص ٣٦

2 — F.A.O. : Communl land Tenure. Rome. Italy 1953, p 1

ويبدو أن أشد تلك الممارسات الثلاث للضبط الخارجى هو النوع الثالث المتعلق بالاعراف والقوانين الدينية ، وكلا من العرف والقانون الدينى قد لعبا فى الماضى ولا زالا يلعبان دوراً كبيراً ومتعاظما فى الموضوعات المتعلقة بحيازة الارض . (١)

ويرتبط مفهوم الحيازة إرتباطاً كبيرا بماضى التاريخ الإجتماعى لأعضاء المجتمع وبأفكارهم الإجتماعية ومعتقداتهم الدينية ، ويصاحب التغيير فى الفكر الإجتماعى الذى قد يحدث خلال فترات زمنية طويلة تغيرا مماثلا فى الأشكال المختلفة لحيازة الارض ، وهذا التغير قد لا يأتى من الخارج فى معظم الاحوال بل يظهر أساساً من داخل البيئة الإجتماعية التى ينشأ فيها .

فعائلة الأفراد التى تقيم بمطروح وتنتسب إلى قبيلة الصناقرة (على الابيض) كانت تقيم فى الأصل بمنطقة الشحات التى تقع على الطريق بين درنة وبنغازى فى ليبيا وكان الأفراد فى الأصل ثلاثة أشقاء هم منصور وجبريل ونغماش وهم من قبيلة صنقر ، وكانوا يمارسون قطع الطريق على من يعبر الأراضى من درنة إلى بنغازى . ثم حدثت حروب بين ذرية الأفراد ، وتفرقت العائلة الواحده واتجه المنهزمون إلى السلوم ونزلوا بها ، بينما هرب البعض ووصل إلى مطروح ونزل على ساحل البحر والذى نزل منهم فى مطروح فرضوا إتاوات على الأجانب الذين كانوا يصطادون الأسفنج على ساحل مطروح منذ حوالى ثلثمائه سنة ، وكانوا يقومون بزراعة الشعير والقمح فى فصل الشتاء على مياه الأمطار عن طريق بذر البذور وحرثها بالجمال فى شهر أكتوبر وحصد الشعير فى شهرى مايو ويونية ثم حدث خلاف بين ذريه الفرادى على إتاوة الاسفنج ، فاتجه الخودى إلى مريوط ونزل بها ، بينما فضل الشقيقان عمرانى وإبراهيم وأولادهما الاقامة بمطروح ، كما

1 — Ibid, p. 1

قسم الدخل بين الشقيقين فاتاوة الاسفنج انفردت بها عائله علوانى ، بينما ظلت إتاوة الملح فى يد عائلة إبراهيم ، كذلك قسمت حيازة الارض بين العائلتين ، وكانت حيازة عائلة علوانى تمتد من ساحل البحر حتى سكة حديد مطروح ، بينما كانت عائلة إبراهيم تحوز الارض من الملاحات فى الشرق بحوالى سته كيلومترات حتى ، سملا ، غرباً .

ونشير هنا إلى أن هناك إختلاف غير محدود فى نظم حيازة الارض ، وكل واحد من النظم له خصائصه ومزاياه . (١) .

١ - أنواع الحيازة :

يمكن التمييز بين نوعين من الحيازة ، الاولى بحسب طبيعه الحائز نفسه والثانى بحسب طبيعه الحيازة ونوعها . أما فى النوع الاول ، أى نظم الحيازة من حيث أختلاف طبيعة الحائز ، فإنه يمكن التفرقة بين النظم المختلفة على أساس أن الحائز قد يكون فردا أو جماعة من الناس ، وأن هذه الجماعة قد تكون جماعة قرابية (كالعائلة أو البدنه) أو جماعة أقليمية بحيث تشمل كل الاشخاص والجماعات الذين يقيمون فى بقعه معينه من الارض .

والتصنيف الثانى لنظم الحيازة يرتكز على التمييز بين أنواع الممتلكات ذاتها أو طبيعتها .

وقد قسمت الحيازة فى الشريعه الاسلامية من ناحيه قابليتها للتملك وعدم قابليتها إلى ثلاثة أقسام : -

1 — Ibid, p. 4.

١ - ما لا يجوز للأفراد والجماعات تملكه إلا لمصلحة عامة تعود على الدولة أو مسوغ شرعى يتطلبه .

٢ - ما لا يجوز امتلاكه لأنه من كيان الدولة ووجودها ومن مستلزمات الجماعة، ولتعلق المصالح العامة به كالطرق والمنشآت العامة .

٣ - ما يجوز فيه التمليك والتملك من غير قيد أو شرط . (١)

وتنقسم الحيازة إلى ثلاثة أشكال : -

١ - الشكل الاول هو النوع الموجود بين الجماعات التى لا تعرف الملكية الفردية للارض بل تعرف نظام الملكية الجماعية للأرض فقط .

٢ والشكل الثانى لحيازة الارض هو الشكل المنتشر بين الأفراد الذين يعرفون الحقوق الفرديه فى حيازة الارض فى ظل ظروف معينة ، ولكنهم يعتبرون منها تلك الحقوق الفردية كاستثناء وليس كقاعدة ، وذلك النظام أقل نسبيا من الشكل المعروف الآن للحيازة فى المجتمعات العربية ، وغالباً ما يكون لهؤلاء الأفراد قوانين أو أعراف تتعلق بالميراث الذى كان فى الجيل الاول ملكية فرد واحد ليصبح فى الأجيال التالية له ملكية متصلة للمنحدرين منه أو أقربائه المكملين له وهم كجماعه توصف عادة بأنها إما عائلة ممتدة، أو جماعة قرابية أو بدنه او عشيرة .

٣ - اما النوع الثالث لحيازة الارض فهو النوع الذى يرتبط بزمرة اجتماعية لا يرتبط افرادها بالضرورة بعلاقات الدم - ولكن تربطهم روابط أخرى

١ - محمد سلام مدكور « الفقه الاسلامى » . المدخل والأموال والحقوق والملكية والعقود سنة ١٩٥٤ ص ٧٨ .

سياسية او سلطة اخرى اعلى تجعلهم يمارسون حقوق حيازة الارض عن طريقها بواسطة القوانين التى تضعها .

٣ - أنتقال الحيازة

قد تعنى كلمة « حيازة » Tenure يمسك الشىء أو يقبض عليه ، بمعنى أن الأرض قد يستولى عليها شخص آخر بقوة قهرية وبدون أن تكون هناك حيازة مطلقة (١) بمعنى أنه يجوز لشخص أن يستولى على مساحة من الأرض قد تكون مملوكة لشخص آخر إذا ما توفرت لديه القوة القهرية التى يستطيع بواسطتها أن يستولى على تلك الأرض .

مثال ذلك أن أولاد على كانوا يقيمون ببنغازى بليبيا ، ولكن حدثت بينهم وبين الحرابى حروب ومنازعات على الارض تغلبت فى نهايتها قبائل الحرابى على قبائل أولاد على واستمر ضغط القبائل المنتصرة على المنهزمين من أولاد على الى أن نجحت قبائل الحرابى فى طرد أولاد على من ليبيا وانزالهم فى شرق السلوم حوالى سنة ١٠٠٠ هجرية ، وعندما نزل اولاد على بتلك المنطقة وجدوا بها قبائل الهنادى الذين يقيمون حاليا بمحافظة (الشرقية) وقبائل الجميعات (من المرابطين) وبعد مدة قصيرة تم الاتفاق بين أولاد على والجميعات على محاربة قبائل الهنادى وقامت الحرب بين الفريقين وانتهت بانتصار اولاد على والجميعات على منافسيهم الهنادى وطرد الأخيرين من الصحراء الغربية إلى البحيرة ثم إلى الشرقية ، وهكذا كانت القوة القهريه هى التى ادت إلى استيلاء قبائل اولاد على والمتحالفين معهم من قبائل الجميعات على مساحات شاسعه من اراضى الصحراء الغربية بمصر .

1 - The Encyclopaedia BRITANICA, Fourteenth Edition. 1929
Volume 13. p. 976.

وقد اختلفت النظم كذلك فيما يتعلق بوسائل الحيازة وانتقالها . ومع أن معظم النظم ترجع هذه الوسائل إلى البيع ، والهبة ، والوصية أو الميراث ، واستزراع الأرض ، ووضع اليد على أرض ما بدون منازع ، وسريان حكم الأصل على ما يتصل به كملكية صاحب الأرض لنتاجها . ولما أقيم عليها من شجر ونبات ، وما تمنحه سلطة السيادة للدولة من حق على أراضيها ومياهها ومن حق فى نزع ملكية الأفراد للصالح العام أو بغية تنظيم اجتماعى جديد ، وما يمنحه الفتح والتغلب الحربى من حق للغالب فى أملاك المقهور ، مع اتفاق معظم الأمم على اعتبار هذه الأمور مبررة للملك ابتداء أو ناقلة له من يد إلى يد ، فإن تلك الأمم لا تتفق فيما بينها بل إنها كذلك تختلف فيما بينها اختلافا كبيراً فى تفاصيل كل أمر منها وفى شروطه وقيوده (١) .

كما اختلفت النظم كذلك فيما يتعلق باتصال الحيازة بالفرد أو الجماعة . ويسود نظام الحيازة الجماعية الشعوب البدائية أى حيازة الأسرة أو العشيرة أو القبيلة للأرض مع بعض مظاهر قليلة من نظام الحيازة الفردية (٢) .

---

١ ـ على عبد الواحد وافى ، حسن شحاته سعفان : « قصة الملكية فى العالم . ص ٣

(2) MORGAN, H., Ancient society. CHICAGO. CHARLES H. KERR and company. 1877. p. 535.

وقد أنكر روبرت لوى LOWIE فى كتابه Primitive Society الذى نشر بلندن عام ١٩٤٤ مرحلة الشيوعية الكاملة ، إلا أنه يقرر أن الحيازة ارتبطت أغلب الأحيان بالجماعة أكثر من ارتباطها بالفرد ص (١٩٧) بينما يرى السير هنرى مين أن الملكية المتصلة كانت الشكل الحقيقى القديم للملكية وأن

ولقد اختلفت النظم فى المجتمعات التقليدية كذلك فيما يتعلق بحقوق الحائز فى حيازته . وترجع هذه الحقوق جميعا إلى حقين رئيسيين أحدهما دوام الحيازة ، وثانيهما حرية التصرف .

١ ـ أما دوام الحيازة فمعناه بقاؤها ما بقيت العين المملوكة ، ويتحقق هذا المبدأ فى صورة كاملة فى الحيازة الجماعية العامة أى فى الأعيان التى يملكها شخص معنوى كأسرة أو عشيرة أو قبيلة ، على الرغم من فناء أفرادها وتجددهم ، فمن الممكن أن تدوم حيازتها للأرض ما بقيت هذه الأرض . ويتحقق هذا المبدأ كذلك فى صورة كاملة فى ملكية وحيازة الفرد لأمور مستهلكة بطبعها ويتاح له أن يمتلكها فى حيازته ، إذ يطلق على الحيازة فى هذه الحالة أنها بقيت طول المدة التى استغرقها بقاء الشىء المملوك أو حيازة الفرد لأعيان تستهلك ولا يتاح له استهلاكها فى حياته وحيازته لأعيان دائمة بطبعها أو متعددة البقاء إلى أمد طويل كالأراضى الزراعية والمناجم وأراضى البناء والمبانى نفسها . ويتحقق مبدأ الدوام فى هذه الأشياء فى صورة انتقال الحيازة إلى من يوصى له الحائز الأصلى أو إلى من تقرر النظم الاجتماعية انتقالها إليه من أقربائه عن طريق الميراث . ففى كلتا الحالتين لا يعتبر هذا الانتقال تملكا أو حيازة جديدة من جميع الوجوه، بل يعتبر بمثابة امتداد للحيازة القديمة ، لتحقيقه لما أراده الحائز الأصلى نفسه فى حالة الوصية ، أو لتعلقه بأفراد يمتون للمالك الأصلى بصفة قرابة قوية تجعلهم صورة متجددة منه فى حالة الميراث .

أشكال الملكية الوحيدة كانت المرتبطة بالعائلات والأقارب . ويرى أن نظام الملكية ليس قديما قدم الوجود الإنسانى انظر :

MAINE, Sir HENRI SUMNER, Ancient law. LONDON 1897, p. 250.

٢ - وأما الحق الثانى من حقوق الحيازة وهو حرية التصرف فله مظاهر كثيرة أهمها استغلال الشىء الحاز وهبته والتبرع به بدون مقابل وبيعه وتأجيره ووقفه والوصاية به لفرد أو لجهة بعد الوفاة .

والحيازة فى المجتمع البدائى تتأثر وتختلف باختلاف الظروف وترتبط بالأحوال السياسية والاقتصادية والجغرافية (١) :

فالحيازة سلطة فعلية يباشرها الحائز على شىء ، وفى معظم الحالات وفى الحيازة مستندة إلى حق ، وهناك نوع آخر من الحيازة يحوز الشخص فيه لحساب غيره كالمستأجر ، فلا تكون حيازته حقيقية بل يقال أنها حيازة عرضية ، فهذا الشخص ولو أن له مصلحة فى حيازة الشىء إلا أنه لا يظهر بمظهر المالك له

وتتكون الحيازة من عنصرين : -

أ - عنصر مادى : وهو مجموع الأعمال المادية التى باشرها صاحب الحيازة مثل زراعة أرض زراعية . ولا يتحتم بالنسبة إلى الأعمال المادية التى تقوم عليها الحيازة أن يباشرها الحائز بنفسه ، بل يصح كذلك أن يباشرها شخص آخر يعمل لحساب الحائز ، أى أن الحيازة تصبح بالوساطة متى كان الوسيط يباشرها باسم الحائز .

ب - عنصر معنوى : وهو نية الحائز فى أن يعمل لحساب نفسه .

أما الحيازة العرضية فهى سلطة يباشرها الشخص نفسه إما بمقتضى إذن من المالك أو صاحب الحق وإما بناء على ترخيص من القانون أو القضاء وذلك

(1) ROBERT H. LOWIE Primitive Society ROUT EDGE ONDON 1944 p 201

لحساب الحائز الحقيقى . والحيازة العرضية لا تعتبر حيازة بالمعنى الحقيقى حيث يتوفر فيها العنصر المادى للحيازة دون العنصر المعنوى ، فالحيازة القانونية فى هذه الحالة تكون للمالك الأصلى ، والحائز العرفى لا يكون مالكا للشىء أبدا فالملكية والحيازة القانونية يجتمعان غالباً بالنسبة إلى نفس الشخص ، بينما لا تجتمع الملكية والحيازة العرضية أبدا بالنسبة إلى نفس الشخص .

فإذا ما طبقنا تلك التعريفات السابقة للحيازة على بدو مطروح نجد أن « الحيازة كسلطة فعلية يباشرها الحائز على شىء » تنتشر بين بدو الصحراء الغربية بل وكثير من البدو الآن يحوزون الأرض حيازة فردية وبخاصة فى منطقة القصر وعلى طول الساحل الشمالى الغربى خاصة وقد اعترفت الدولة أخيراً بوضع اليد وأصدرت التشريعات القانونية التى تكفل هذا الحق .

أما الحيازة العرضية فهى معروفة فى كثير من نظم الحيازة التى يتبعها البدو بسبب قسوة الظروف البيئية لهذا المجتمع بالإضافة إلى الحاجة إلى التضامن والتماسك بين أفراد المجتمع البدوى نتيجة لقسوة البيئة التى يعيشون فيها ومن هذه النظم نظام « الزراعة بالمشاركة » التى يعاون فيها الحائز الفعلى بتقديم الأرض للحائز العرضى الذى يقدم جهوده وأدواته وتقاويه وذلك لمدة سنة زراعية واحدة تنتهى بأن يأخذ صاحب المجهود والأدوات ثلاثة أرباع المحصول بينما يحصل صاحب الأرض على ربع المحصول فقط أو حسب الاتفاق .

كذلك يوجد لدى البدو نظام « الزراعة بالمكاتفة » وفيه يقدم صاحب الأرض أو الحائز الفعلى الأرض والتقاوى وأدوات الحرث بينما يقدم الحائز العرضى المجهود فقط . وفى نهاية السنة يقسم المحصول بين الطرفين بالتساوى .

ومن أمثلة الحيازة العرضية لدى بدو مطروح أيضا نظام « عطية الأرض »

وهذا النظام يستمر لمدة سنة واحدة فقط وفيها يمنح الحائز الأصلى للحائز العرضى قطعة أرض من حيازته ليحرثها ويزرعها الحائز العرضى ، فإذا لم تسقط فى السنة التالية أمطار لدى الحائز الفعلى فى أرضه فإنه يحق له أن يزرع فى أرض الحائز (العرضى) مساحة معينة بديـــلا عن قطعة الأرض التى سبق أن أعطاها له ، وبذلك يصبح الحائز الفعلى فى السنة التالية حائزا عرضيا عند الحائز العرضى .

ومن الصعب أن نتكلم عن نظام واحد لحيازة الأرض فنزعم أنه يمثل الشكل السائد للملكية فى كل المجتمعات . إذ الواقع أن ثمة نظما كثيرة مختلفة ومعقدة إلى أبعد حدود التعقيد نظرا لارتباطها الوثيق بالأبنية الإجتماعية المختلفة التى توجد فى هذه المجتمعات .

وتعتبر حيازة الأرض من أهم أنماط الملكية نظرا لاتصالها الوثيق وبخاصة فى المجتمعات التقليدية بالنظم الاقتصادية والقرابية والسياسية ، فالحقـــوق ترتبط بالأرض ذاتهـا ولا غنى للحياة الانسانية عنها ، واهتمام الناس بالأرض يتحدد عن طريق كيفية استخدامهم لهـا . ولا تعتبر ملكية الأرض ملكية خاصة بالأفراد فى تلك المجتمعات ، وإنمـــا حق مكتسب للبدنات والعائلات ، كذلك يرتبط النسق السياسى بنظام الحيازة الذى لا يمكن فهمه دون الرجوع إلى ذلك النسق : فكلاهما يرتبطان معا (١) .

والحيازة على ما يقرر ميك - طبقا للقول الشائع « مجموعة حقوق » ، ولكن لا يمكننا دراستها بمعزل عن الشكل القانونى ، فهى توصف بأنها « القواعد التى تحكم الزراعة والانتاج بالمعنى الضيق » ، أما المعنى الواسع - كما ذكر مالينوفسكى MALINOWSKI فهى : « الارتباط الكامل بين الفرد وبين التربة » . إن

1 — BEATTIE, J., 'Other Cultures.' New York, 1964 P, 193

هذا الارتباط يعنى فى أحد جوانبه « الارض » كما يعنى فى الجانب الآخـــر أن : « البشر يعيشون معا فى تجمعات انسانية ولهم الحق فى الانتفاع بالارض(١) »

وهناك قاعدتان مهمتان لعضوية الجماعات البدوية فى مطروح هما القـرابة والجوار المكانى - وعندما تكون القاعدة هى « القرابة » فهذا يعنى أن رجلا واحدا مع جماعته تحرك فى مساحة معينة من الأرض واستقر بها وأن الحقـوق التى حصل عليها عندئذ قد توارثها أسلافه ، وكثير من الجماعات البدوية التى تقيم بمطروح وقرية القصر والتى ترتبط فيما بينها بصلات الدم توارث أبناؤها فيما بينهم حقوق الأرض وقسموها فيما بينهم مثل عائلة الافراد فى مطروح وقبيلة العشيبات بالقصر وغيرها .

وعندما لا يكون أساس الجماعة القرابة وإنما الجوار المكانى فإن الجماعة التى تدعى حقوقا فى تلك المساحة تتكون من عائلات متعددة لا تنحدر من نسب واحد عام ويظهر مبدأ تأسيس حقوق لها بناء على مبدأ الاقامة المكانية ، فعائلة السويطية التى تقيم بالقصر والتى لا تنتمى إما لقبيلة العشيبات (على أحمر) أو قبيلة القناشات (على أحمر) أو لقبيلة على أبيض ولكنها اكتسبت حقوقها فى الارض بسبب الجوار المكانى والاقامة بنفس القرية .

وحيث يبدو المركز القانونى للحيازة هنا أكثر تعقيدا فإن كل قواعد الحيازة تكون مكتسبة ، وسواء أكانت تلك القرابة تقوم على حيازة أرض من جانب جماعة من العائلات لا ترتبط دمويا وإنما تسكن أراضى القرية فقط ، وفى مثل تلك الحالات يمكن أن يوجد عدد من العائلات التى تدعى حقوقا كاملة فى

1 — MEEK, C.K. OP cit, p. 1

كلا النسقين ، وقد يحدث تداخل فى حدود الأرض القرابية (التى قد تمتد لسنين طويلة) وأراضى القرية .

وليست كل تلك الحقائق النوعية لها الطابع الاقتصادى . بالاضافة إلى ذلك ففى بعض الأراضى حتى اليوم يوجد هناك حقوق خاصة أو عامة فى الأرض ليست لها أى مغزى اقتصادى على الاطلاق ، ولكن لها على سبيل المثال طابع دينى أو شبه دينى . فمثلا هناك مساحة كبيرة من الأرض بتربة القصر بمطروح تستغل لاقامة مولد سنوى للشيخ يونس الجرارى السنى المدفون فى تلك المنطقة وليست وضع يد لأية قبيلة أو عائلة بدويه بالاضافة إلى كثير من الزوايا السنوسية التى كانت قائمة فى الصحراء الغربية ومثل الأرض التى تقع بها زاوية أم الرخم السنوسية التى أقامها سيدى محمد السنوسى لحل المشاكل بين البدو .

كما أن نظم حيازة الأرض فى أى مجتمع تقليدى تتطلب الاهتمام ببيان العلاقة بين الانسان والأرض سواء أكانت هذه العلاقة أقتصادية أو اجتماعية أو سياسية أو قانونية والعوامل التى تشكل وتحدد حيازة الأرض كالقرابة والنظم السياسية والبيئة الجغرافية .

كما أن الحيازة تكتسب إما أبتداء أى بعمل يصدر من جانب الحائز وحده إذا لم يكن هناك حـائز سابق ، ومعظم أراضى الصحراء الغربية حازها البدو أبتداء إذ لم يكن لها قبل مجيئهم حائز سـابق ، وإما انتقالا من حائز سابق عن طريق القانون كما فى حالة الارث ، والمعروف أن بدو مطروح يتوارثون الأرض فى خط الذكور فقط وطبقا للشريعة الاسلامية ما عدا توريث البنت فى الأرض منعا لتفتيت الأرض أو انتقالها إلى جماعة قرابية أخرى غير جماعة الزوجة .

كما قد تنتقل الحيازة بمقتضى تصرف يصدر من الحائز وهـو العقد ، وقد

انتشرت لدى بدو مطروح الآن كثير من حالات انتقال الحيازة عن طريق العقود المكتوبة بين المتعاقدين والتى يشهد عليها عواقل القبيلتين التى ينتمى اليها كل من المتعاقدين أو قد تنتقل الحيازة بمقتضى تصرف يصدر من الحائز السابق وهو الوصية .

وتزول الحيازة إذا تخلى الحائز عن سيطرته الفعلية على الحق أو إذا فقد هذه السيطرة بأية طريقة أخرى . فالحيازة تزول إذا تخلى الحائز عنها باختياره او إذا فقدها بأية طريقة أخرى . (١)

مثال ذلك أن عرب الهنادى الذين كانوا يقيمون بالصحراء الغربية قبل مجىء أولاد عـلى اضطروا للتخلى عن حيازاتهم لتلك الأرض اجبارا بعد أن هزمهم أولاد على بمعاونة الجميعات واستولوا على تلك الأرض منهم .

فإذا ما انتقلنا إلى معنى الحيازة لدى بدو مطروح وهو المجتمع موضـوع البحث نجد أنهم يعرفون الحيازة بأنها « وضع يد على مساحة معينة من الأرض الصحراوية » . وقد قسمت الأرض بين بـدو الصحراء الغربية فى إجتماع يعرف باجتماع الحقفة بالأراضى الليبية ، وبمقتضاه إختصت كل قبيلة بمساحة معينة من الأرض الصحراوية ووضعت يدها عليها ، ولا يسمح لغيرها من القبائل بإستغلال تلك المساحة إلا وفقا لشروط معينة . والأراضى التى توجد بالصحراء الغربية تتنوع بين أرض الشعير وهى الأرض التى تزرع على مياه الأمطار التى تسقط فى فصل الشتاء أو على مياه الآبار الجوفية ، وأرض المراعى التى توجد فى المناطق

---

١ - طبقا لنص المادة ٩٥٦ من القانون المدنى ، وانظر أيضا عبد المنعم فرج الصدة الحقوق العينية المرجع السابق ص ٤٢٧

الداخلية من الصحراء البعيدة عن المنطقة الساحلية وأرض حـــدائق الزيتون والفواكه التى توجد بالقرب من الساحل الشمالى الغربى للبحر الأبيض المتوسط.

العوامل التى تحدد نظام الحيازة فى المجتمع البدوى :-

١ - تحدد أنواع المحاصيل وجودتها نظام الحيازة . فأراضى الحدائق تنتشر بها الحيازات الفردية ، أما المساحات التى تزرع شعـيرا فهى تنقسم بين حيازات فردية وحيازات جماعية ، بينما أراضى المرعى معظم الحيازات فيها جماعية وقد بدأت الأرض فى السنين الأخيرة بعد أن كانت حيازتها جماعية تتحول لـكى تصبح حيازة خاصة لكل بدوى .

٢ - شكلت البيئة القاسية وفقر الأرض كـثيرا من النظم الاقتصادية والقرابية والقانونيةوالسياسية للبدو ، وسبب ذلك الفقر البيئى إعتمادالبدوى على قبيلته اعتمادا كبيرا وأدت إلى التضامن القرابى المعروف لدى البدو وجعلت البدويقصرون ميراث الأرض على الأبناء الذكور فقطدون الإناث حتى لا تنتقل الأرض للغرباء كـما أنها جعلتهم يفضلون زواج بنت العم زيادة فى التضامن والتماسك القرابى ، ومن الناحية الاقتصادية لجـأ البدو إلى كثير من النظم فى مواجهة البيئة القاسية مثل نظام الزراعة بالمشاركة ونظام الزراعة بالمكاتفة ونظام عطية الأرض أو هبة الأرض ، وفى مجال الضبط الاجتماعى جعلت البيئة البدو يضمنون قانونهم العرفى مـوادا للمحافظة على نظام الحيازة وعقوبات توقـع على كل من يخالف القانون العرفى الذى وضعه البدو للمحافظة على ذلك النظام . كما أدت تلك البيئة بالدولة إلى أن تعترف فى قانونها الوضعى « بوضـع اليد » فى الصحراء الغربية بل وأن تقدم لهم المساعدات المختلفة كالشتلات الزراعيةوالبذور والتقاوى بأسعار رمزية تشجيعا للبدو على إستزراع الأرض الصحراوية .

٣ - كذلك تؤثر الميكنة الزراعية فى نظام الحيازة . فهى تستبدل وسائل الأفراد البسيطة بوسائل أكثر تقدما نتيجة لتعاون الجماعات . وينتج عن ذلك زيادة فى مساحة الأرض الزراعية . وقد زودت كـثير من الجمعيات التعاونية الزراعية بالجرارات على طول الساحل الشمالى الغربى . ويقوم البدو المشتركون فى عضويه تلك الجمعيات بإستئجار الجرارات التابعة لتلك الجمعيات واستغلالها فى حرث وزراعة أراضيهم الزراعية .

٤ - يتزايد الاهتمام بالدور الذى يلعبه ويقوم به الوسيط فى تسويق المحاصيل مما يؤدى إلى الاحتفاظ بالأرض أو فقدها ، وتقوم الجمعيات التعاونية الزراعية بالساحل الشمالى الغربى بدور الوسيط الذى يقوم بخدمة أعضائه بتوزيع تقاوى الشعير عليهم بأسعار رمزية وكذلك شتلات الفـواكه والتين والزيتون ، كما تقوم بتسويق منتجاتهم وبيعها لحساب أعضائها المساهمين بها .

٥ - كما تلعب العقيدة الدينية دورا كبيرا فى الحيازة . فالتمسك بأرض ضعيفة قد يرجع إلى أن الأسلاف والأجداد قد يكونون مدفونين بها ، وبعض تلك الأراضى قد تكون مقرا لأحد الأولياء أو ضريحا لأحد المشايخ من البدو الذين يعتقد البدو فى كراماتهم مثل مقر الشيخ عثمان الجميعى وضريحه الذى يقع فى مدخل مدينة مطروح وضريح الشيخ يونس الجـرارى السنينى بالقرب من قرية القصر بجوار مدينه مطروح .

٦ - فى المجتمع البدوى موضوع الدراسة نجد أن الحيازة تكون فى أرض القبيلة التى تتفرع منها القبائل الفرعية والعائلات ثم البيوت . (١)

---

١ - انظر الفصل الرابع من البحث بعنـوان « العلاقات القرابية وحيازة الارض » .

وثور الجدل فى المجتمع البدوى حول حق نساء البدو فى ميراث الأرض وهذا الموضوع لم توجه له العناية الكافية حتى الآن ، وفى المجتمع البدوى ليس للزوجات ولا للنساء الحق فى حيازة الأرض أو الانتفاع بها وذلك حتى لا تنتقل حيازة الأرض أو تنتقل نتيجة لزواج البنات إلى فروع قبلية أخرى قد لا تنتمى لقبيلة الأرض أو ترتبط معها بروابط قرابية . ولذلك يلجأ البدو - كما ذكرنا - إلى تفضيل زواج بنت العم حتى تصبح الحيازة داخل الجماعة القرابية فقط .

وتنظر القبيلة البدوية إلى أرضها باعتبارها منطقة يمكن أن يستغلها أى عضو من أعضائها ، ولكنها تحرم هذا الحق بالنسبة للآخرين إلا وفقا لشروط معينة .

٧ - إن كثيرا من المنازعات التى تقوم بين البدو على الأرض تقوم بحلها المجالس العرفية التى شكلها البدو والتى من بين اختصاصها فض مثل تلك المنازعات كما ارتبطت حيازة الأرض بالانتصار العسكرى والسياسى ؛ وكان انتصار البدو من قبائل أولاد على على قبيلة الهنادى المهزومة وطردها من الصحراء الغربية من أهم العوامل المؤثرة فى التاريخ البدوى ومجرى الأحداث (١) .

---

١ - صدر قانون حوالى عام ١٨٩٠ بأن أرض الصحراء ملك للدولة ، وقبلها كانت كل قبيلة بدوية تنزل فى أرض الصحراء الغربية ثم تضع يدها عليها ونتيجة لذلك ظهرت المنازعات بين القبائل على حيازة الارض ، واستمرت تلك المنازعات الى أن قامت الحرب العالمية الاولى فى عام ١٩١٤ وبعد نهاية الحرب الاولى عينت الحكومة محافظا انجليزيا فى المنطقة ، كما عينت لجان من نفس أهالى المنطقة لفض تلك المنازعات فى كل منطقة على حدة ، وقررت تلك اللجان أن الأرض ملك الحكومة وللعرب حق استغلالها والانتفاع بها فقط ، وقد ضايق هذا المبدأ البدو الذين يعتبرون تلك الارض ملكا خاصا لهم قبل مجىء الحكومة وهناك مثل عربى يشرح ذلك الموقف فيما يلى :
=

تطور نظام الحيازة لدى بدو الصحراء الغربية

فى عام ١٨٦٧ صدر القانون المدنى الذى نص على منح العربان فى بعض الجهات الصحراوية حق استغلال الاراضى فى تلك الجهات على أساس وضع اليد ، وتقرير حق ملكية الأراضى الصحراوية وذلك بزراعتها أو غرسها نخيلا أو إقامة مبان عليها .

كما لعب قانون المقابلة سنة ١٨٧١ دورا فى تطور الملكية الزراعية ، خصوصا الملكيات الزراعية الكبيرة . فهذا القانون الذى أجاز لكل من يدفع مرة واحدة ستة أمثال الضريبة الواحدة السنوية على الأرض التى فى حيازته ، تصبح تلك الأرض ملكا له مع أعفائه من نصف الضريبة المربوطة عليها ولم يستفد من هذا القانون بطبيعة الحال سوى كبار الملاك الزراعيين القادرين على دفع تلك الضريبة .

كل تلك العوامل قد أدت إلى ظهور طبقة من الملاك الزراعيين الكبار الذين أخذوا يتجهون بالنظام الزراعى نحو الرأسمالية ، ويستهدفون تثبيت الملكية الزراعية من ناحية والمشاركة فى الحكم من ناحية أخرى ، والعمل على تخفيف

= «... كان فيه واحد عنده رأس غنم ، سرقة واحد تانى ذبح رأس الغنم وسلخها وأخذ اللحمة وترك الجلد ، اللحمة أكلها عيال السارق والجلد مرمى جاه صاحب الغنم يبحث عن اللحمة والغنمة اللى راحت وجد الجلد ولقى شخص تانى أخذ الجلد وضربه ، فجاء الناس وقالوا : واحد أكل اللحمة وواحد انضرب بالجلد» .

فكأن البدو هم أصحاب الارض الاصليين الذين حازوها قبل مجىء الحكومة

عبء الضرائب عليهم . ولكنها لم تحاول تغيير علاقاتها بالفلاح فظل يدين لها بالتبعية كما كان من قبل .

ثم صدر أمر عسكري سنة ١٩٤٠ برقم (٦٢) نص فيه على أمر سابق من الحكومة لمن يريد التملك ومن لم يحصل على هذا الأمر يبطل حقه في الملكية .

ثم صدر قانون الاصلاح الزراعي في ٩ سبتمبر سنة ١٩٥٢ متضمنا : -

١ - تحديد ملكية الأراضي بمائتي فدان على الأكثر .

٢ - التصرف بالبيع أو التنازل للزوجة أو الأولاد عن مساحة لا تزيد عن مائة فدان .

٣ - تعويض الملاك بموجب سندات على للدولة بما يوازي عشر أمثال القيمة الإيجارية مضافا اليها ثمن المنشآت الثابتة ، على مدى ٤٠ سنة .

ثم صدرت قوانين يوليو الاشتراكية التي نصت على جعل الحد الأقصى لملكية الأراضي الزراعية مائة فدان ، ويعتبر في حكم الأراضي الزراعية ما يملكه من الأراضي البور والأراضي الصحراوية وتستولي الحكومة على الأطيان الزائدة نظير تعويض لتوزع على المنتفعين من الزراع . (١)

ثم صدر بعد ذلك القانون رقم ١٢٤ لسنة ١٩٥٨ فنظم تملك الأراضي الصحراوية على نفس الأساس الذي قام عليه الأمر العسكري رقم (٦٢) لسنة

---

١ - بلغت مساحة الأراضي التي تم الاستيلاء عليها لتوزيعها على صغار الفلاحين ٩٤٤،٤٥٧ فدانا ، وزع منها حتى عام ١٩٧٢ حوالى ٦١،٠٠٠ فدانا استفاد منها مايزيد على ٢٣،٠٠٠ ألف أسرة (أي ما يقرب من مليون فرد) . وذلك تطبيقا لقانون الاصلاح الزراعي .

١٩٤٠ ، وأصبح الأساس الذي تقوم عليه حقوق الملكية الجديدة الاعلان الرسمي عن طريق العقود المسجلة رسميا بالشهر العقاري .

وقد تطلب تنفيذ القانون الجديد حصر الملكيات وتقديم ما يثبت ملكيتها وإلا اعتبرت هذه الممتلكات ملكا للدولة . وقد واجه تنفيذ تلك الإجراءات صعوبات كثيرة خاصة ما يتطلب اجراء حصر الملكية والمستندات الدالة عليها من إجراءات طويلة لم يسبق القيام بها مما أدى إلى صعوبة التنفيذ حتى الآن .

ثم صدر القانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٦٤ بتنظيم تلك الأراضي الخاضعة لملكية الدولة محاولا بذلك تلافي العيوب التي وردت بالقانون رقم ١٢٤ لسنة ١٩٥٨ .

وقد شكل مجلس استشاري يضم ١٨ عضوا وذلك برقم ٨٣ لسنة ١٩٧٤ . بتاريخ ٢١ / ٢ / ١٩٧٤ ، ويختص المجلس باقتراح المشروعات العمرانية والسياحية الهامة وإجراء الدراسات اللازمة لهذه المشروعات التي تهدف إلى تنمية الساحل الشمالي الغربي اقتصاديا واجتماعيا والنهوض بالخدمات العامة والمرافق .

وقد شكلت من أعضاء هذا المجلس لجان فنية لإجراء الدراسات التفصيلية موضحة أسلوب تنفيذ كل مشروع والتكاليف اللازمة له والفترة الزمنية لإنجازه(١)

---

١ - شكل المجلس الاستشاري للتعمير محافظة مطروح برئاسة المحافظ وأعضاء عن التنظيم السياسي يمثلهم الأمين العام للاتحاد الاشتراكي بمحافظة مطروح وعضوي مجلس الشعب عن مطروح ووكيل المجلس الشعبي للمحافظة وأمين الخدمات ،

وبحث المجلس توطين البدو وتنفيذ المشروعات التى طرحها خبراء الأمم المتحدة على وزارة استصلاح الأراضى لتوطينهم بما فى ذلك من استقرار لهم والاستفادة بهم كقوة عاملة مؤخرة فى اقتصاديات المنطقة ، وتدبير الإعتمادات الكافية لتنفيذ بعض المشروعات مثل استصلاح المنطقة الواقعة بين الحمام والضبعة وتبلغ حوالى ٨٠ ألف فدان ، وانشاء السدود وحفر آبار جديدة لحجز مياه الأمطار وتطوير الآبار الرومانية الموجودة فى ربوع الساحل الشمالى وذلك لحجز مياه الأمطار والاستفادة بها فى زيادة لرقعة المنزرعة وزيادة المراعى اللازمة للأغنام والتوسع فى انشاء المشاتل واستنباط محاصيل وأنواع جديدة من المزروعات تتلاءم مع طبيعة الأراضى الصحراوية وانشاء مصانع لعصر الزيتون واستخراج الزيت لما فى ذلك من أثر كبير فى رفع أسعار هذا المحصول، وبناء قوة اقتصادية فى النجوع أى فى أماكن تجمعات البدو بطريقة مناسبة لمعيشتهم لتشجيعهم على الاستقرار .

وحل مشكلة المياه فى الصحراء الغربية ومدينة مرسى مطروح على الوجه الأخص

ويمثل الأجهزة التنفيذية سكرتير عام المحافظة وهو مقرر المجلس فى نفس الوقت ونائب رئيس مجلس ادارة مرفق مياه الاسكندرية وممثل وزارة النقل البحرى ومدير عام المنطقة الشمالية بالسكك الحديدية وممثل وزارة التعمير ومدير عام الطرق والكبارى بمطروح ومدير عام الاسكان ومدير عام الكهرباء ومدير المديرية المالية ومدير الجهاز التنفيذى للمشروعات الصحراوية وممثل وزارة المواصلات ومراقب عام التخطيط بوزارة السياحة : ويختص المجلس باقتراح المشروعات العمرانية والسياحية الهامة والتى تتمشى مع خطة تعمير الصحراء الغربية والتى يكون من هدفها تنمية الساحل الشمالى الغربى حرفيا واقتصاديا واجتماعيا . أنظر كتاب : محافظة مطروح: المجلس الاستشارى للتعمير ،دراسات وتوصيات المجلس بشأن خطة التعمير بالمحافظة يونيو ١٩٧٤ من ص١٠: ص ١٣

بإيجاد مورد مياه مستديم عن طريق انشاء فرع من الترعة النوبارية حتى الضبعة وانشاء محطة قوية للمياه لضخ مياه الشرب فى خط أنابيب حتى السلوم واستكمال خط مياه الصحراء الغربية والتوسع فى انشاء آبار مياه الشرب للبدو وزيادة المحطات التخزينية لمياه الشرب من ستة آلاف طن إلى خمسة عشر ألف طن .

والمشاريع السابقة إنما تهدف أساسا إلى توطين البدو وتغيير حياة البداوة بالتدريج . ولا زالت البداوة فى مجتمع مطروح تلعب دورا هاما بما لها من انعزالية وطبيعة جغرافية خاصة وتركيب اجتماعى معين يرتكز على العصبية ذات الأساس القرابى الصرف . وهى مرحلة متميزة عن مراحل النمو الحضرى للمجتمعات البشرية وسمة من سمات الحياة فى الصحارى نشأت كرد فعل إيجابى لظروف الحياة بها ، وهى بداية سعى البدوى الحقيقى من أجل التكيف مع الظروف الصعبة والقاهرة التى أحاطت به ، وارتكز هذا التكيف على قيم وعادات ونظم مكنته - أى البدوى - من أن يحافظ فى النهاية على حياته وحياة حيواناته . (١)

---

١ - الجامعة العربية : مؤتمر عقد بالأردن عن رعاية البدو وتحضيرهم وتوطينهم ، ١٩٦٥ الجزء الأول . ص٤٨٦ .

ومن المعلوم أن موارد هذه المنطقة لم تكن تسمح بتغطية احتياجات سكانها مما كانت تضطر معه الدولة لمساعدتهم بإعانات مالية وعينية سنويا ، وقد أنشئت هيئة تعمير الصحارى عام ١٩٥٩ وأوكل إليها النهوض بهذه المنطقة وتنميتها اقتصاديا واستصلاح الأراضى ومعاونة البدو على توطينهم، ومساعدة بدو المنطقة فى زراعة الأراضى المستصلحة عن طريق تدبير الشتلات وتوفير الإرشاد الزراعى والعناية بالثروة الحيوانية وتدبير الأعلاف لها خلال سنوات الجفاف وتوفير امكانيات الوقاية والعلاج للأغنام وتحسين سلالاتها ، وتدبير المواد المائية لشرب

وفى مصر تقع بين الصحراوين الأراضى المزروعة من وادى النيل . وتوجد عادة منطقة انتقال بين الصحارى الجافة والأرض الخصبة عندما تشغل أجزاء من المساحات المزروعة المتاخمة بالرعاة الذين لا يهتمون كثيرا بحرث الأرض . وتلك المساحات الانتقالية تبدو مع ذلك لا قيمة لها لأنها ستتحول بالتدريج إلى أن تصبح منزرعة بطريقة أو بأخرى .

وبالرغم من الجدب فى بعض الأجزاء حتى بالنسبة للبدو أنفسهم ، إلا أن الصحراء لم تكن أبدا خالية من سكانها الذين يقيمون بصفة منتظمة علاقات بجيرانهم المستقرين المجاورين لهم . وبالرغم من ذلك فإن التدفق المستمر للبداوة من الصحارى قد خلق مشاكل عديدة للسكان المستقرين .

وينقسم عرب مصر بما فيهم القادمون من ليبيا إلى أربعة أقسام : ـ

أ ـ « البداوة الكاملة » أو البدو الأنقياء فى سيناء وبعض أجزاء من الصحراء الشرقية والصحراء الغربية جميعاوهم يملكون الجمال ويعيشون فى خيام عادية مصنوعة

الانسان والحيوان والزراعة وتنشيط الحركة التعاونية والسياحة بالمنطقة، وإنشاء وحدات للرعى ، ووحدات بيطرية لعلاج أغنام المربين ، وتنفيذ مشروع أتفاقية فائض الغذاء العالمى لتحسين الثروة الحيوانية الذى عقد عام ١٩٦٣ لمدة ثلاث سنوات ، ومدت الأتفاقية عام ١٩٦٨ لمدة خمس سنوات أخرى إلا أنها ألغيت بعد السنة الثانية ، كما تقوم الهيئة أيضا بحصر السواقى ، وتركيب المراوح الهوائية عليها وصهر الآبار ، وتوزيع حصص أعلاف على المربين وانشاء الخزانات الأرضية لشرب الانسان بلغ عددها حتى عام ١٩٧٠ ١٣ خزان بسعة ١٥٦٠ متر مكعب . أنظر كتاب : « مشروعات التنمية بالساحل الشمالى الغربى ، الجهاز التنفيذى للمشروعات الصحراوية مايو سنة ١٩٧٢ م .

من شعر الماعز . والتنظيم القبلى لديهم قوى ؛ وكل قبيلة لها مساحتها الخاصة من الارض بالرغم من أن الحدود القبلية تكون دائما موضع نزاع .

ب ـ أشباه البدو الذين يشغلون شريطا من أرض ساحل البحر الابيض المتوسط وبعضه يبلغ عرضه ٢٠ كيلو مترا . وهم يقومون بزراعة الشعير والتين والزيتون وتسبب لهم ندرة الأمطار وعدم دوامها مصادر كثيرة للمتاعب والقلق بالنسبة للزراعة ، وتقوم القبيلة عادة بتقسيم العمل ، فجزء يتبع القطعان ، وجزء يزرع المحاصيل . وكلا القسمين له زعماؤه المختلفون، والذين يقومون بالزراعة يحكمهم العمد والمشايخ أو الزعماء المحليون .

ج ـ البدو الذين يشغلون المنطقة الزراعية الملاصقة للصحراء مباشرة . وهؤلاء يعيشون فى قرى خاصة بهم ، ويبنون منازلهم عادة بواسطة الحجارة بالرغم من وجود بعض الخيام أحيانا ، ويعملون كحراس لحماية المحاصيل الزراعية الخاصة بالفلاحين المستقرين ، وبالرغم من ذلك فهؤلاء البدو يحتقرون الفلاحين ولا يرتبطون بهم بالزواج وبمرور الوقت يصبحون كثيرى العدد ويجازفون بطلب قطعة أرض من التى يرعون فيها قطعانهم ويضطر المالك من الفلاحين عادة إلى قبول الثمن الاسمى الذى يقدم له حتى يتجنب العواقب السيئة .

د ـ البدو المهاجرون إلى المناطق الريفية . وهم يملكون الأرض ولكنهم لا يملكون قرى خاصة بهم ، ويندمجون كلية فى الزراعة ويفقدون بالتدريج تنظيمهم القبلى .

بالرغم من أنهم لا زالوا يعتبرون أنفسهم فروعا لقبيلة أو أخرى ويستمرون فى التزوج من بعضهم البعض داخليا . وفى النهاية يحدث الزواج الداخلى وبخاصة عندما يكون العرب نسبة قليلة من المجتمع . ويصبح التحول الكامل

من البداوة إلى الحضارة حتما عندما تمر عشرات من السنين ، وتحل علاقات جديدة محل العلاقات القديمة ويصبح العرب الذين ينتمون للأصل البدوى فلاحين لا يمكن تمييزهم عن الفلاحين المحليين وهذا التحول وضعت أمامه عقبة - لبعض الوقت - نتيجة للقانون الذى كان يستثنى البدو من الخدمة العسكرية ، ولكن هذا القانون منع بعد وقت قصير ما عدا فى حالة البداوة الكاملة . (١)

وتستخدم كلمة « عرب » بصفة عامة للدلالة على الجماعات القبلية سواء أكانت بدوية أو شبه بدوية أو مستوطنة ، وطالما أن تلك الجماعات لديها تنظيم قبلى يميزها عن الفلاحين المستقرين . ومعظم تلك الجماعات القبلية تدين بالاسلام وتتكلم العربية ولكنها ليست بالضرورة ذات أصل عربى وبخاصة فى أفريقيا(٢)

وتلجأ الحكومات إلى طرق مباشرة تهدف منها إلى الوصول إلى درجة من التوطين عن طريق تشييد خطوط السكك الحديدية وطرق مرور السيارات التى تؤدى إلى ظهور المجتمعات المستقرة ، وتوفير الماء للزراع ، سواء بتخزين مياه النهر فى وقت الفيضان أو تخزين مياه الأمطار القليلة أو المياه الجوفية . ومن المعتقد أن التحقق من جانب البدو أنفسهم « بأن الحياة البدوية لم يعد لها طويلا نفس (الجاذبية) قد يساعد على قبولهم لحياة التوطين .

---

1. AWAD, M, 'The assimilation of NOMADS in EGYPT'. The Geographical review X.L.V., N.2, 1954, p p. 240 - 252. From NOMADISM and sedentarisation in the ARAB world. ASELECT annotated Bibliograbhy by A M.ABOU-ZEID. op. cit.
2. AWAD, M, 'Settlement of N OMADIC and SEMI NOMADIC tribal groups in tte middle East, International labour review Vol. LXXXIX, No 1, January 1959, p. p. 2› 56. (Maps).

حيازة الأرض والتنمية : - وإلى جانب وضع السياسات المحددة للتوطين بالنسبة للبدو يمكن الاعتماد على تأثير التنمية على المصادر الاقتصادية بتنفيذ مجموعة من المشاريع الغير اجبارية والتى تترك التطور التدريجى للمجتمع والنظم الاجتماعية فى كل مظاهرها المختلفة ، وقد تأخذ تلك العملية عدة أجيال يسمح فيها للروح القبلية بالاندماج التدريجى فى الروح القومية ومن خلال الأنشطة المتعاونة للدولة الحديثة . (١)

وتتحقق تنمية المجتمعات الصراوية ببذل مجموعة جهود - حكومية أو شعبية عن قصد وبغرض إحداث نوع من التغير النامى فى حياة الأفراد والجماعات والمجتمعات البدوية وبما تشمله هذه الحياة من جوانب متنوعة ومتعددة وفى إطار من السياسة العامة للدولة . (٢)

وعموما فالبداوة بنظمها الخاصة فرضت على البدوى أشكالا معينة من التنظيم السياسى ، ولكن تغيير ظروف البدوى الاقتصادية وتمكينه من المساهمه فى الحياة الحديثة يتطلب تكييفه حضاريا لهذه الحياة بحيث يستطيع أن يتقبلها بدون مصاعب وإن تسيير نمط الحياة البدوية الاجتماعية بالنسبة للسكان بصفة عامة

---

1. AWAD, M., 'Settlement of NOMADIC and SEMI NOMADIC tribal groups in tte middle East, International labour review Vol. LXXXIX, No 1. 1959, p. p. 54 - 55.

٢ - يراعى فى التنمية رغبة الأهالى حتى تتجاوب المشروعات المنفذة أو المقترحة مع الناس لمقابلتها لاحتياجات حقيقية لديهم واشتراكهم فى جميع مراحل التنمية ضرورى لنجاحها ومراعاة الحاجات المختلفة والمتغيرة للبدو ، كما أن تملك الدولة لزمام المبادأة أمر ضرورى لنجاح مشروعات التنمية والايمان بالتخطيط كأساس لمشاريع التنمية .

وبالنسبة للأفراد بصفة خاصة وصياغة هـذه الحياة العامة والبدوية فى قالب اجتماعى حضارى مسألة معقدة وستؤدى إلى خلق مشاكل اجتماعية أخرى معاكسة إن لم تعالج بصورة صحيحة ويمكن اجتذاب البدو بصورة ترغيبيه لقبول الحياة الجديدة ويتم هذا بعرض الأمثلة عليهم بالاقتناع والنصح ، وتنظيم شكل حياتهم بوسائل تثقيفية غير آمرة ، وتجنب استخدام الوسائل الآمرة المباشرة للوصول إلى هذا الهدف (١) .

كذلك فإن البداوة من ناحية أخـرى ، تعوق خطط التنميـة الاقتصاديه والاجتماعية للموارد الطبيعية والبشرية معا، باعتبارها عاملا سلبيا أمام مشروعات التنمية فى كل مراحلها . ذلك أن التنمية لا تقوم إلا على قدر من التخطيط الشامل الذى يحصر الموارد ويحدد الامكانيات ويرصد الحاجات ويقـدر التكاليف ويحسب الزمن ويرتب الاولويات ، وهذا كله أو بعضه ، لا يستلزم رقابة كاملة وحسب ، على المقدرات القومية ، الأمر الذى يتحقق فى حالة البداوة ، وإنما يستدعى ذلك وعيا من المجتمع بأهداف التنمية واستجابه لها وتعاونا معها ، وهو

---

١ ـ تعتبر دراسات البداوة العربية هامة لأن البدو يكونون قطاعا غير هـين من المجتمع العربى ، ولأن الكثير من القيم البدوية لازالت حية فى المجتمع العربى عن طريق إرتباطها بالاسلام منذ ظهوره ، وعن طريق الولاء القبلى فى كثير من أرجاء العالم العربى ، ولأن انتقال البدوى من حياة البداوة إلى الحياة الصناعيـة عملية يحوطها الكثير من الصعاب وألوان الصراع . وأخيرا لأن هذه الدراسـات تضيف إلى معارفنا ذخيرة ثمينة حية إلى ما نعرفه عن التغيير الاجتماعى . وهى دراسة جديرة بأن تسهم فى تأكيد أو نفي الكثير من الفروض التى نهتدى بها فى الدراسات الانثربولوجية .

أمر لا يتحقق بدوره فى حالة البدو ، الذين تقل مشاركتهم القومية نتيجة لعزلتهم الإجتماعية والإقتصادية الموروثة .

ولما كانت بلادنا منذ القدم تعتمد على الزراعة التى لا تقوم إلا حيثما تتوفر الموارد المائية ، لذا كان المورد الاقتصادى الرئيسى هو المـاء ، لذلك نشأت مجتمعاتنا وتشكلت طبيعتها وفقاً للمورد المائى ، فنشأ مجتمع النيل على ضفاف النهر ونشأت مجتمعات أخـرى بالصحارى حيث يوجد المورد المائى بصورة أو بأخرى ، وتشكلت هذه المجتمعات بالشكل الذى أملته طبيعة هذا المورد فظهر مجتمع المطر على الساحل حيث إرتفع المعدل السنوى للامطار إرتفاعا نسبيا وتكون مجتمع الآبار فى الواحات حول الآبار والعيون .

ولاشك أن كل مجتمع فى هذه المجتمعات الصحراوية يتسم بالطابع الذى تمليه طبيعة المورد المائى ، فمجتمع المطر على الساحل يتسم بالترحال المستمر سعيا وراء المرعى اللازم لغذاء الأغنام التى تعتبر المصدر الأساسى للرزق ، كما يعيش هذا المجتمع حياة قبلية شبه منعزلة فيما يشبه الاكتفاء الذاتى ، وفى محاولة تنمية هذا المجتمع يكون الترحال مشكلة معوقة تستلزم العلاج بصورة أو بأخرى بمعنى أن تقتصر على ما هو ضرورى لإستغلال المورد الإقتصادى وتنظم على أحسن صورة مناسبة لذلك ثم تخطط الخـدمات ليكون جانب منها فى شكل متحرك وراء الرعاة لخدمتهم وجانب آخر ثابت فى مراكز التجمعات السكانية المستقرة للزراعة والتجارة والحرفيين لتعمل كمراكز جذب سكانى تتطور إلى نوايات للقرى الجديدة .

أما مجتمع الآبار فإنه يتخذ صورة تجمعات متناثرة متباعدة تعيش على الزراعة التقليديه التى تمارس حول الآبار والعيون المتباعدة ، وتعيش هذه المجتمعات فى

شبه انعزال عن وادى النيل لبعدها عنه كما تعيش أيضا فى شبه إنعزال عن بعضها إلى حد كبير لتباعد مصادر المياه عن بعضها ، وإذا راعينا صعوبة الطرق وندرة أسباب المواصلات فيها لأمكن تقدير صعوبة أعمال التنمية لهذه المناطق وضرورة اتباع الأسلوب الذى يواجه الصعوبات ويتفق معها .

ونظراً لأن أعمال التنمية الاقتصادية لهذا المجتمع تقوم على الآبار باعتبارها المورد الوحيد للمياه فإنه يلزم ربطها بالطرق والمواصلات اللازمة وكذلك إقامة الخدمات التى تتسم بطابع الحركة والتنقل حول هذه التجمعات إلا أنها فى هذه الحالة تكون أبسط حركة وأوضح شكلا من الحركة المطلوبة لمجتمع الأمطار .

وفى المناطق الصحراوية التى تستصلح على مياه النيل تتشكل الآن مجتمعات جديدة هى فى الواقع أقرب شبها بالبيئة الأصلية على صفاف النيل ولا تختلف عنها إلا فى أنها بيئة جديدة ومجتمع جديد .

وقد ظل البدو لطبيعة حياتهم الإقتصاديه القائمة على الحركة الواسعة من ناحية ، ولطبيعة تكوينهم الإجتماعى القائم على الفكرة الزمنية الممتدة من ناحية أخرى ، ظلوا يفوتون القيود المكانية ، فلم تدخل الحدود السياسية فى حسابهم بل استمروا يمارسون تكاملهم ووحدتهم فوق هذه الفواصل دون أعتبار للقيود السياسية .

ثم إنهم ، فيما وراء ذلك ، ظلوا يقيمون علاقاتهم القرابية على أسس زمانية تتخطى المكان . ومهما يكن من أمر فان البداوة منظور اليها فى إطار الحضارات القومية الحديثة مشكلة أساسية من مشكلات التنمية الاقتصادية والإجتماعية ، وهى تفرض نفسها بقوة على المجتمع العربى المعاصر ، وان كان حجم البداوة نفسها

سواء فى مدلولها البشرى أو فى معطياتها الإقتصادية من العوامل المؤثرة فى بذل الجهد المتصل فى مواجهتها ، وان كانت الوسائل إليها مختلفة لاختلاف ظروف الحكم والادارة والنظم الاقتصادية والامكانيات الفنية ، والموارد الطبيعية والمالية . (١)

إنتقال بعض القبائل البدوية إلى مصر (الصحراء الغربية)

قامت حروب بين القبائل البدويه بليبيا كانت من نتيجتها هزيمة أولاد على من جانب قبيلة الحرابى التى تقطن الجبل الأخضر بليبيا ، ثم تم الصلح بين القبيلتين فيما بعد على أن تنزح قبيلة أولاد على إلى الصحراء الغربية بمصر ويكون الحد بينها وبين قبيلة الحرابى غربا هو جبل أبو حجاج بالسلوم كحد فاصل بين القبيلتين ، وكان ذلك

---

١ ـ أوصت الحلقة الدراسية الخاصة بالانعاش الاجتماعى للدول العربية فى الشرق الأوسط ، المنعقدة ما بين ٩ ١٩ ، ١٩٥٤ بضرورة التنسيق والتعاون بين الحكومات المحلية والمنظمات الدولية ، لحل مشاكل البداوة والتوطين وبضرورة أنشاء ادارة أو هيئة فى كل دولة وتكون مسئوليتها دراسه الظروف المعيشية للبدو والقبائل المستقرة واعداد الدراسات الاحصائية واجراء التنمية الاقتصاديه للبدو، واعداد البحوث الخاصة بالحياة البدوية والوسائل اللازمة للاستقرار . كما أوصت منظمة العمل الدولية بوضع سياسة تنسيق وتعاون بين حكومات دول الشرق الاوسط وشمال أفريقيا ، مع المنظمات الأقليمية والدولية لحل مشاكل البداوة والتوطين ، كما أوصى خبراء المنطقة بضرورة أتباع السياسة الشاملة لمقابلة هذه المشاكل أنظر : ـ

Technical meeting on problems of NONADISM and Seden —
— tarization I . L . O . 1964 .

حوالى عام ١٠٠٠ هجرية ، ولما وصل أولاد على الى الصحراء الغربية وجدوا بها قبائل الهنادى (التى تقيم حالياً بالشرقية) وقبائل الجميعات وبعد مدة قصيرة تم الاتفاق بين أولاد على والجميعات على طرد قبائل الهنادى من الصحراء الغربية وحاربتهم . وفعلا قامت الحروب بين قبائل أولاد على والجميعات من جهة وبين الهنادى من جهة أخرى وتم فيها الانتصار للفريق الأول الذى طرد الفريق الثانى من الصحراء الغربية إلى البحيرة فى بادىء الأمر إلى أن أستقر الفريق المهزوم فيما بعد بالشرقية . ونظرا لمساعدة الجميعات لأولاد على فى حربهم ضد الهنادى بالمال والطعام والسلاح أتفق أولاد على مع الجميعات على أن يدفع لهم الجميعات ما يشبه الجزية نظير حماية أولاد على لهم ، وهكذا استقر أولاد على بالصحراء الغربية وكانوا يتحركون وراء الماء والمرعى . وقد استعان خديوى مصر آنذاك بقبائل أولاد على لضرب الغـــزو الفرنسى غرب وجنوب اسكندرية إبان مجيء الحملة الفرنسية على مصر ، واستعان بهم الخديوى مرة أخرى للقضاء على ثورة عمر المصرى بالوجه القبلى (وكان زعيما لقبيلة الجوزى بالمنيا) وانصافا لموقف أولاد على من خديوى مصر ومساندتهم له فى حروبه أعفاهم الخديوى من الجندية وظل هـــذا الاعفاء ساريا حتى عام ١٩٤٧ عندما ألغيت الامتيازات الأجنبية للمصريين والأجانب على السواء .

وأثناء الحرب العالمية الأولى ساهم أولاد على فى الجهاد مع أحمد الشريف السنوسى بليبيا ضد الإيطاليين ، كما ساهموا مع محمود عزام (باشـــا) وعمر المختار ومحمد صالح حرب وعزيز المصرى فى ضرب الإيطاليين بليبيا بالجبل الأخضر. ثم إشتركوا فى ضرب الإيطاليين مرة أخرى وانخرطوا فى الجيش السنوسى عام ١٩٤٠ أثناء الحرب العالمية الثانية .

وقد حدث كثير من التطاحن واراقة الدماء بين القبائل على ملكية الأراضى الواقعة بين وادى النيل وهضبة السلوم، وتدخل السادة السنوسيون مرات عديده للقضاء على ظاهرة القتل واراقة الدماء ولتحقيق الصلح بين هـذه القبائل ، ومنذ حوالى ١٠٠ سنة تقريبا تم الاتفاق على أن كل قبيلة بحكم وجودها على الأرض تأخذ الأرض الواقعة فى زمامها مع إحترام حيازة الأفراد الذين ينتمون إلى قبائل أخرى فى منطقتها نظراً لأنهم قاموا بإصلاحها واستقروا بها . وبوجود الحكومة المصرية والزوايا السنوسية التى تنشر السلم والهداية مما ساعد على استتباب الأمن وزيادة العمران وإقامة المبانى والغراس وتعليم الأبناء.

نتائج الفصل الأول

يتضح لنا مما ذكرناه فى هذا الفصل من تعاريف للحيازة فى المجتمعات المختلفة أن الحيازة تعنى امتلاك الأرض وفقا لشروط معينة ، وهى فكرة تقتضى وجود حقوق معينة لشخص أو جماعة دون غيرهم بإستخدام هذه الممتلكات أو التصرف فيها ، واصطلاح حيازة الأرض Land Tenure إصطلاح واسع ، فهو قد يعنى ملكية الأرض ، أو حق الانتفاع بالأرض دون تملكها ، أو شيئا بين الاثنين .

فإذا ما انتقلنا إلى معنى الحيازة لدى بدو مطروح نجد أنهم يعرفون الحيازة بأنها « وضع يد » على مساحة معينة من الأرض الصحراوية عن طريق السبق فى الوصول إليها وزراعتها وتنظيفها من الحشائش الضارة وغيرها وعمل علامات عليها سواء بقطع الحجارة أو السلك وجعل الحيازة ظاهرة وواضحة بدون غموض ولا اخفاء .

فإذا ما إنتقلنا إلى أرض المرعى نجد أنه لم تكن هناك فكرة واضحة عن تكوين ملكية فردية على مثل هذا النوع من الأرض . ذلك أنه لا يوجد مثل هذا الارتباط الوثيق بين الراعى وبين الأرض ـ حيث ترعى حيواناته ـ كما هو موجود بين الزارع وبين الأرض التى نظفها وحفرها بيديه .

ولقد إختلفت النظم فيما يتعلق بحقوق الحائز فى حيازته . وترجع هذه الحقوق جميعا إلى مبدأين رئيسيين أحدهما دوام الحيازة ، وثانيهما حرية التصرف . ودوام الحيازة معناه أن الحيازة تنتقل إلى من يوصى له الحائز الأصلى أو إلى من تقرر النظم الإجتماعية إنتقالها إليه من أقربائه عن طريق

الميراث ، بينما تعنى بحرية التصرف الحق فى إستغلال الأرض أو التبرع بها أو وقفها أو تأجيرها ... الخ .

كذلك يتضح من هذا الفصل أنه من الصعب أن نتكلم عن نظام واحد لحيازة الأرض ونزعم أنه يمثل الشكل السائد للملكية فى كل المجتمعات ، إذ الواقع أن ثمة نظم كثيرة مختلفة ومعقدة إلى أبعد حدود التعقيد نظراً لارتباطها الوثيق بالبناءات الاجتماعية المختلفة التى توجد فى هذه المجتمعات .

وهناك عوامل معينة محددة لأسس الحيازة ، وتلك العوامل تتعلق بالنظم الاقتصاديه والايكولوجية والدينية والقرابية لأى مجتمع من المجتمعات .

وقد أقر الاسم بعض أنواع الحيازة المعروفة كالحيازة الفرديه التى تتعلق بفرد معين لا يشاركه فيها غيره ، والحيازة الجماعية المحدودة النطاق التى تتركز فى أسرة أو عائلة ، والحيازة العامة الواسعة النطاق مثل ملكية الدولة لجميع ما يشتمل عليه سطح أرضها وباطنها .

ولقد كانت جميع أراضى مطروح وضع يد للبدو إلى أن صدرت قوانين أخيرة تنظم عملية تملك الأراضى الصحراويه والانتفاع بها . وتلك القوانين فى جملتها تهدف إلى توضيح أن البدوى لم يعد اليوم مستقلا سياسياً وإنما صار يخضع لقوانين الوحدة السياسية التى يعيش فيها .

ونتيجة لذلك فقد زاد الاهتمام خلال السنين الأخيرة سواء عن طريق الحكومات العربية أو الجامعة العربية أو بواسطة المنظمات الدولية بتوطين وإستقرار البدو وأشباه البدو فى العالم العربى . وتختلف الجهود المحلية فى هذا

المجال إتساعا فى طبيعتها ومجالها إما عن طريق وضع سياسة محددة لتوطين البدو ، أو الاعتماد على تأثير التنمية المعتاده للمصادر الإقتصادية وخدماتها الإجتماعيـــة .

وتتحقق تنمية المجتمعات الصحراويه ببذل مجموعة جهود عن قصد وبغرض أحداث نوع من التغيير النامى فى حياة الأفراد والجماعات والمجتمعات البدوية وبما تشمله هذه الحيـاة من جوانب متعددة ومتنوعة وفى إطـار من السياسة العامة للدولة .

وعموما فالبداوة بنظمها الخاصة فرضت على البدو أشكالا معينة من التنظيم السياسى والأدوار والمكانات الإجتماعية ، ولكن تغيير ظروف البدوى الاقتصادية وهى تفرض نفسها بقسوة على المجتمع العربى المعاصر ، وان كان حجم البداوة نفسها سواء فى مدلولها البشرى ، أو فى معطياتها الاقتصادية من العوامل المؤثرة فى بذل الجهد المتصل فى مواجهتها ، وان كانت الوسائل اليها مختلفة كاختلاف ظروف الحكم والادارة والنظم الاقتصادية والامكانيات الفنية والموارد الطبيعيه والمـالية .

كذلك يتضح من هذا الفصل أن حيازة الأرض سببت كثيرا من المنازعات والصراعات من أجلها . وقد حدث الكثير من التطاحن واراقة الدماء بين القبائل البدوية على ملكية الأراضى فى الصحراء الغربية مما أدى إلى تدخل الدولة مرات عديدة لحسم تلك الخلافات وفى الأحـوال التى لم يستطع فيها القانون العرفى تقديم مثل تلك الحلول وذلك عن طريق اصدار التشريعات والقوانين التى تكفل الحد من تلك المنازعات وتحقق فى نفس الوقت الاستفـادة بطريقة أفضل وأجدى من تلك الأراضى .

ان الوصـول الى تعريف محـدد لمعنى حيـازة الأرض فى المجتمع البدوى ومقارنته بنظم الحيازة فى المجتمعات المختلفة تعتبر مدخلا رئيسيا وهاما للفصول التالية من البحث وبخاصة للفصل الثانى الذى يعرض لحيازة الأرض عند البدو وعلاقتها بالنسق الايكولوجى .

الفصل الثاني

حيازة الارض والنسق الايكولوجي

تعريف الايكولوجيا :

كان ارنست هيكل ERNEST HEACHEL أول من عرف كلمة ايكولوجيا Ecology بأنها : محصلة لكل علاقات الكائن بالبيئة العضوية والغير عضوية .

ولقد دفع هذا التعريف بشموله بعض المؤلفين إلى القول بأنه لو كانت الايكولوجيا هى هذا ، فلم يبق شىء ليس ايكولوجيا الا النذر اليسير .

والايكولوجيا تتعلق بأمور أربعة هى : التوالد ، والارتقاء ، ووظائف الأعضاء ، والسلوك . (١)

وعلى هذا التفسير الشامل فان « الايكولوجيا » تضم كل من هذه الموضوعات ومن هنا نشأت الحاجة إلى تعريف أدق .

ولقد حدد تشارلس التون فى عام ١٩٢٧ فى كتابه « ايكولوجيا الحيوان » تعريف الايكولوجيا بأنها « تاريخ طبيعى علمى » وعلى الرغم من أن هذا التعريف يبين لنا فعلا أصل المشكلة الايكولوجية إلا أنه تعريف غامض .

وقام يوجين أودم عام ١٩٦٣ بتعريف الايكولوجيا بأنها « دراسة الطبيعة من حيث البناء والوظيفة » وهذا التعريف يبرز لنا فكرة الشكل والوظيفة إلا أنه تعريف ينقصه الوضوح الكامل .

---

1 — CHARLES J. KREBS : 'Ecology' The Experimental Analysis of distribation and abundance. HARPER and ROW, Publishers. Newyork. 1972. p. 6.

وقد عرف « أندروأرثا » سنة ١٩٦١ الايكولوجيا بأنها دراسة علمية لتوزيع وتوافر الكائنات العضوية ، وهى تعريف استاتيكى تنقصه فكرة العلاقات .

ولقد اهتم الانسان بالايكولوجيا بطريقة عملية منذ زمن بعيد . ففى المجتمع البدائى يحتاج الفرد لكى يبقى على حياته إلى معرفة محددة عن بيئته مثل القوى الطبيعية والنباتات والحيوانات المحيطة به . ولقد بدأت الحضارة حقيقة عندما تعلم الانسان كيف يستعمل النار والأدوات الأخرى فى تطويع بيئته . ومازال ضرورياً ومهماً الآن أن يكون الكائن البشرى ملماً ببيئته وذلك اذا ما أردنا لحضارتنا المعقدة أن تظل باقية،وحيث أن قوانين الطبيعة الرئيسية أصبحت غير مرفوضة كلية اللهم إلا بعض التغيرات التى حدثت فى علاقاتها الكمية والمعقدة الى جانب الزيادة السكانية الهائلة فى العالم فى السنين الأخيرة .

ولقد تطور علم الايكولوجيا — مثل كل العلوم — تطوراً تدريجياً عبر التاريخ فلقد تضمنت كتابات هيبوقراط ، وارسطوطاليس ، وفلاسفة العصر اليونانى المادة التى توضح وضع الايكولوجيا فى الطبيعة . بينما كان الأدب اليونانى لايتضمن أى كلمة واحدة عنها .

وإذا نظرنا الى ميدان البيولوجيا نجد أن علم الايكولوجيا ما زال علماً محدوداً ،ومنذ سنة ١٩٠٠ وفى السنوات القليلة الماضية أصبحت الكلمة جزء من اللغة العامة التى يمكن أن يجدها الفرد ويطلع عليها فى احدى المقالات .

وكلمة ايكولوجيا آتية من الكلمة اليونانية GREEK DIKOS وهى تعنى السكن أومكان المعيشة وعادة تعرف الايكولوجيا بأنها دراسة علاقة الأعضاء أو

الجماعات ببيئتهم أو هو علم العلاقات الداخلية بين معيشة الأفراد وبيئتهم . (١)

فالايكولوجيا تتناول العلاقات الوثيقة بين الفرد وبيئته، كما أن للعوامل الايكولوجية تأثير كبير على البناء الاجتماعى (١).

والايكولوجيا هى دراسة علمية للتفاعلات التى تحدد توزيع وتوافر الكائنات العضوية . (٣)

وبما أن الايكولوجيا تهتم كثيراً ببيولوجيا الأفراد والجماعات المحلية فإنه يستحسن أن نعرض للتعريف الحديث للايكولوجيا وهو دراسة العمليات البنائية والمؤقتة للسكان ، والمجتمعات المحلية والأنظمة الايكولوجية الأخرى ، وكذلك العلاقات الداخلية للأفراد الذين يشكلون تلك الوحدات وهى العلم البيولوجى للعلاقات الداخلية فى البيئة. (٤)

الخصائص الجغرافية للمنطقة

لكل مجتمع اقليم خاص به ويشمل رقعة محددة من الأرض ، وتحيط به ظروف جغرافية وبيئية معينة تؤثر بطريق مباشر أو غير مباشر فى الحياة الإجتماعية والاقتصادية والثقافية السائدة فيه وتطبعها بطابع معين . وفى حالة المجتمعات المتخلفة والبدائية التى لم تقطع شوطاً كبيراً فى مجالات التقدم الفنى والتكنولوجى والثقافى بدرجة تسمح للناس بالتغلب على هذه الظروف والعوامل

---

1 — EUGENE P. ODUM : 'Fundamentals of Ecology.' W.B. SAUNDERS Company U.S.A. Philadelphia. 1957. p. 3.

2 — THAYER SCUDDER.'The Ecology of the GWEMBE TONGA' Manchester University press. 1962. preface, p, 157.

3 — CHARLES J. KREBS: 'Ecology.' op. cit. p. 7

4 — EUGENE p, ODUM:, 'Fundamentals of Ecology' op. cit, p. 4

يظهر أثر البيئة قويا واضحا بشكل لا يتوفر فى المجتمعات الأكثر تقدما وتطـــوراً . (١)

ولا يمكن القيام بأى دراسة أنثروبولوجية لأى مجتمــع دون التعرف على البيئة الطبيعية التى يوجد فيها .(٢)

والعوامل الايكولوجية لا تعكس إعتماد الإنسان على الطبيعة فحسب وإنما تعكس التفاعل الاجتماعى بين الجماعات عن طريق العلاقات البنائية المتداخلة (٣)

وكل نظم البدو الاجتماعية فى هذه المنطقة والاقتصادية بل والسياسية تتوقف على تأثير البيئة الجغرافية وتأثرهم بها .

وتقع محافظة مطروح فى الجزء الشمالى من الصحراء الغربية بجمهوريه مصــر العربية الذى يمتد من الاسكندريه إلى الســلوم على الحدود الليبيـــة غربا بمسافة ٥٤٠ كيلو متر ، وتمتد الصحراء الغربية من وادى النيــل حتى ليبيــا على مساحة تبلغ ٦٨١ ألف كيلو متر مربع ، وهى من أكثر جهات العــالم جفافا ، وتتباعد موارد المياه فيها حتى لقد يفصل الواحد عن الآخر مئات الكيلو مترات .وتنقسم المحافظة جغرافيا إلى أربعة مناطق : (٤) .

---

١ ـ دكتور أحمد أبو زيد : « البناء الاجتماعى » الأنساق . المرجع السابق ص ٩ ، ١٠ .

2 — Notes and queries on Authropology. Six edition, R. and KEGAN PAULL E.T.D. 1960. p. 35.

3 — EVANS-PRITCHARD, E E, 'The NUER.' LONDON, 1950. p. 94.

٤ ـ الجهاز التنفيذى للمشروعات الصحراوية : « مشروعات التنمية بالساحل الشمالى الغربى » مايو سنة ١٩٧٢ . المقدمة .

المنطقة الساحلية

وهى عبارة عن الشريط الأخضر الذى يطوق ساحل البحر الأبيض المتوسط، وهذا الشريط الساحلى تكون من رواسب ناتجة عن سيول الأمطـــار المتجمعة والمندفعة فى إتجاه البحر . ويتراوح معدل سقوط الأمطـار فى هذه المنطقة ١٥٠ مم سنويا فى المتوسط ، وتبلغ مساحتها حوالى ٣٫٨ مليون فـدان ، وهى تمتاز بارتفاع طفيف فى معدلات سقوط الامطار . وتختلف الأمطار من حيث الكمية من عام إلى عام ومن مكان إلى آخـر ، وبينما يهطل المطـر بشدة فى مكان ما فإنه يمتنع عن مكان آخر قريب جدا من الاول ، وتهطل الأمطار فى فصل الشتاء فى مناطق معلومة مبعثرة يعرفها البـدو ، ويبلغ عرض المنطقة التى تتمتع بسقوط الامطار حوالى ٤٠ ميلا تقريبا ولا تتعداها داخليا الا نادرا . وليس بها مياه جوفية بالمعنى المعروف وإنما تتمثل مصادر المياه فى الرشح الناتج من تسرب مياه الامطار خلال التربه داخل الصحراء ، كما تتمثل فى مياه البحر المتسربه خـلال الكثبان الرملية الممتدة على مساحات كبيرة بجـــوار الساحل ، وهذه المصادر تكون فى الحالتين طبقة يستفاد بها فى رى وانبات بعض الشجيرات التى لا تحتاج إلى كثير من المياه مثل التين والزيتون واللوز ، وهناك مصادر أخرى للميـاه هى الآبار الرومانية الموجودة منذ القدم والتى تعتبر مستودعات للميـــاه الناتجة من الامطار ، ويقدر عدد هذه الآبار بحوالى ٧٠٠٠ بئر تقريبا ، ويستخدمها السكان كمصادر لمياه الشرب وسقى الحيوان . (١)

---

١ ـ يسقط المطر فجأة وبغزارة مصحوبا بالرعد والبرق وطـــول سقوطه فتتجمع المياه وتسيل فى الأودية والمنخفضات ، وينتظر البدو المطر لزراعة الشعير وسقى الأغنام . ويطلق البدو على العام الغزير الأمطار والسنوات الممطرة أسم

فسقوط المطر يحدد إذن مناطق نمو النباتات وبالتالى يحدد التوزيع البشرى ويفرض طريقة معينة للحياة . (١)

وتتكون معظم الصخور السطحية فى تلك الجهة من الحجر الجيرى .

المنطقة الوسطى :

وهى تقع جنوب المنطقة الساحلية ، وتشمل هضبة ليبيا والجرف الكبير ومنخفض القطارة وأراضيها هضاب وأراضى منخفضة ذات تربة خشنة وعرة تتخللها أحيانا الجروف والأخاديد البارزة ذات الأحجار الجرانيتية والبلوريه .

وتتألف الصخور السطحية بصفة عامة من الحجر الجيرى فى الشمال والحجر الرملى فى الجنوب .

والمنطقة شبه صحراوية تقع فى أقصى شمال اقليم الصحراء الغربية وتنحصر بين خطى طول ٢٠° ، ٣٢° شرقا ، وبين خطى عرض ٣٠° ، ٣١° شمال خط

سنوات الصبايا ، ويستغرق فصل الأمطار خمسة شهور إذ يبدأ فى أواخر اكتوبر ويستمر حتى أواسط مارس ، وأحيانا تسقط بعض الأمطار فى شهر مايو . وتتكون تلك المنطقة من الأراضى الخصبة المنزوعة حول البحر الأبيض وعلى طوله من غرب الأسكندرية وحتى الحدود الليبية المصرية ويحيط بها البحر شمالا وتمتد من ٢٠ - ٥٠ كيلو مترا جنوباً وتصل لأقصى عرض لها شرقى مريوط ، ولكن يصبح هذا العرض أضيق غربا حتى يختفى تقريبا عند السلوم . أنظر مشروعات التنمية بالساحل الشمالى الغربى ، جهاز المشروعات الصحراوية . مايو ١٩٧٢ ص ٧ وما بعدها .

1 — EVANS-PRITCHARD, E.E., 'The SANUSI of CYRENAICA', op cit, p, 31.

الاستواء ، وتغطى المنطقة فى معظمها وعلى طول إمتدادها الشمالى الموازى لساحل البحر الأبيض تكوينات الملح والجبس ومن صفات هذا الشريط الساحلى وجود سلسلة تكاد تكون متصلة من كثبان الرمل الساحلية التى تحفظ مياه الأمطار المتساقطة عليها .

ويعتبر مناخ المنطقة مرحلة انتقال بين مناخ البحر الأبيض المتوسط الذى يسود فى الشمال ومناخ المنطقة شبه الاستوائية الجافة الذى يسود فى الجنوب.

وتتعرض المنطقة لهبوب الرياح الشمالية الغربية صيفا مما يساعد على تلطيف درجة الحرارة وخاصة على طول الامتداد الساحلى للمنطقة ، إلا أنها رياح جافة لا تسقط مطرا .

أما فى الشتاء فيتعرض الاقليم إلى هبوب الرياح العكسية الجنوبية الغربية التى تكون مصحوبة بأعاصير فتسقط أمطار على الساحل أكثر منها فى الداخل ، ويغزر المطر فى الجهات الغربية من المنطقة أكثر من الجهات الشرقية .

وينحصر التأثير الهام لدرجة الحرارة فى المنطقة فى أن إرتفاعها يؤدى إلى زيادة البخر وبخاصة فى غير موسم الأمطار (الصيف) ويتأثر توزيع النباتات وشكل نموها إلى حد كبير بدرجات الحرارة . ولا تعتبر الرياح فى حد ذاتها عاملا جوهريا فى التأثير على النباتات ولكن تأثير الرياح يكون شديدا إذا ما صحبها إرتفاع أو إنخفاض شديد فى درجة الحرارة كذلك تؤدى الرياح الشديدة فى المناطق الرملية إلى تغطية النباتات مما قد يؤدى إلى إعاقة النمو أو إلى انجراف التربه وتعرية الجذور . (١)

---

١ - بالرغم من أنه لا توجد بيانات كافية عن الأمطار فى المناطق الجنوبية بعيدا عن الساحل فان هناك شواهد كثيرة من أهمها نوع النباتات النامية وكثافتها

ومعظم النباتات النامية فى المنطقة ذات موسم نمو شتوى أو ربيعى أى أنها تستفيد من هذه الأمطـــار فى موسم سقوطها أو بعد ذلك بقليل ، كما أن فعالية الأمطار لا يمكن تحديدها بالمتوسط والمعدلات وحدها بل ان حـدة سقوط الأمطار فى كل منطقة لها أهميتها ، وعلى سبيل المثال فان الأمطار الخفيفة جـدا التى تسقط فى اكتوبر أو ابريل ليس لهـــا فائدة تذكر بالنسبة للنباتات نظرا لتبخرها السريع وخاصة إذا سقطت فوق تربة ساخنة فالمهم أن يتخلل المطر التربة إلى العمق الذى يصير فيه متاحا لجذور النباتات ، وكذلك فان الأمطار الشديدة جداً قد تقل فائدتها إذا ما كانت التربة غير قادرة على استيعـاب الكمية كلها .

والتى تدل على أن هناك تناقص تدريجى فى كميات الأمطار كلما اتجهنا نحو الجنوب وذلك يضعها ضمن المناطق شبه الصحراويه . وبالإضافة إلى المعدلات المنخفضة للأمطار فان هناك عاملا آخر يزيد الامر تعقيدا وهو الاختلافات الكبيرة بين كميات الامطار الهاطلة من سنة لاخرى . فكثيرا ما تتعاقب سنوات ذات أمطار تختلف كثيرا عن معدلها العادى ، ويعتبر هذا العامل من أكثر العوامل تعقيدا وأهمية فى مجال المراعى الطبيعية . ويختلف التوزيع الموسمى للأمطار من منطقة لاخرى ، وعموما فالمنطقة - وبخاصة على الساحل - تتميز بأمطار شتوية تبلغ نسبتها المئويه فى الخريف ٥ر٢٦ ٪ وفى الشتاء ٥ر٦٣ ٪ وفى الربيع ١٠ ٪ .

أنظر : الجهاز التنفيذى للمشروعات الصحراوية : مذكـــرات فى المراعى الطبيعية،أساسيات تنظيمها وتحسينها (تقرير لزهير أبو جندية ١٩٧١. ص٥، ص٦

ويبلغ تعداد سكان محافظة مطروح - طبقا لتعداد سنة ١٩٦٠ - ١٠٣ ألف نسمة تقريبا منهم حوالى ٥٠ ألفا من الذكور وحوالى ٥٣ ألفا من الاناث(١)

مسلسل	الجهـــة	ذكور	إناث	جمـــلة
١	مدينة مرسى مطروح	٥٧٥٣	٥٢٨٦	١١٠٣٩
٢	ضواحى «	٥٣٧	٥٠٩	١٠٤٦
٣	القصـــر	١٠٣١	١١١٣	٢١٤٤
٤	النجيلـــة	١٢٩٨	١٢٧١	٢٥٦٩
٥	أم الرخـــم	٢٣٦	٢٠٠	٤٣٦
٦	الجــراولة	٤٤٥	٤٩٢	٩٣٧
٧	ختـــاوة	٣٥٠	٣٤٨	٦٩٨
٨	حـــلازين	٢٠٦	٢٧٦	٤٨٢
٩	رأس أبو لهو	٤٤٥	٥٦٤	١٠٠٩
١٠	« الحكمة	٢٥٧٩	٢٢٣٧	٤٨١٦
١١	سمـــلا	٢٦٧	٢٩٩	٥٦٦
١٢	سيدى حنيش	٢٦٢	٢٢٦	٤٨٧
١٣	أطنـوح	٢٨٩	٤٥٩	٨٤٨

1 — The Statesman's Year Book. Edited by J. PEXTON, MACMILAN ST,

بينما يبلغ تعداد سكان منطقة مطروح فقط ٣٢٤٥٦ نسمة منهم ١٦٦٥٨ نسمة ذكور ، ١٥٧٩٨ إناث (١)

تابع الجدول

رقم	الجهة	ذكور	إناث	جملة
١٤	الشوالحى	٤٧٦	٤٩٠	٩٦٦
١٥	القصابى	١٠٧	٨٥	١٩٢
١٦	الغارف	٣٠٠	٢٨١	٥٨١
١٧	المثانى	٩٢٢	٨٢٣	١٧٤٥
١٨	علم الروم	٧٥٢	٤٦٦	١٢١٨
١٩	النقيفة	٤	٧	١١
٢٠	الحوالة	٢٢٩	٣٦٧	٦٦٦
	الجملة	١٦٦٥٨	١٥٧٩٨	٣٢٤٥٦

١) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء . تعداد عام ١٩٦٦ بالعينة .

تعريف السكان :

السكان مجموعة كائنات عضوية من نفس النوع تشغل حيزاً مكانيا بعينه فى زمن معين فكونات (السكان) أساساً هى كائنات عضوية فردية تتزاوج فيما بينها ، ويمكن تقسيم السكان إلى « فرق » مكانيا ، وهذه عبارة عن مجموعات من كائنات عضويه من نفس النوع ولقد تركزت إهتمامات كثيرة على السكان كوحدة للدراسة من كلا الجانبين - جانب الايكولوجيا وجانب الجينات ، وأنه لمن المبادىء الأساسية لنظرية التطور الحديثة أن السكان هم الوحدة التى تتمركز عليها الطبيعة ، وبناء عليه فان هناك عامل مشترك بين ايكولوجيا السكان وجينات السكان، والسكان مجموعات خصائص مختلفة هى مقاييس احصائية لا يمكن أن تطبق على الأفراد ومجموعات الخصائص هذه لها ثلاثة أنواع:

الخاصية الأساسية للسكان التى نهتم بها هى الحجم أو الكثافة ، والمعايير الأولى التى تؤثر على حجم السكان هى الولادة والموت والهجرة من وإلى السكان - ويمكن بالإضافة إلى هذه المعايير أن نشتق خواص ثانوية للسكان كتوزيع الأعمار والتكوين الجينى والتوزيع المساحى ، وهذه المعايير السكانية هى محصلة لمجمل خواص الفرد (١)

ومعظم سكان منطقة البحث ينتمون إلى قبائل أولاد على الذين جاءوا أصلا من ليبيا ، وهناك قبائل أقل أهمية وعدداً هم قبائل المرابطين الذين يعيشون أيضاً كحلفاء لأولاد على الذين يعتبرون أكثر قوة ونفوذاً . ويعتقد عامة أن المرابطين عاشوا فى الصحراء الغربية فترة طويلة قبل مجىء أولاد على من الغرب

1 — CHARLES J. KREBS:, 'Ecology' op, cit, p. 139,

وربما أنهم هم أنفسهم جاءوا من الأصل الليبى بالرغم من أن هناك نظرية تقرر أنهم انحدروا من البربر الأصليين الذين يقطنون الصحراء . وعلى أية حال فهم يرفضون ربط أنفسهم بأولاد على لا على أساس أنهم تابعين لهم بل على أساس أنهم فرع أو قسم منهم .

وبالرغم من الميل الطبيعى للقبائل والعائلات البدوية للارتباط والتجمع معا والمعيشة بالقرب من بعضهم البعض والجوار ، إلا أن أعضاء القبيلة الواحدة قد ينتشرون إنتشاراً واسعاً وعريضاً بينما سكان أى منطقة قد ينتمون عادة إلى قبائل مختلفة .

لذا يتباعد بدو مطروح عن بعضهم تباعداً كبيراً وبخاصة خارج المدن وذلك بسبب التنقل وراء الماء والمرعى .

إلا أن حدود الأرض معروفة لجميع القبائل ، وكل قبيلة لها أرضها ومراعيها ولا يجوز لأحد الاعتداء على حدود تلك الأرض إلا باذن من أصحابها .

وتعتبر الدولة مالكة للأرض مع اعطاء البدو الحق فى الانتفاع بها ، وهذا لا يعنى أن الأرض تستغل بإنتظام بواسطة كل أعضاء المجتمع الواحد أو أن الرجل يستطيع أن يزرع أى جزء من الأرض قد يفضله ، لأن هناك علاقة حقيقية مؤكدة بين حق الانتفاع وتوزيع القبائل من جانب ، والتقسيم الداخلى للقبيلة أو العائلة من جانب آخر . فالأرض ليست موضوعا للتملك فى حد ذاته ، وبالرغم من الإنتشار الواسع لأعضاء القبيلة فان كل قبيلة ترتبط بمساحة معينة لأجيال طويلة . وهذا الإرتباط العاطفى بين الأرض وأعضاء القبيلة يمتد لسنين طويلة وينتقل من جيل إلى جيل . وعندئذ فبالرغم من التمييز بين التملك وبين حق الانتفاع ، وبالرغم من أن الناس يعرفون أنهم لا يملكون الأرض ، فانهم لا يزالوا

يدافعون عن حدود المساحة التى ارتبطت بها قبيلتهم والقبيلة التى ارتبط اسمها بمساحة معينة ليس لها الحق فقط فى الانتفاع بتلك المساحة الخاصة ولكن هذا الحق أيضا يخول لها منع القبائل الأخرى من ذلك الانتفاع . وداخل تلك المساحة الاجمالية نجد أن كل تقسيم قبلى له الحق فى نسبة من الأرض يمنع عنها كل الاقسام الاخرى ، من الناحية النظرية على الاقل . ولهذا فان حق الانتفاع بالجبال والتلال يعتبر فى معظمه شكلا لتملك الارض (١) .

وينظر بدو مطروح إلى أرضهم باعتبارها منطقة يمكن أن يستغلها أى عضو من أعضاء مجتمعهم ولكنهم يحرمون هذا الحق بالنسبة للآخرين ، فالبدوى فى مطروح - وبخاصة عضو القبيلة - يستطيع أن يستغل أى منطقة أو مساحة من الارض داخل نطاق أرض القبيلة ويقوم بزراعتها ، ولكنه لا يملك هذا الحق بالنسبة لاية مساحة داخل أرض قبيلة أخرى ما عدا تحت شروط خاصة ، ونفس هذا المبدأ نجده فى أرض المرعى ولكن بدرجة أقل .

وتتحدد حدود الأرض بين بدو مطروح بكل جماعة قرابية عن طريق التقاليد ولهذا فأى بدوى يعرف ليس فقط حدود أرضه داخل جماعته القرابية ولكن أيضاً تلك الأراضى التابعة لجماعات أخرى معرفة تامة . وقد تحدث خصومات حول حدود الجيرة ، ولكن مثل تلك الخصومات والخلافات تحسم بسرعة إما عن طريق الرجوع إلى كبار السن الذين يوضحون التوزيع التقليدى لتلك الأراضى بين القبائل ، أو بواسطة قادة الجماعتين أو غيرهم من كبار السن الذين يعرفون عادة باسم « العواقل » أو عن طريق « حلف اليمين » ، وفى تلك الحالة الأخيرة يجب أن يؤكد هذا اليمين عشرون من كل جانب . والقرابة هنا

1— ABOU — ZEID, op, cit, p, 108,

تبدو أكثر وضوحا فجميع العائلات المقيمة فى المنطقة تنتمى إلى عدد محدود من الأسر الممتدة . (١)

---

١ ـ مثال ذلك عائلة الافراد التى تنتمى لقبيلة على الابيض والتى تقيم بمدينة مطروح ، هذه العائلة بالرغم من سكناها بالمدينه فى المنطقة المتاخمة لساحل البحر إلا أن التوزيع الاقليمى لتلك العائلة يرتبط أو تباطا قويا بتقسيماتها القرابية، فبيت ختال وهو أحد البيوت التى تنقسم إليها العائلة قرابيا نجد أن أفراد البيت الواحد يتجاورون فى السكن وحتى فى حدائق التين والزيتون وأشجار النخيل التى يمتلكها أفراد البيت ، فإذا سرنا فى الطريق الرئيسى للعزبة وهو طريق ترابى نجد أن كل أفراد بيت ختال فى منازل ملاصقة لبعضها تماما وموجودة فى منطقة واحدة داخل عزبة الأفراد وتنتمى إلى بيت واحد وهو بيت ختـال . ـ أنظر الملحق المرفق به رسم توضيحى لمساكن وحدائق « الزيتون والنخيل الخاصة بعائلة الافراد ، ويوضح الملحق مساكن وحدائق « بيت ختال الذى يأخذ الارقام من ١/١ إلى ١٦/١ على نفس الرسم التوضيحى .ملحق رقم (٤)

نفس هذا الوضع نجده أيضا فى أحد البيوت الاخرى الفرعية لعائلة الافراد التى تقيم فى نفس العزبة . فبيت عطيوة نجد فيه هذا الجوار المكانى ، فإذا بدأنا طريقنا إلى العزبة من شارع الميناء يقابلنا فى بداية الطريق الترابى للعزبة والذى لا يزيد عرضه عن ستة أمتار السكن المتجاور لكل أفراد بيت عطيوة . كما نجد أيضاً تجاورا فى حدائق الزيتون والنخيل التى يمتلكها أفرادهذا البيت التى توجد بالرغم من كونها تبعد قليلا على ساحل البحر ألا أنها تنتمى لنفس البيت وتبدأ بأشجار الزيتون والنخيل لأبى بكر دومةعطيوة ويليها أشجار لعبدالفتاح وسليمان صالح عطيوةوأشجار الزيتون والنخيل لإبراهيم حميدة عطيوة.

فى الرسم التوضيحى السابق الموجـود بالملحق رقم (٤) ذكر كامـل لمساكن وحدائق « بيت عطيوة ، وتأخذ الأقام من ١/٢ إلى ١٥/٢ .

فإذا تركنا مدينة مطروح إلى قرية القصر وهى تبعد عن مطروح بما لا يزيد عن ١٠ كيلو متر تقريبا ، وتبلغ المساحة الكلية للقصر حوالى ٣٠٠ كيلو متر مربع تقريباً ، وتقع غرب مدينة مرسى مطـــروح ، ويحدها شرقا مقام الشيخ عثمان الجميعى ومن الناحية الغربية مصيف عجيبة ومن الناحية القبلية طريق السلوم ، ويحدها من الناحية البحريه البحر الأبيض ويبلغ طول القصر حوالى ١٨ كيلو متر . وعدد السكان حوالى ٦٠٠٠ آلاف نسمة منهم عائلة العشيبات التى تنتمى لقبيلة على الاحمر ويبلغ عددها حوالى ٤٢٠٠ نسمة وعائلة الكميلات من على الاحمر ويبلغ عددها حوالى ٤٠٠ نسمة والجميعات (من قبائل المرابطين) ويبلغ عددهم حوالى ٢٠٠ نسمة وعيلة عميرة وعيلة الجوارمة من الصناقرة الذين ينتمون لقبيلة على الأبيض ويبلغ عـــددهم حوالى ٨٠٠ نسمة وحوالى نصف مساحة الأرض صالحة للزراعة على مياه الأمطار والمياه الجوفية فيزرع الخضار والشعير والبصـــل والزيتون بينما بقية مساحة أراضى القصر تستغل كمراعى ، وخصوصا فى المناطق الجبلية والصخرية . فأراضى القصر مقسمة بين العائلات التى تنتمى إلى القبـــائل المختلفه وكل عائلة لها منطقة محددة يستغلها أفرادها ولا يشاركهم فيها أحد . فعائلة العشيبات تقيم فى المنطقة من الكيلو ٨ إلى الكيلو ١٥ بادئة بمساكن وأراضى نخيل وزيتون لعيلة عبد الجليل من الدويلات ، ويليها

ولا يختلف البيت الثالث من بيوت العائلة وهو بيت عبد الله عن البيتين الآخرين فبيوت ومنازل أفراد البيت وأشجار الزيتون والنخيل الخاصة بكل منهم نجدها أيضا متجاورة بسبب ذلك الارتباط والتقسيم القرابى .

أنظر أيضا الأرقام من ١/٣ إلى ٥/٣ على نفس الشكل السابق وهى مساكن « بيت عبد الله » . (ملحق رقم ٤)

مساكن وأرض طرام والحاج على وأشجار زيتون ونخيل ، ويلى ذلك مساكن وأراضى زراعية وأراضى مرعى لبيوت قاسم وبريك وحمـــد وموسى وصالح وعمر وفرجانى وهيلانى ومحمـــد وجميع تلك البيوت تنتمى لمفس بن يحى العشيبى ، ويلى ذلك بيت سعد عبد الله وأرض زراعية ومساكن ، وهذا البيت من الزغورات ابن يحى الشعيبى ، ثم بيت النحاس وبيت حـــامد وبيت كريم وتلك البيوت من عائلة الدويلات التى تنتمى ليوسف العشيبى ، ويلى ذلك عائلة السويطية الحميعية (من المرابطين) الذى يشغل الكيلو ١٦ من القصر ، أما الكيلو ١٧ ، الكيلو ١٨ فتشغله بيوت شريف وجـــاب الله ومفتاح وضغيم وعبد السلام بوقراصة وعمـــر الظاهر ، وجبريل بوقراصة واليوسفة ومفتاح الاقطع وكلها تحتوى على مساكن لتلك البيوت وكذلك أراضى زراعية ومراعى خاصة بهم . وبعد الكيلو ١٨ حتى الكيلو ٢٤ من القصر نجـد أن تلك المنطقة المعروفة بأم الشيطان تقيم بها عائلة عميرة وعائلة العجارمة من قبيلة على الأبيض .

فكأنه فى المناطق الزراعية والرعويه أيضا كالقصر نجـد مبدأ التناظر بين التوزيعات الاقليمية والتقسيمات القبلية بحيث يشير كل تقسيم للأرض إلى علاقة قرابية سواء فى مستوى القبيلة أو البدنة أو حتى أفراد البيت الواحد الذى يتفرع من العائلة . أنظر الملحق رقم : (٥):

الذى يوضح العلاقة بين التقسيمات الاقليمية وبين التوزيعات القبلية للسكان فى قرية القصر وكيفية تقسيم الأراضى بين تلك التوزيعات التى تنتمى إلى على الأحمر وعلى الأبيض والجميعات .

وأنظر: الهيئة العامة لتعمير الصحارى: ـ دراسة ميدانية عن التوطين وحيازة الأراضى بالساحل الشمالى الغربى . إعداد عمر الأمين فوده

الجزء الأول . مايو ١٩٧١ . ص ١٥ ـ ص ٣٠

وبالرغم من أنه يوجد فى ضاحية القصر بيوت تنتمى لعائلات وقبائل مختلفة إلا أن تلك البيوت تتقارب فيما بينها لتشغل جميعها مساحة واحدة من الأرض . وكل مساحة تشغل بوحدة قرابية .

وأى قبيلة أو عائلة تحـــوز أرضا إنما حازتها بدون أى وجه حق قانونى ، فكل مجموعة أقرباء يعيشون سويا فى رقعة واحـدة ولهم أرضهم التى يسمونها . « الوطن » أو « الدار » ويعودون اليها بعد مواسم الهجرة ، وكل فرد فى القبيلة كان يرتبط بها إرتباطا شديداً ويعرف حدود أرضها ويتجول بحرية ويسوق قطيع أغنامه داخل هذه الحدود .

فالبداوة ، فى مفهومها العام ، هى نمط الحياة القائم على التنقل الدائم للإنسان فى طلب الرزق حول مراكز مؤقتة ، يتوقف مدى الاستقرار فيها على كمية الموارد المعيشية المتاحة فيها ، من ناحية، وعلى كفاية الوسائل الفنية المستعملة فى استغلالها، من ناحية ثانية ، وعلى مدى الأمن الإجتماعى الطبيعى الذى يمكن أن يتوافر فيها من ناحية ثالثة .

وكل نظم البدو الاجتماعية والاقتصادية بل والسياسية تتوقف على تأثير البيئة وتأثرها بها ، ولكن عناصر البيئة الطبيعية لا تستطيع أن تفسر كل شىء ، والانسان هو الذى يستطيع أن يشكل من بناء مجتمعه .

حيازة الأرض ومصادر المياه : -

تعتبر مشكلة الحصول على الميـــاه من أهم المشكلات التى تواجه البدو على الاطلاق فالواقع أن البدو لا يستطيعون الاطمئنان أو الوثوق من المياه الجوفية

وبالتالى لا يستطيعون الركون إلى الزراعة وحدها كوسيلة للعيش . وقد أدى ذلك الشعور إلى اهمال أو استصلاح الأراضى من ناحية ، وإلى البحث من ناحية ثانية عن وسيلة أخرى تكون أكثر ضمانا للرزق مع عدم هجرهم للزراعة هجرا تاما ، وقد إنتهى ذلك بكثير من الناس إلى الالتحاق ببعض الوظائف أو الأعمال الحكومية الدنيا (١) ، أو إلى الهجرة إلى وادى النيل وإلى المدن الكبرى حيث يقومون ببعض الأعمال نظير أجر نقدى . وهذا لا يمنع بالطبع من القول بأن الالتحاق بهذه الأعمال نتج فى الوقت نفسه عن ازدياد مطالب الناس الاقتصادية ورغبتهم فى إشباع هذه المطالب إلى أن يتيسر اشباعها بالاعتماد على الزراعة وحدها . (٢)

ولقد ظهرت وظائف حديثة عند البدو لم تكن موجودة فى الماضى مثل الوظائف الهندسية المختلفة ، وحصل بعضهم على شهادات جامعية ومتوسطة. (٣)

ومصاد المياه الجوفية فى المنطقة خمسة هى / ـ (٤) .

أ ـ المياه الجوفية فى الوديان .

ب ـ المياه الجوفية فى المنخفضات .

---

١ ـ تبين من احصائيات مكتب عمل مطروح سعى البدو إلى مهن اخرى مثل تفجير الالغام والاعمال الكتابية والمخزنية وأعمال السعاة والحراسة والنظافة .

٢ ـ دكتور أحمد أبو زيد : الأنساق ، المرجع السابق ص ٢٢ .

٣ ـ يعمل بمحافظة مطروح الآن من البدو : خمسة مهندسين ، وجامعى ، و٦ مؤهلات متوسطة وأقل من المتوسطة ومهندسة زراعية من قبيلة العبيدى وهى مقررة النشاط السياسى النسائى بمطروح .

٤ ـ الجهاز التنفيذى للمشروعات الصحراوية مشروعات التنمية بالساحل الشمالى الغربى، المرجع السابق ص ٤ ، .

ج ـ المياه الجوفية فى الكثبان الرملية الساحلية .

د ـ المياه الجوفية فى الهضبة .

هـ ـ المياه الجوفية العميقة .

ويلاحظ مايلى بالنسبة للمياه الجوفية : ـ (١)

ـ الصخور السائدة فى المنطقة من العصر الجيولوجى الميوسينى .

ـ ندرة التركيبات الجيولوجية الصالحة لاختزان المياه فى المنطقة .

ـ ضعف مقدرة الحجر الجيرى فى المنطقة فى الاحتفاظ بالمياه لضعف مسامية الصخر .

ـ إرتفاع معدل النحر اليومى الذى يسبب تركيز الأملاح .

ـ قلة الأمطار حيث تعتبر المنطقة جافة وكمية الأمطار المؤثرة فى تغذية المياه تحت السطحية لاتزيد عن ٥٠ ٪ من الأمطار السنوية وهى المرات التى يزيد فيها المطر عن ١٠ مم فى الرخة الواحدة .

ـ صغر معدل النفاذية فى مناطق تجميع الأمطار مما يساعد على زيادة البخر لمياه الأمطار .

ـ عدم وجود مصادر تغذية كبيرة للمياه الجوفية .

وقد تم إستغلال مصادر المياه الجوفية على طول الساحل وفى المنطقة عن طريق حفر سوانى وتركيب مراوح هوائية عليها ، وحفر الخنادق فى الكثبان الرملية .

---

١ ـ هذه البيانات جمعت من مهندسى المساحة بمطروح .

ومشكلة المياه تعتبر مشكلة قاطعة فى الصحـــراء الغربية بسبب قلة وندرة المصادر الجوفية والنسبة العالية للأملاح الذائبة فى المياه الموجودة فى باطن الارض وقصر فصل المطر ، ويعتبر المطر المصدر الهام والرئيسى للمياه بسبب قلة المياه الجوفية ولكنه يعتبر مصدراً لا يعول عليه بسبب الاختلاف فى كميـة ونسبة الامطار المتساقطة والكميات الهائلة من مياه الأمطار التى تفقد بسبب البخر والتشبع بالرمال . ويزداد الموقف خطـــراً أكثر من ذلك بسبب المستوى الثقافى والتكنولوجى المنخفض للبدو الذين فشلوا فى الاستفادة القصـــوى من المصادر المتاحة . وعدم الاعتماد هذا وكذلك الطبيعة الغير مستقرة للمطر كل هذا أدى إلى آثار عنيفة على الحياة الاقتصادية والاجتماعية للبدو . (١)

ولتعويض الفاقد من مياه الأمطار فقد حفرت آبار ارتوازية artesian wells لاستخلاص المياه الجوفية ، ولقد حفر عدد كبير من الآبار فى السنين الأخيرة وبخاصة على الساحل وعلى أميـال قليلة منه . وعادة ما تكون الآبار القريبة من الساحل أقل عمقا (أقل من ٢٠ قدم عمقا) عن تلك التى توجد فى الجنوب (فوق ١٠٠ قدم عمقا) وفى معظم الأحيان يستخلص الماء بواسطة الحبل والجردل ، ولكن أحيانا يستعان بالمراوح الهوائية لجلب المياه . ولسوء الحظ لا ترضخ كل الآبار التى تعمل للماء الصالح للشرب أو حتى المناسب للرى . ويعتبر ماء عدد كبير من الآبار الارتوازيه ملحى ويستخدم فقط للاغراض المنزلية .

---

١ - بلغت النسبة المئوية للامطار بمنطقة الساحل الشمالى الغربى فى خريف ١٩٦٥ ٢٦ر٥ ٪ وفى الشتاء من نفس السنة ٦٣ر٥ ٪ وفى الربيـع ١٠ ٪ وفى الصيف صفر ٪ ومن العوامل التى تؤثر فى كفاءة الأمطار الرطوبة الجوفية والبخر فالاستفادة من نفس كمية الأمطار فى جو رطب أكبر منها فى الجو الجاف ويعمل البخر على تقليل رطوبة التربة ويزيد من حاجتها إلى الماء .

وأخيرا فقد شيدت مواسير لحمل المياه العذبة ـ خلال الحرب العالمية الثانية وجلبها للشرب من وادى النيل (عن طريق ترعة النوبارية) حتى مرسى مطروح على أن تنقل بعد ذلك بالقطار إلى السلوم على الحدود .

الظروف البيئية وأثرها على تحديد شكل الحيازة

كثيراً ما يوحى الكلام عن العوامل البيئية والطبيعية بأن النسق الايكولوجى نسق استقرارى لا يتغير ، ويرجع ذلك إلى أن الظروف والملابسات الجغرافية التى تحيط بأى مجتمع من المجتمعات ظروف ثابتة إلى حد كبير. فهى لا تكاد تتغير وانما تتكرر برمتها عاما بعد عام ولا تتعرض الا لتغيرات طفيفة جدا فى التفاصيل ، مثل التغيرات التى تطرأ على كمية المطر السنوى من سنة لأخرى ، أو طول موسم الجفاف ، أو ـ الاختلافات الطفيفة فى درجات الحرارة فى أى موسم واحـد فى مختلف السنوات . ولكن ثبات الظروف الجغرافية لا يعنى بالضرورة ثبات أو استقـرار النسق الايكولوجى . بل إن النسق الايكولوجى نسق ديناميكى بكل معانى الكلمة ، إذا تطرأ عليه تغيرات واضحة تتمثل بوجه خاص فى إختـلاف أنماط الحياة الاقتصادية والإجتماعية خلال دورة الحياة السنوية ، وليس من شك فى أن ذلك يبدو بشكل واضح فى المجتمعات المتخلفة والبسيطة والبدائية حيث يظهر تأثير البيئة بقوة ووضوح عنها فى المجتمعات الحديثة المتطورة . (١)

والرعى هو أحد أنماط الحياة الأساسية التى عرفها العالم القديم ، وقد ساد الرعى فى السفانا الأفريقية وهى غنية بمياهها ويمكن أن تقوم فيها زراعة لأن ظهور الرعى فى هذه المناطق كنمط حياتى مستقل لا حق لمعرفة الزراعة بسبب

---

١ - دكتور أحمد أبو زيد : « الأنساق » ، المرجع السابق ص ٣٥ .

قدوم هجرات رعوية ترتبط حياتها بتربية الماشيـة . (١)

وتسقط الأمطار فى مناطق الرعى فى فصل معين من السنة ، تتعرض بعده للجفاف. وادخال نظام الزراعة الجافة يتطلب رأس المال والمعرفة، وبذل الجهد.

وينبغى أن ننبه هنا إلى خطأ شائع وهو أن الرعى بالضرورة أدنى من الزراعة أو أنه أقل منها ربحا . فأولاد على بمطروح يشتغلون بالزراعة فى المناطق الساحلية ثم يشتغلون معظم وقتهم بالرعى ، فهم يعدون الأرض ويبذرونها بالشعير ثم ينتظرون سقوط المطر لكى يروى الأرض ، وهم فيما عدا ذلك يشتغلون بالرعى.

وينقسم العام عند الرعاة فى مطروح إلى قسمين : -

القسم الأول ويبدأ ببداية الشتاء أى من أوائل نوفمبر إلى أواخر أبريل حيث تبدأ الأرض تكسوها الحشائش فترعاها الأغنام .

ويرحل البدوى فى بداية موسم الشتاء وراء الكلأ والماء ، ويستمر فى رحلته حتى إنتهاء الربيع ثم يعود ثانية إلى موطنه ، وقد لا يكون قطيعه وحده يرعى فى نفس المكان ، اذ يكون هناك قطيع أكثر ولا يمكن التمييز بينهما الا بالوسم. فمن المعروف أن الأغنام لا تحتاج فى فصل الشتاء إلى مقادير كبيرة من الماء على العكس تماما من فصل الصيف والجفاف لدرجة أنها لا تشرب أثناء الشتاء كله إلا مرتين أو ثلاث مرات ، وذلك لأن الأعشاب والحشائش التى تتغذى عليها تحمل من الرطوبة مايكفى لتزويدها بما تحتاج إليه من الماء ، ولذا كان فى استطاعة الرعاة أن يرحلوا وأن يتنقلوا عبر المراعى الممتدة الفسيحة دون صعوبة ودون أن تقوم أمام ذلك أية عقبة ما دامت الماشية لن تترك الآبار التى يمتلكها الغير فلمياه الآبار قيمة إقتصادية عالية .

1) FORDE, D , 'Habitat Economy and society.' LONDON 1952. p. 397.

أما القسم الثانى فيبدأ فى أوائل مايو أو منتصفه وتكون الحشائش بدأت تجف وهنا يبيح الرعاة لأغنامهم الورود لمناطق المياه كما أنهم يمنعون أغنامهم من أكل العشب فى الصباح ، وفى شهر مارس يقوم الرعاة بفصل الذكور عن الاناث ليبيعونها ويبقون على الاناث للانتاج .

وتمتد أراضى المرعى بوجه عام إلى الجنوب من الشريط الشمالى المزروع وفى المنطقة الوسطى حيث يضع جـدب التربة وندرة سقوط المطر حدا مانعا أمام الزراعة . وقد ينمو العشب أيضاً فى القطع البور داخل أرض الشعير . ويعتمد الحد الجنوبى لأراضى العشب أساساً على إمتداد سقوط الأمطار داخليـا .

وتتضمن نباتات المرعى أنواعا مختلفة من الحشائش التى يعيش معظمها دورة حياة النبات القصيرة جداً ولكن قليلا منها يعيش سنوياً . وعلى أية حال توجد معظم تلك النباتات بين ديسمبر ومايو ، بعدها تتحول الأرض أثناء الصيف إلى صحراء حارة جافة مع قليل من القطع المتناثرة من العشب الجاف . ويمتد فصل العشب حينئذ بين نوفمبر وابريل حيث يظهر الشعير فى تلك الفترة فى الحقول . وبعد سقوط أمطار نوفمبر الأولى يزرع الشعير ويتحرك البدو بقطعانهم إلى المراعى وقرب فصل الجفـاف تتحرك القطعان فى الاتجاه الشمالى إلى الأراضى المزروعة كى تكون أقرب إلى الماء والمرعى الذى يوجد عادة قريب جداً من المنطقة الساحلية وخـلال تلك الفترة تعيش الحيوانات أساساً على قش الشعير وقليلا على العشب الجاف . ومع ذلك تكون حركة القطعان رتيبة ومنتظمة بواسطة قسمة السنة إلى فصلين رئيسيين : فصل المطر وفصل الجفاف . وفصل المطر هو فصل الرخاء الذى تشبع فيه الحيوانات، بينما يكون فصل الجفاف هو

ندرة الطعام حيث يكون الطعـــام الرئيسى للقطيع هو القش . وأية تحركات للحيوانات قد تحدث فى هذا الفصل تتم على نطاق محدود . ويرغم الأهالى فى السنين السيئة على التخلص من حيواناتهم أو على الأقل أعداد كبيرة من قطعانهم . وأحيانا قد يرسلون قطعانهم بعيدا عن معارفهم وأقاربهم الذين قد يعيشون قرب الأراضى الزراعية وفى سنوات الجدب قد يرى البدو ضرورة العبور عبر الحـــدود إلى بنغازى للاشتغال بالتجارة أو التهرب هناك . وتقسم أراضى المرعى تقليديا بين العـــائلة والبيوت بمعنى أن كل بيت له حقوق فى مناطق الرعى مع استثناء كل العائلات الأخرى ومنعها ومع ذلك فهذا المنع لا يتبع عادة فى سنوات الجدب حيث يشعر البدو أنهم يجب أن يتعاونوا ويساعدوا بعضهم .

وتربية الحيوانات فى الصحراء الغربية ترتبط باختلاف كمية المطر وعدم ثباتها فى السنوات المختلفة . ذلك أن نمو النباتات الخاصة بالمرعى تتأثر ليس فقط بجدب الأراضى أو عدم خصوبتها ، ولكنها تتأثر كذلك بكمية المطر الذى يسقط سنويا ويسبب إنخفاض سقوط الأمطار نقصا حادا فى المراعى والأعشاب ويقود إلى موت الحيوانات بسبب الجوع والعطش . وتشير الاحصائيات إلى أن اثنين من كل خمس سنين لم يسقط فيها مطر على الاطـلاق .

والطريقة الحالية والسائدة فى المنطقة لاستغلال المراعى لا تعطى أى اعتبار لإيجاد توازن بين عـــدد الحيوانات ومصادر المرعى مما كان له تأثير كبير على حـالة المرعى .

ويرعى البدو الأغنام والماعز والجمال ، ويتم الرعى فى أى أرض ينزل فيها المطر ، والمرعى مبـاح للجميع ولا يستطيع أحد منعه ما عـدا منطقة الساحل نظرا لضيق الساحل ، وعلى الراعى أن يستأذن أولا من صاحب الأرض فى تلك

المنطقة قبل أن يرعى . (١)

ويتكون الغطاء النباتى اللازم للرعى من مجموعتين من النباتات هما : ـ

المجموعة الأولى : وهى مجموعة النباتات الحولية وهى نباتات ذات فترة نمو قصيرة وترتبط إرتباطا شديداً أو مباشرا فى إنباتها وإنتاجها بظروف الأمطار وتجف وتفقد قيمتها الغذائية بمجرد إنتهاء موسم الأمطار وهى تعتبر المصدر الرئيسى للرعى من شهر نوفمبر إلى شهر مارس فى سنين الأمطار .

المجموعة الثانية : هى مجموعة النباتات المستديمة وفترة نموها أطول نسبيا من المجموعة الأولى وتتأثر بدرجة أقل لظروف الأمطار وهى تظـــل محتفظة بقيمتها الغذائية فترة أطول نسبيا تمتد أحيانا إلى طول العام فى بعض الأنواع .

والغطاء النباتى فى حالة تدهور مستمر وعام للأسباب الآتية : ـ(٢)

أ ـ الرعى الجائر .

ب ـ اقتلاع الشجيرات .

ج ـ التخلص من الغطاء النباتى بغرض زراعة الشعير .

د ـ سنوات الجدب .

والطريقة الحالية السائدة فى المنطقة لاستغـلال المراعى لا تعطى أى اعتبار

---

١ ـ يرفض البدو تقـديم الاناث الزائدة عن الحمولة لتسويقها ، كما أن التنظيم قد يتعارض مع التقاليد السائدة فى المنطقة منذ قرون وخاصة فيما يتعلق بتحديد حركات الحيوانات .

٢ ـ الجهاز التنفيذى للمشروعات الصحراوية : مشروعات التنمية بالساحل الشمالى الغربى مايو سنة ١٩٧٢ ص ١٠ .

لإيجاد توازن بين عدد الحيوانات ومصادر الرعى المتوفرة مما كان له تأثير كبير على حالة الرعى .

ويمكن للكائنات الحية أن تتكيف مع البيئة بعملية الاختيار الطبيعى ، ولكن العمليات الايكولوجية تتم وكأن عامل الوراثة فى هذه الأنواع ليس له وجود.

ولقد كان « تورسون » عالم النبات السويدى واحدا من الأوائل ممن أدركوا أهمية الفصائل الايكولوجية ومجموعات الجينات فى النوع الواحد ، واستطاع تورسون أن يبين لنا أن حركات نمو النبات عند التكيف خاضعة لعامل الجينات. كما أن النبات بوجه خاص يتكيف مع عوامل البيئة بما فيها درجة الحرارة والرطوبة وأحوال التربة والضوء .

والتكيف المكانى للشعوب التى تحددت أبعادها تحول دون هجرة الجينات من مناطق مركزية إلى مناطق أخرى ذات أبعاد محددة فى التوزيع ، وهذا الافتراض مؤداه أن قلة تسرب الجينات إلى الشعوب المحددة قد يساعد على التكيف المكانى لعوامل التحديد ثم بعد ذلك إلى زيادة التوزيع .

ومن المعروف أن كثيرا من الأنواع قد امتد أو تناقص نطاقها الجغرافى على فترات التاريخ ، ولكن الدراسة لم تتناول الا حالات قليلة بالبحث والتفصيل ، وبناء عليه فانه من غير المعروف تغير التوزيع حسب تغير البيئة ، أم أن ذلك يرجع إلى أن بناء الجينات قد تغير فى النوع .

والتكيف حقيقة بيولوجية عالمية ، ولهذا فان قابلية الجينات للتغير والتحول هو من أهم عناصر دراسة مشاكل توزيع النبات والحيوان .

ومن الضرورى أن تحل وجهة النظر الديناميكية محل وجهة النظر الاستاتيكية

فى التوزيع كوجهة نظر ثابتة لا تقبل التغير خلال الزمان وفى الأنواع من حيث أن الجينات ذات النوع الواحد يجب أن تحل بجانبها وجهة النظر الديناميكية . (١)

وهذا المجال الواقع بين الايكولوجيا والجينات لم يتناول بالبحث والفحص حتى الآن .

ان التفصيلات العملية للدراسات الايكولوجية ضرورية لفهم التنظيم الثقافى والاجتماعى للأفراد . كما أن معرفة التنظيم الاجتماعى هى بالضرورة ضرورية لفهم الايكولوجيا البشرية . (٢)

ويختلف حجم « القطعان » من مكان لآخر طبقا لتواجد نباتات المرعى والكلأ . وتشمل معظم القطعان الماعز والأغنام وهى الغالبة . وترعى الجمال عادة منفصلة، وعلى أية حال لايستطيع أن يصل المرء إلى القطعان الكبيرة من الجمال ما عدا إذا اتجه أبعد من ذلك نحو الجنوب . (٣)

ويميل حجم القطعان إلى أن يصبح أكبر فى المناطق والأجزاء الغربية من الصحراء ، وغالبا ما يصل حجم القطيع الواحد إلى ٢٠٠ من الأغنام أو أكثر

---

1 CHARLES J, KREBS : "Ecology", op. cit p. 110.

2 — The Sociological Review. Volume 11. No. 2. July 19 2 University of keele. EDITOR, W.M. WILLIAMS. by JOHN MIDDLETON. p. 266.

٣ - ترعى الأغنام فى قطعان صغيرة وبخاصة فى الجزء الشرقى من الصحراء حيث تتكون معظم القطعان من ٥ / ٣٠ أو ٤٠ من الحيوانات .

من ذلك . وتوضح الاحصائيات عن الثروة الحيوانية كثرة أعداد الغنم عن غيرها من الحيوانات ويزيد عدد الأغنام فى بعض المناطق عن عدد الحيوانات الأخرى مجتمعة . ويلى الأغنام الماعز فى المرتبة الثانية . ويتجه عدد الجمال الآن إلى التناقص وذلك منذ أن قلت أهميتها وأنهارت كوسيلة للنقل بعد قيام وتقدم السكك الحديدية وتشييد طرق لمرور السيارات . وهذا يبدو أكثر وضوحا فى الجزء الشرقى من الصحراء حيث أصبح السكان أكثر استقرارا . كذلك يحتفظ البدو أيضا بالحمير وبصفة خاصة من جانب العشائر المستقرة . وتستخدم الحمير لحمل الأثقال وللركوب كما أنها تستخدم بصفة أساسية فى العمل الزراعى . ولهذا لا يحتفظ بالحمير فى أعداد كبيرة . ومن النادر أن تحتفظ العائلة بأكثر من واحد أو اثنين من الحمير . ولكن بصفة كلية - يتجه توزيع الحيوانات إلى أن يصبح أكثر تفرقا وبعدا فى المناطق الشرقية عنه فى الأجزاء الغربية من الصحراء .(١)

ومهما كانت الحالة فانه يبدو أن تربية الحيوانات الداجنة هو أفضل طريقة للحياة عند سكان الصحراء فى ظل الأحوال الموجودة الخاصة بندرة المطر . وانخفاض سقوط الأمطار قد يؤثر فى النمو الكامل لزراعة الشخص ولكنه لا يؤثر على الاطلاق فى كل حيواناته . فالثروة الحيوانية تعتبر عنصرا هاما وأساسيا للدخل بالنسبة للبدو وتعتبر تربية الأغنام والماعز الحرفة الاساسية ورأس المال الرئيسى لأهالى تلك المنطقة من البدو .

وقد أوصت منظمة الأغذية والزراعة الدولية بتنفيذ مشروع تحسين الثروة الحيوانية والانتاج الزراعى بالمنطقة والذى ووفق عليه من الامم المتحدة فى سنة

---

١ - المرجع السابق ص ٢٠ .

١٩٧١ (١) .

وتقوم الحكومة بالاتفاق مع برنامج الغذاء العالمى بتوزيع المواد الغذائية بأسعار رمزية ، ويوزع الشعير والتقاوى على الاعضاء بواقع ٢٩٠ قرشا للاردب الواحد ، ٣ كيلو أعلاف فى الشهر لرأس الغنم الواحد ، ٦٢٠ كيلو فى الشهر

---

١ - وقد تم توزيع المواد الآتية كأعلاف للاغنام خلال الاتفاقيتين الخاصتين بمشروع فائض الغذاء العالمى :

	أعلاف قدمها البرنامج	أعلاف قدمتها الحكومة
الاتفاقية الأولى ٦٣/١٩٦٨	٤٠٣٥٠ طن مترى شعير	٢٨٠٠٠ طن مترى علف
الاتفاقية الثانية ٦٨/١٩٧٣	٥١٩٤ طن مترى شوفان	١٢١٩٤ طن مترى كسب

هذا وقد قامت الحكومة بتوزيع ٢٢٠٦٥ طن مترى علف وكسب بين الاتفاقيتين (فترة انتقال) .

وبعد انتهاء مدة الاتفاقية الثانية كانت المنطقة تقوم بتوزيع حصص أعلاف على المربين بواقع ٣٠٠٠ طن تقريبا شهريا لشهور الجفاف ، ونتيجة لهذه المجهودات زادت الثروة الحيوانية فى الساحل ويبلغ عدد الأغنام فى محافظة مطروح لعام ١٩٧٢ من واقع سجلات مديرية الزراعة هناك :

٢٧٨٩٤٥ والماعز ١٢٩٥٤٢ والأبقار ٧٣٧ والجمال ٩٤٣٤ . أما الطيور والدواجن فيبلغ عدد الدجاج البلدى ٨٨٨٢ تقريبا ، والدجاج الرومى حوالى ٢٠٠ والحمام حوالى ٢٢٠٠٠ ، والبط حوالى ١٥٠٠ ، والارانب ٨٠٠٠٠ تقريبا انظر كتاب : مشروعات التنمية بالساحل الشمالى الغربى . المرجع السابق ص ٢٥ .

للابقار (١) .

ويلجأ البدو فى حل منازعاتهم على الحيوانات إلى القانون العرفى إلى درايب أولاد على . وكثيرا ما تفض هذه المنازعات الآن بمقر الحزب الوطنى الديموقراطى حيث يحدد تاريخ لفض النزاع ، على أن يرتضى كل من طرفى النزاع شخص محايد من أولاد على العارفين بقانون النزاع على الأقل ، ويحضر هذا الاجتماع أعضاء من الحزب الوطنى الديموقراطى ، وبعد انتهاء المناقشة وسرد كل من طرفى النزاع ما عنده من أقوال بشأن هذا النزاع ، يلجأ إلى حلف اليمين ، ويشترط أن يوافق طرفى النزاع على الالتزام بالحكم الذى يتقرر .

ولا يعترف البدوى فى مطروح بالحدود الرسمية بين مصر وليبيا بل هناك صحراء واحدة فى نظره ترعى فيها أغنامه وأغنام غيره ، فأرضه هى الأرض التى تنبت المرعى وأينما ذهب سيجد أقرباء له أو أصهار لقبيلته أو فرعا منها ، بل ولن نجد قبيلة فى مطروح أو غيرها إلا وهى على صلة نسب ببعض القبائل فى برقة ، والروابط الاجتماعية والاقتصادية التى تربط برقة بمصر أكثر مما هى عليه بين برقة وطرابلس مثلا .

وسكان برقة مرتبطون بصفة خاصة بمصر ، كما أن مصر هى سوقهم الطبيعية التى تمدهم بكل ما يحتاجون إليه ، والقبائل البرقاويه والفروع القبلية وخاصة أولاد على ، يتكلمون نفس اللهجة ولهم نفس التقاليد والأعراف كأولاد عمهم

---

١ ـ كان عدد الجمعيات التعاونية بالمنطقة عشرة فقط عام ١٩٦٠ ، وارتفع عددها الى ٤٠ جمعية فى عام ١٩٧١ ، وتقوم تلك الجمعيات بتوزيع الأعلاف على المربين وتنفيذ الاتفاقيات العالمية كاتفاقية تحسين الثروة الحيوانية وتوطين البدو التى أبرمت مع برنامج الغذاء العالمى .

الذين لا يزالون يعيشون فى مصر وعلى امتداد مستمر من السلوم إلى الاسكندريه .

ويؤلف البدو القادمون من برقة اليوم العنصر البدوى المهم فى مصر ، وقد استقر البعض منهم وتوطن ، بينما لا يزال البعض الآخر يعيش فى الخيام . (١)

لقد تكيفت حياة البدو اذن تكيفا كبيرا بالظروف البيئية ، فقد أصبحوا رعاة بسبب عدم انتظام الأمطار ، وسوء توزيع مصادر المياه .

وتعتبر المراعى الطبيعية النامية فى المنطقة المصدر الرئيسى لغذاء الحيوانات إذ يعيش على هذه المراعى مئات الألوف من رؤوس الأغنام والماعز غير أعداد أخرى من الجمال والحمير .

الزراعة:

معظم الأراضى القابلة للاستزراع على طول الساحل الشمالى الغربى على الشريط الساحلى المجاور لساحل البحر ، كذلك توجد فى بعض الأماكن المنحصرة بين سفوح التلال المرتفعة حيث تتجمع مياه الأمطار .

وتبلغ المساحة المزروعة حاليا على طول الساحل حوالى ١٥٠,٠٠٠ ألف فدان ويتم زراعة معظمها تحت ظروف الزراعة الجافة ، فالمساحة الممكن زراعتها بالشعير مابين ٨٠,٠٠٠ - ١٣٥,٠٠٠ ألف فدان تقريبا ، أى تمثل نسبة كبيرة من جملة الأراضى المنزرعة بالمنطقة ، أما الباقى فيستغل لزراعة الفواكة

---

١ ـ سيشرح هذا الموضوع بالتفصيل فى الفصل الرابع من الكتاب الخاص بحيازة الأرض والعلاقات القرابية ، انظر دكتور / أحمد أبو زيد : « دراسات أنثربولوجية فى المجتمع الليبى » المرجع السابق ص ٣٠ .

والخضروات . (١)

تتأثر الزراعة فى منطقة مطروح بكمية الأمطار المتساقطة ومدى توفر المياه الجوفية بها ، وعموما فان مهنة الزراعة يمارسها البدو شبه الرحل ، ليس كوسيلة للكسب فقط ولكن للحصول على الخبز والذى يعتبر الجزء الرئيسى فى وجبات البدوى وأهم هذه المحاصيل السنوية الشعير ؛ ولا يمكن تسمية البدو شبه الرحل مزارعون ، فهم رعاة أولا ثم مزارعون ثانيا، كما يعتبرون مهنة الزراعة فى معظم الحالات مصدرا اضافيا للدخل بجانب الانتاج الحيوانى .

ويزرع بدو مطروح الشعير فى فصل الشتاء ويحصدونه فى الصيف ، كما يزرعون البطيخ والخضروات فى مارس ، وكان البدو يتاجرون فى الشعير ويبيعونه لتجار وادى النيل ، أما الآن عندما زادت كثافة السكان وقل الشعير أصبح لا يـكفى بمجرد الاستهلاك المحلى .

وترتبط الزراعة عند بدو مطروح بدورة النجوم والكواكب فى السماء ، فلك النجوم التى يطلق عليها أسمـــاء معينة وتظهر فى أوقات معينة من السنة ، وترتبط تلك الأوقات بمواعيد الزراعة والحرث والحصاد وغيرها من العمليات الزراعية لدى البدو .

وأول نجم يظهر فى السماء حوالى شهر أكتوبر هى نجمة الثريا وعندها يبدأ البدو فى زراعة الشعير سواء على المطر أو مياه الآبار ولمدة خمسة وعشرين

---

١ - الجهاز التنفيذى للمشروعات الصحراوية : أثر الزراعة على توطين البدو فى منطقة الساحل الشمالى الغربى . ديسمبر سنة ١٩٧١ (بحث لمحمد غانم الحنفى) ص ٣٢ .

يوما وهى نجمة أنثى (١) .

بعد نجم الثريا يظهر نجم آخر يدعى « لاسيفر » لمدة خمسة عشر يوما وخلال شهر نوفمبر ويظهر لمدة خمسة عشر يوما وهو مقمر وتستمر فيه عمليات الزراعة (٢)

وبعد إختفاء نجم « لاسيفر » من السماء ، تظهر نجمة « الجوزة » خلال شهر ديسمبر ويسقط فيها المطر أحيانا وتستمر فيها العمليات الزراعية .

وفى شهر يناير يبدأ ظهور نجم « المرزم » وهو نجم ذكر ومدته خمسة عشر يوما ويزرع خلاله الشعير (٣) .

بعد المرزم يبطل الحرث فى شهر فبراير ويظهر نجم آخر أنثى أسمه « النجيبات » لمدة خمسة وعشرين يوما وهى ممطرة ، ويقول البدو أن النصرانى يغطس يوم ١١ فى « النجيبات » ويسمى البدو تلك الأيام بأنهـا أيام « السكراء » لاينمو فيها النبات ولايجرى فيها الماء فى العود .

وفى شهر مارس يظهر نجمان بعد « النجيبات » هما نجما « سهيل وفـــرار » ومدتهما شهر ، وفيهما يسقط المطر وتشتد الزوابع، ويقول البدو: « لوجاء سهيل أفرح للكيل » ومعنى ذلك أنه قد جاء وقت الحصاد فى شهر مارس ، ويقول البدو أن الغنم لايجوز لها أن ترعى طـالمـا هناك طل (شبورة) على العشب ،

---

١ - يقول البدو إن ظهور نجمـــة الثريا يوافق يوم ٥ بابل « اللى نزل فيها محراث أبونا آدم .

٢ - هذا النجم له خط يسميه البدو « خط الذهب » .

٣ - يقول البدو : « ان جالك المرزم فرش واعزم » .

وتحفظ الغنم فى مكانها عند ارتفاع الشمس . وحتى يجف المرعى (١) .
والحصاد عند البدو يبدأ فى شهر أبريل « بريل يطيب الزرع لو كان جوه بير» .
أما الزراعة فتبدأ فى شهر أكتوبر . (٢)

وقد يزرع البدو فى شهر سبتمبر (تـوت) ويعتبرون الزراعة فى سبتمبر مسألة حظ ويقولون : « اللى يزرع تـوت يا يغنيه يا يموت » ومعناها أنه إذا نجحت الزراعة فى شهر سبتمبر تصبح الزراعة أحسن من شهر أكتوبر ،

ويعتبر البدو شهر مـارس أساسا للحكم على زراعتهم فى حالة النجاح أو الفشل ويقولون فى ذلك : « إن كان زرعك زين وراه مارس ، وإن كان زرعك طبوع وراه مارس » أى انتظر مارس وأحكم على الزراعة بعدها .

وفى شهر أبريل لا تظهر نجوم ، وبعد انتهاء شهر أبريل بستة أيام ويسميها البدو أيام النسو أى ليس لها حساب عندهم ، تبدأ الثريا فى الظهور من جديد فى شهر مايو ومدتها ٢٥ يوما ويليها لسيغر لمدة ١٥ يوما وهى نجمة واحدة ذكر ثم الجوزة ومدتها ٢٥ يوما وهى ثلاث نجمات تظهر النجمة الأولى ابتداء من اليوم التاسع عشر ، والنجمة الثانية تظهر يوم ٢١ ، والنجمة الثالثة تظهر يوم ٢٤ ، ولا تظهر النجمات الثلاث فى مكان واحد . وكل النجوم تظهر صباحا عند طلوع

---

١ - يقول البدو ان الغنم لو رعت اثناء الشبورة فسوف يحدث لها غشن (مرض) يقضى عليها ويعتبرونها فترة صيام.

٢ - يقول البدو : اللى يزرع فى تكوبر حطينا حراريج (حر) مارس كيف ما نركب عالم شوبر . طالع من ثلاثين فارس ، ومعنى ذلك ان الزراعة الجيدة عندهم فى شهر اكتوبر واللى يزرع فى اكتوبر لا يهمه حر مارس .

الشمس وفى شمالها ، وفيها يمنع البـدو الإبل من الشرب أيام ٢٣ ، ٢٠ ، ٢٥ نهارا ويجعلونها تشرب ليلا ، ويعتقدون أن الغنم والابل لو شربت نهارا فاستصاب بالمرض . ويلى ذلك ظهور نجم المرزم لمدة ٢٠ يوما (١) .

بعد نجم « المرزم » تظهر « النجيمات » وهى نجمة أنثى لمدة ٢٥ يوما ويكون يوم ١١ فى « النجيمات » نهاية لفصل للصيف وابتداء لفصل الخريف ، وبعدها يظهر نجم (سهيل) فى الجنوب لمدة ١٥ يوما (٢) .

ويلى ذلك شهر ليس له نجم يسميه البدو شهر « الصوة » خلال شهر سبتمبر ويليه ظهور نجم الثريا من جديد فى فصل الشتاء .

وإذا لم يسقط المطر فى الشتاء يصلى البدو صلاة استقساء ويصليها عالم يحفظ القرآن والسنة ، ثم يصومون لمدة ثلاثة أيام ويتصدقون على الفقـراء بالذبائح ويصلون فى الخلاء ركعتين قائلين فى بدايتها :

« اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين الخائفين من رحمة الله ، يارب ارسل السماء علينا مدراراً ، اللهم انى نويت الصلاة ركعتين » .

وبعد الصلاة يدعون الله بنزول المطر ، وهم يرون فى الأطفال عند الاستسقاء ووجودهم خير فالله يقول : « قل لهم ، لولا الأطفال الرضع ، والشبان الخشع الشباب الركع ، والبهايم الرتع ، كان يصب الغضب قبل المطـر ، لكن بسبب هؤلاء سيرحمنا الله » .

---

١ - يعتقد البدو انه اذا كانت هنـاك شبورة مائية يوم ظهور اى نجم فستكون السنة القادمة خيرا وستسقط الأمطار

٢ - يعـرف البدو حساب نجم سهيل بظهور الطيور المهاجره كالسمان .

وعندما يسقط المطر يحمد البدو الله ويشكرونه ، أما إن لم يكن هناك مطر يلجأون بمواشيهم إلى أية جهة بها مطر .

وكان الحرث يتم قديما بواسطة الخيل أو بواسطة الجمال ، وكانوا يخزنون محصولهم فى مطامير على شكل هرمى مثل الفلاحين بوادى النيل ، وأحيانا كان المحصول يظل فى المطامير لمدة ثلاث سنوات .

وحيث أن الزراعة تعتمد على المطر فمعظمها موسمى وتقتصر بدرجة كبيرة على زراعة المحاصيل الغذائية ، وتعتمد زراعة الخضروات على الاستفادة من المياه الجوفية ، ويقوم المزارعون بزراعة مساحات صغيرة ماعدا فى سنوات المطر فيقومون بزراعة مساحات أكبر أما الانتاج الزراعى فانه لا يكاد يكفى احتياجاتهم الضرورية (١) .

---

(١) يفضل البدو زراعة الزيتون نظراً لتحمله العطش والملوحة وكذلك نظراً لعدم إقبال الحيوانات على التهام نباتاتها الخضراء ، كما أن الزيتون يسهل تسويقه، وأهم أشجار الفواكه والمحاصيل السنوية الموجودة بمطروح هى الزيتون والتين واللوز والعنب والخضروات والشعير . ويعتقد البدو أنه كلما زاد عدد الأشجار فى مساحة ما كلما زاد إنتاج هذه المساحة ، وهم لا يعتنون بحماية أشجارهم من الأمراض والآفات مما يسبب أضراراً كبيرة للمحاصيل الزراعية ، ويوجد فى مرسى مطروح مصنع حكومى لعصر الزيتون كما توجد عدة معاصر محلية خاصة بالأهالى ، وتحصل المعصرة على ٢٠ ٪ من إنتاج الزيت نظير العصر أو ٣ قروش لكل كيلو زيتون . ويبلغ إنتاج الفدان من الشعير حوالى ٤٠٠ كيلو جرام تبن ، ويختلف إنتاج الشعير من عام لآخر وذلك طبقا للظروف الجوية . إلا أن زراعة المحاصيل والتى تتضمن زراعة الشعير وأشجار الفواكه تمثل درجة أقل من الإنتاج الحيوانى ، رغم أن معظم السكان الزراعيين يعتمدون عليها

النجوع والتقسيمات القبلية :

أن أصغر وحدة قرابية عند البدو هى « البيت » (وهم الناس الذين يعيشون فى خيام ، وتلك الوحدة هى أساس كل تنظيم اجتماعى . وفى كثير من الأحيان يوجد النجع أو المعسكر الذى يضم من أربعة إلى ثلاثين خيمة يسكنها أولاد العم الذين ينحدرون من سلف واحد يمتد إلى ثلاثة أو أربعة أجيال ماضية عادة

وفى النجوع الكبرى يوجد الرعاة أو العمال الزراعيين الذين يرعون أو يحرثون الأرض ويعتبرون الأعضاء الأصليون للنجع .

وتتباعد بيوت البدو المقامة بعيدا عن المدن بعض الشىء عن بعضها حتى لا يختلط كل بيت بآخر ، وإن كانوا من قبيلة واحدة ، كما يصح أن يضم النجع أفرادا من عدة عائلات ولكن تجمعهم الوحدة الاقتصادية كالاشتراك فى الرعى أو الزراعة أو المصاهرة .

وبيوت البدو هذه هى أفضل ما يتناسب مع البيئة الصحراوية بل أفضل ما يناسب حياتهم القائمة على الترحال والتنقل من مكان إلى مكان خاصة عندما

الحصول على جزء من دخولهم ، ويستغل معظم الشعير إنتاج كغذاء للحيوانات بالمنطقة ، وبالرغم مما يبدو من أن الإنتاج الزراعى يعتبر اقتصاديا ومجزيا للبدوى، إلا أنه فى بعض السنوات الجافة نجد انخفاضا كبيراً فى الدخل القومى الصافى حيث قلة الإنتاج الزراعى وكذلك ارتفاع تكاليف النقل والرى مما يعوق زيادة المساحة الزراعية بمطروح .

أنظر الجهاز التنفيذى للمشروعات الصحراوية: أثر الزراعة على توطين البدو بمنطقة الساحل الشمالى الغربى ، المرجع السابق ص ٢٣ - ص ٣٦ .

وأنظر الملحق الخاص بجدول تحركات البدو طوال العام وعلاقته بنشاطهم الرعوى والزراعى .

تغمر السيول الوديان فيحملون بيوتهم إلى مكان أعلى لا تصلهم فيه مياه السيول أو ينتقلون إلى حيث نثروا الشعير فى أكتوبر ، أو يحملونها إلى جوار الشاطىء حيث يزرعون بعض الخضروات فى فبراير ، أو يرحلون بأغنامهم إلى أسواق الحمام ليبيعون نتاجها فى مارس ، ثم يعودون فى أبريل حيث يكـون قد حان أوان حصاد الشعير من أواخر أبريل إلى أوائل مايو ويونيه (١) .

ويبنى البدوى الذى يسكن مدينة مطروح مسكنه من الحجر الأبيض ، ويختلف عدد حجرات المسكن باختلاف حجم الأسرة ، ويوجد لكل مسكن فضاء بداخله يسمى « حوش » بدون سقف يستخدم لتربية الحيوانات كالأغنام أو لتحضير الطعام فيه أو للجلوس فيه صيفا. وقد يصل عدد حجرات المسكن الواحد إلى ١٣ حجرة وبخاصة إذا أقام الأبناء المتزوجون مع آبائهم هم وأولادهم أيضا ، وتخصص حجرة فى المسكن للزوار والضيوف الذين يجلسون على الأرض وفوق الحصير بعد خلع أحذيتهم ونعالهم أمام باب الحجرة وقبل الجلوس على الحصير ، وكذلك تخصص حجرة فى المسكن لعلاف الحيوانات .

بينما يقام النجع عادة بعيدا عن قيعان الأودية أو سفوح التلال خوفا من طغيان السيول ، ولذا تقام بيوت النجع أو « الخيش » كما يسميه البدو فى منحدرات التلال كما تتقارب بيوت الخيش فى الشكل وإن اختلفت سعتها ونوع الخيش طبقا للثروة والمركز الاجتماعى .

وعند إقامة البدو لبيوتهم فى النجوع يجعلون أبوابها فى الشتاء متجهة نحـو المشرق تفاديا للرمال التى تحملها الرياح أو التماسا للدفء . أما فى الصيف

(١) أنظر الملحق الخاص بجدول تحركات البدو طوال العام وعلاقته بنشاطهم الرعوى والزراعى .

فيجعلون اتجاه الأبواب ناحية الشمال أى فى مواجهة البحر لاستقبال نسيمه ، ولذا فمهما كان الجو فى الصيف حارا فإن مسكن البدوى يجده لطيفا وغير حار .

وللبيت أو المسكن بابين متقابلين يفتحان فى الصيف لتلطيف حرارة الجو.

تكيفت حياة البدو إذن تكيفا مـلائما للظروف الطبيعية فى شتى مجالات حياتهم الاقتصاديه والاجتماعية .

وكل قبيلة لها وطنها وزراعتها ومراعيها وآبارها وعلامة جمالها ، كما أن كل قبيلة تنحدر من أصل واحد تأخذ منه أسمها (١) .

وتنقسم القبيلة الرئيسية إلى قبائل فرعية ، وتحوز كل قبيلة فرعية نصبة من أرض القبيلة ، وهذه الأقسام الفرعية لها نفس نمط القبيلة الرئيسية التى تكون أجزاء منها ، وكل قسم له أرضه ، وأعضاؤه يؤمنون أنهم من نسل أصل واحد عام هو ابن من أصل القبيلة ، والأقسام القبلية الرئيسية تنشق إلى أقسام ثانويه والأقسام الثانوية تنشق إلى أقسام ثالثة وهكذا . . . وكل تقسيم هو صورة طبق الأصل للتقسيم الأكبر وله نفس الأفضلية والحقوق فى أراضى القبيلة . ويعتبر أعضاء كل قسم أنفسهم منتمون إلى أصل واحد يصدر من أصل تقسيم أكبر، وترتبط تلك الجماعات قرابيا أكثر من ارتباطها سياسيا (٢).

فعزبة الأفراد تقيم بها عائلة الأفراد بمدينة مطروح ، وتلك العائلة فرع الصناقرة ، والصناقرة ينتمون إلى قبيلة على الأبيض . وقد أنشق الأفراد إلى

(١) مثل على الأبيض ، على الأحمر ، السننة ، الصناقرة.

2) EVANS-PRITCHARD, "The SANUSI of CYRENAICA." O.U.P. pp 53-54.

بيوت نستطيع أن نميز منها ثلاثة بيوت رئيسية هي : « ختال » و « عبد الله » و « عطيوة » .

وتلك البيوت الثلاثة لها مساكنها وأرضها داخل أرض العائلة ، ولها نفس الافضلية والحقوق فى أراضى العائلة ، ويجمع تلك البيوت الثلاثة صلة القرابة أكثر من الصله الإنسانية (١)

وتلك الجماعات القبلية هى الوحـــدات الرئيسية للحياة القبلية فى مطروح والقبيلة تملك الأرض والماء ، ولـكن الوحدات القرابية الفرعية لها حق الإنتفاع بالأرض ، وأعضاؤهـا يعيشون فى نفس امتداد المنطقة القبلية ويوجـد لديها شعور بالتضامن والتماسك يظهر عند القتال ودفع الدية

---

(١) تتخذ مساكن البدو فى الصحراء الغربيـة شكلان : سكن دائم وسكن متنقل . وتصنع المسـاكن الدائمة على شكل منازل حجـرية تبنى عادة من الحجر الجيرى الذى يغطى بالجبس أو الطـلاء الابيض ، وفى معظم الأحيان تكون الأسقف مسطحة وضلف الأبواب والشبابيك صغيرة جدا بسبب ندرة الخشب وارتفاع سعره . وفى الحقيقة معظم البيوت ليس لها ضلف للنوافذ وأحيانا ليست لها أبواب على الاطلاق ، ولا تفتح الأبواب ولا الشبابيك شتـاء بسبب قوة الرياح الشمالية ومعظم البيوت تتكون من حجرتين أو ثلاثة تستخدم فقط للنوم ولاستقبال الضيوف وللخدمات المنزلية . وتوجد المساكن الدائمة قرب محطات السكك الحديدية وعلى طول الشريط الزراعى الشمالى .

أما عن الخيمة فهى السكن المتنقل الوحيد فى الصحراء . ومعظم الخيم حجمها صغير ومصنوعة من الخيش أو الأبسطة (خيام صيفية) أو من شعر الماعـز (خيام شتوية) وتقام الخيام عادة فى اتجاه الريح . ويغلق الجانب المواجه للريح بينما يظل الجانب الآخر مفتوحا .

تحركات البدو وعلاقتها بمشروعات التوطين

تعتبر الهجرة **Migration** ظاهرة اجتماعية فى مختلف المجتمعات الإنسانية . فمنذ فجر التاريخ والانسان يحب التجول والترحال ، وقد ازدادت الهجرة أخيراً حتى أصبحت من المعالم المميزة فى القرن العشرين ، وتختلف أسباب الهجرة باختلاف أنواعها وتعدد أغراض الناس للتحرك وترك الموطن . ورغم الشعور السائد بينهم بالإرتباط بالأرض التى ولدوا فيها وعاشوا عليها ، إلا أن الظروف تكون أقوى من هـذا الشعور فتجبرهم على الرحيل ، ويظـل هـذا الشعور كامنا فى نفوسهم (١) .

وقد تكون هـ ه الظروف لأسباب أقتصادية أو سياسية أو لظروف طبيعية، وكان للدافع الاقتصادى دور كبير فى ظهور نوع جـديد من الهجرات هو هجرة العمل للذين يعانون من الفقر والحرمان نتيجة للمصادر المحدودة الدخل فى مجتمعاتهم المحلية .

وقد كان هذا النوع من الهجرات من أوضح الأسباب التى أدت إلى التغير الاجتماعى فى كثير من المجتمعات النامية وذلك بعد أن أصبح بعض السكان يعتمدون على الأجور النقدية فى معيشتهم حيث كان الدافع إلى هذه الهجرة هو زيادة الثروة الشخصية والزواج وشراء الماشية والبضائع ، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بالعمل بعيدا عن الموطن والحصول على النقود التى لم تكن متوفرة لديهم لاعتمادهم على الاقتصاد الذاتى .

---

1) DICKON, P.S. N., "Introduction of Human GEOGRABHY : NEW YORK, 1061 p.p. 31–32.

ومن ثم فانشاء المشروعات الصناعية وانتظار مراكز العمل يتبعه بالضرورة ظهور موجات من الهجرة خاصة فى المجتمعات المحلية التى تعانى نقصا فى الموارد وفرص العمل إلى حيث المراكز التى تتيح لهم فرصا للعمل والأجور وزيادة النقود وزيادة الإنتاج .

وتعتبر الهجرة أحد العوامل المؤثرة فى التركيب السكانى فى أى مجتمع من المجتمعات حيث تلعب دورا هاما فى زيادة أو نقص السكان . كما أنها فى عدد قليل منها ولفترة قصيرة وتحت ظروف معينة تكون الهجرة بنوعيها الداخلية والخارجية الفردية والجماعية العامل الأساسى فى التغيير السكانى (١) .

ومن الأهمية بمكان التعرف على تحرك السكان وعلاقات الجماعة المهاجرة وأثر ذلك على البناء الاجتماعى التقليدى (٢) .

فالهجرة تطلق بصفة عامة على « حركات السكان » وقد يهاجـــر الانسان لعدم رضاه عن الأوضاع فى أرضه وترقبه لحياة أفضل فى أرض جديدة .

وتعتبر البداوة نمطا للحياة قائم على التنقل المستمر للانسان طلبا للرزق حول مراكز مؤقتة . ويتوقف مدى الإستقرار فيها على كمية الموارد المعيشية المتاحة فيها وعلى كيفية الوسائل الفنية المستعملة فى استقلالها ، وعلى مدى الأمن الاجتماعى والطبيعى الذى يمكن أن يتوفر فيها (٣) .

---

1) BARNES, E.H , "Sociology." NEW YORK, 1952. p 117.

2) KESSING, F.M., " Social ANTHROPOLOGY." O.U.P. LONDON 1963. p. 52.

(٣) مؤتمر التنمية للبيئات الصحراوية ـ مرسى مطروح ـ دار مطابع الشعب سنة ١٩٠٦ ص ٦١ .

وفكرة التنقل والتحرك التى يقوم عليها نمط الحياة البدوى قد تفضى إلى شىء من اللبس حول مفهوم البداوة ، ومفهوم الهجرة ، لأن هناك تداخلا فى واقع الأمـــر بين الظاهرتين ، فعلى الرغم من أن الهجرة تفترض نقطة انطلاق وبداية ثابتة فى كل الأحوال ، سواء كانت الهجرة دائمة أم مؤقتة ، وعلى الرغم من أن نقطة الانطلاق فى حالة البداوة شبة دائرية ، فإن الفرق الجوهرى بين الظاهرتين هو أن البدواة نمط حياة دائم متكامل . ذلك أن حياة النقلة والحركة هى التى تخلق وتنظم كل التصورات الاجتماعية ، وتحكم العلاقات الاجتماعية ، وتعطيها سمة مميزة بين النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى يتداولها المجتمع البشرى ، وذلك كله على عكس الهجـــرة التى يتقيد فيها المهاجر ، وإلى حد كبير ، بالأنماط الاجتماعية القائمة فى المهجر الجديد ، وبالظروف السكانية والاقتصادية والسياسية التى تحيط بالمهاجرين من ناحية ، وبالمهجر نفسه من ناحية أخرى ، وأن عليه ليتعايش مع هـذا الوضع أن يكيف نفسه معه والا تعرض لانفصام وانقطاع .

فالهجرة تفترض إذن لونا من التمـــائل الحضارى والانصال الاجتماعى بمجموعة أخرى ، تقوم فيها حالات الأخذ والعطاء والتكيف ، بينما نجد البداوة كنمط حياة متكامل ، تدور فى أفـق حضارى واحـــد متماثل ، لأن المجتمع كله بمقوماته المادية من البشر ، وبمقوماته الاجتماعية من نظم . تنتقل معا ، إذا صح مثل هذا التعبير . فتكون السنة من « سنوات الصبايا » ، أم بتأخر فتكون إحدى سنوات « جدب العوز » ويرتكز فى تنبؤه على بعض العلامات التى إهتدى إليها لطول التجربة ومنها هجرة أسراب السمان من الشمال أى من الساحل الأوربى إلى الشاطىء الأفريقى فان بكرت بالوصول دل ذلك على أن مـــوسم الأمطار سيكون مبكرا وغزيرا .

ويأمل البدوى فى رى شعيره خمس ريات من خمس مطرات ، أولاها فى نوفمبر وثانيتها فى ديسمبر ، وثالثتها فى يناير ، ورابعتها فى فبراير ، وخامستها وهى الهامة وعليها يتوقف نجاح المحصول فى مارس ، ولهذا يقولون المثل النابع من البيئة « أن كان زرعك صاب وراه مارس وإن كان زرعك عطيب وراه مارس » .

والبدوى حينما يزرع أو يشترك فى زراعة الشعير لا يمكث بجانبه إلى حين الحصاد فهو لا يستقر فى مكان لأن مهنته الأساسية هى الرعى ، وحتى يبذر الأرض تركها للامطار ثم رحل بأغنامه وبإبله إلى حيث المرعى متنقلا من مكان إلى مكان

فتحركات البدو توجهها حاجتهم وقسوة بيئتهم وحاجـــة أغنامهم للمرعى وحاجة أسرهم للحياة ، فالبدوى فى انتظار الأمطار لبذر الشعير ، وعلى الساحل منتظرا قدوم أسراب السمان وصيد الاسفنج وفى جوف الصحراء باحثا عـــن الأرانب البرية ، وحينا وراء أغنامه باحثا عن المرعى والوادى الخصيب .

هذه التحركات التى فرضتها بيئته القاسية فى خطوط محددة طوال العام تحدد سلوكه الاجتماعى والاقتصادى والسياسى .

وبدو مطروح بدو شبه رحل يكون تجـوالهم محـدودا ولمسافات قصيرة ، وغالبا ما تتم داخل حدود محافظتهم ماعـــدا سنوات القحط فقد يلجأون إلى الهجرة خارج حدود قبائلهم بحثا وراء المرعى الأخضر لحيواناتهم ويزرعـون مساحات من الأرض ربما لا تتعدى قطعا صغيرة من الأرض .

ويشكل تنقل البدو عقبة أمام الحكومة ، فهم يلجأن لتهريب البضائع والمخدرات عبر الصحراء رغبة فى الكسب السريع أو ارتكاب الجرائم والهرب عبر الصحراء وصعوبة اجراء تعداد دقيق لهم ، وصعوبة تسجيل الوفيات والمواليد وصعوبة التحاق أولادهم بالمدارس .

ويؤثر الترحال تأثيرا كبيرا على مدى استفادة البدو من الهيئات والمصالح الحكومية بمطروح والتى تقدم لهم الخدمات مثل العلاج الطبى وتقديم مستلزمات الانتاج المختلفة من تقاوى وشتلات وسلف نقدية وعينية ، كما يصعب تنفيذ مشروعات التسويق الزراعى لمحاصيلهم المختلفة والتى تحميهم من التجار والوسطاء .

فظاهرة البداوة اذن تقوم على الرحـلات الدورية المتكررة لمساكـن الناس طلبا للرزق . والبداوة مع هذا ليست مطلقة التنقل غير المحدود أو غير المقصود ولكنه تنقل يستهدف التحرك حـول مراكز مؤقتة يتوقف مـدى الاستقرار فيها على كمية الوارد المتاحة فيها وعلى مدى الوسائل الفنية المستعملة فى استغلالها وعلى الأمن الاجتماعى والطبيعى الذى يمكن أن يتوفر فيها .

إن أى تقييم للخلفية الايكولوجية يتضمن بالضرورة ذكـــر للايكولوجيا وأهميتها بالنسبة للبشر من خلال .

١ ـ الانتفاع بالأرض كمفهـوم مـورفلوجى بسيط يظهر قليلا فى العلاقات الايكولوجية الأساسية ومع هذا فان تلك العلاقات هى جوهر الصلات بين الرجل والأرض التى يزرعها ، وتظهر الحاجة إلى ضرورة تقييم تلك العلاقات .

٢ ـ عند التخطيط للأساس الايكولوجى فانه لا يكفى فحص التربة والنبات ككيانات منفصلة بل انهما يرتبطان ببعضهما ارتباطا قويا (١) .

وأصبح واضحا أن النظريات الاقتصادية التقليدية غـير كافية إن لم تكن مضللة حقيقة ففى الايكولوجيا النامية نجـد أن صوت السياسة غالبا ما يكـون

---

1) M.F, THOMAS and G. W. WHITTINGTON : , "Enviroment and Land use in Africa," London. METHUEN and Co. L.T.D. 1969. p. 230.

أكثر خصوبة فى الاصطلاحات الاقتصادية والاجتماعية ، فإذا ما أخذنا ذلك فى حسابنا فان كثيرا من التعارض بين أهداف البيئة وأهداف التنمية سوف يختفى . ولذلك فان أى مشروعات للتنمية تراعى ضمن ما تراعيه وضع الحدود فى الاتجاهات الطبيعية للموارد والبيانات التى يمكن الحصول عليها والانشطة المتعددة والاحتياجات الضخمة لمشروعات معينة كاقامة السدود ومشروعات الرى التى تخطط بمعرفة فريق من الخبرات المتعددة التخصص والتى تشارك فى تلك المشروعات مع مراعاة عدم وجود اختلاف كبير بين مايجب أن يتعلم وكيفية تطبيق هذا التعلم وكيفية جعل التكنولوجيا فى خدمة الإنسانية (١) .

وتتغير الهجرات الرعوية طبقا للفصول وتبعا لمصادر المياه وأسواق التبادل للانتاج وحتى فى البداوة الكاملة يحصل البدو على القمح عن طريق التبادل فى الأسواق ، ولا يعتمد البدو كلية على الزراعة . (٢)

وتتم الهجرة للعمل إلى الوادى وتزداد نسبة المهاجرين أثناء فصول الجفاف وتقل عند سقوط الأمطار .

وليست الهجرة مجرد وسيلة للحصول على المال فقط أو لزيارة العالم الخارجى .

وقد تستغرق الهجرة فترات زمنية طويلة وذلك للاستقرار فى مراكز أكثر تحضرا حيث يمكنهم الزواج من نساء ينتمون لقبائل أخرى . وهناك

---

1) ANTHONY VANN and PAUL ROGERS: "Human Ecology and world development", London. The WHITEFRIARS Press. L.T.D. 1974. p p. 82 - 83

2) Ibid, p. 259.

سبب رئيسى للهجرة هو ندرة الأرض - وعدم خصوبتها وعدم ملاءمة الأرض للزراعة وضعف حمولة المرعى . (١)

ويتخذ الرحيل سعيا وراء الماء والمرعى إحدى الصور الآتية :

١ - التنقل داخل المحافظة :

فى هذه الحالة تحل القبيلة التى لم تسقط الأمطار بمنطقتها صيفا على قبيلة أخرى سقطت بمنطقتها الأمطار ، ومواسم الترحال للبدو بمحافظة مطروح هى أشهر ديسمبر ويناير وفبراير إلى أماكن سقوط الأمطار .

٢ - التنقل خارج المحافظة :

وتتم فى سنوات الجفاف ، اذ يضطر الأهالى إلى الرحيل بأغنامهم شرقا إلى وادى النيل حيث يتوفر الغذاء ورغبة فى التخلص من أغنامهم ببيعها فى أسواق وادى النيل وغالبا ما تكون تنقلات البدو بمحافظة البحيرة حيث ترعى أغنامهم ولوجود كثير من البدو المستوطنين هناك .

٣ - التنقل خارج الجمهورية :

وقد يتم الترحال إلى ليبيا للعمل هناك ، اذ تربطهم ببدو ليبيا صلات القربى والانتماء إلى قبائل واحدة .

---

1) THAYER SCUDDER, "The Ecology of the GWEMBE TONGA'. op. Cit, p.p. 156—157.

توطين البدو : (١)

التوطين عملية إنشائية متكاملة تتضمن أحداث تغيير فى الظروف الطبيعية والحضاريه القـــائمة بهدف تنمية الموارد البشرية والإقتصاديه ورفع المستوى الإجتماعى وتحقيق التكامل القومى عن طريق ادماج المجموعات البدوية ذات الحضارة الرعوية فى الوحدة السياسية والقانونية والفكرية للمجتمع القومى .

وهى مجموعة العمليات التى من شأنها أن تتيح للجماعة البدويه مزيدا من الاستقرار والتوطن فى نطاق مكانى معين ، وفى إطار من نظمها وقيمها وظروفها واحتياجاتها الأساسية ورغباتها ، وخلال فترة زمنية محددة ، بغرض أحـداث تغيير معين ومتدرج فى نمط حياتها الاجتماعية والاقتصادية ،على ضوء خطة مدروسة، وضمن اطار السياسة القومية للدولة . (٢)

والتوطين يختلف عن التهجير ، لان التهجير يستهدف نقل الأفراد من مكان إلى مكان آخر ، اما بسبب ضيق الموارد الطبيعية وعجزها عن إبقاء حاجات المجموعة البشرية فيه ، واما بسبب تعرض المنطقة لظروف تجعلها غـــير صالحة ماديا واجتماعيا للحيـاة الناس فيها ، بمعنى إنتقال الأفراد من نمط مألوف من الحياة إلى نمط آخر مألوف ، أما التوطين فهو تغيـير أساسى فى نوع الحيـــاة . (٣)

---

(١) تعتبر مشكلة التوطين وحيازة الأراضى واحدة من أهم المشاكل التى تعوق التقدم الاقتصادى والاجتماعى بالمنطقة ، وان التعديل والتنقيح فى نظـام حيازة الأراضى وخلق مجتمعات زراعية مستقرة من أهم العوامل الأساسية لزيادة الإنتاج الزراعى ورفع مستوى المعيشة .

(١) د/ محي الدين صابر : المرجع السابق ص٤٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٤ .

أنواع التوطين ووسائله :

قبل أن نتكلم عن التوطين وأنواعه ، لا بد أن نفرق بين شيئين هما : -

١ - التوطين التلقائى : -

وهو استقرار البدو أنفسهم نتيجة لتغير الظروف الاقتصادية أو الاجتماعية التى تحيط بهم ، وهذه العملية ليست حديثة لدى البدو ، بل لجأ اليهـا البدو منذ القدم ولازالت مستمرة حتى اليوم .

ويرجع التوطين التلقائى لدى البدو إلى عدد من العوامل ، مثل زيادة الجفاف فى سنة من السنوات بحيث تقضى على أعداد كبيرة من الماشية ، فيضطر البـدو أنفسهم إلى البحث عن وسيلة للعيش طوال فترة الجفاف فتكون أكثر ضمانا من ممارسة الرعى على أثر الاتصال المباشر بالمناطق الحضرية والريفية التى تحيط بالصحراء مما يؤدى بعد فترة من الزمن إلى حدوث تغـيرات جوهريه فى نظرة البدو نحو الحياة الاجتماعية الأكثر هدوءا وإستقرارا ، والرغبة فى تقليد أهل المدن والريف فى وسائل حياتهم .

ومن أمثلة هذا النوع من التوطين التلقائى توطين بدنه الأفراد بعزبتهم التى تقع على ساحل البحر الأبيض بمرسى مطروح ، فقد استقرت تلك البدنة بهـذه المنطقة ، وبالرغم من هذا التوطين التلقائى إلا أن البدنة لم تغير عاداتها وتقاليدها ولا تركيبها القرابى ؛ فجميع أفراد البدنة يعيشون معا فى منطقة واحدة، والتقسيم القرابى للبدنة إلى ثلاثة بيوت هى « ختال » و « عطيوه » و « عبد الله » جعل أفراد كل بيت يعيشون معا متجاورين فى مساكنهم وفى إطار أرض البدنة ككل. فكأن التقسيم القرابى للبدنة يرتبط إرتباطـــا قويا بالتوزيع الاقليمى لأرض البدنة .

٢ - التوطين الموجه : -

وهى عملية الغرض منها تشجيع البدو بوسائل وخطط مرسومة مقدما على الاستقرار فى الأرض وذلك بانشاء عدد من المشروعات التى تبث فيهم الحماس إلى تغيير وسيلة الحياة التى يعتمدون عليها وهى الرعى ، نحـو أساليب ووسائل أخرى جديدة مثل الزراعة ، أو بعض الصناعات والحرف التى تدفع الناس إلى الاستقرار فى منطقة معينة .

وعلى ضوء ما تقدم يمكن التمييز بين نوعين من التوطين الموجه :-

أ - التوطين المباشر : -

وهو الذى يتم نتيجة للمشروعات التى تقيمهـا الدولة فى مكان معين بغية الاقامة فى مناطقها .

مثال ذلك مشروع توطين البدو بمنطقة القصر عن طريق توفير موارد المياه لهم مثل مشروع وادى ماجد بالقصر وتأسيس الجمعيات التعاونية الزراعية التى تمدهم بالشتلات والبذور المختلفة بأسعار رمزية والاعتراف بوضع اليد فى المناطق والأراضى التى يحوزها البدو ، وتركيب المراوح الهوائية لجلب الميـاه الجوفية اللازمة للرى ، وامداد البدو بالجرارات عن طريق الجمعيات التعاونية ، وإقامة مصدات الرياح حتى لا تتلف المزروعات ، وتسويق المنتجات الزراعية للبدو .

ب - التوطين غير المباشر : -

وهو نتيجة قيام الدولة ببعض المشروعات العمرانية فى البلاد كرصف الطرق فى الصحراء ، ومد السكك الحديدية ، فهذه المشروعات تهـدف إلى تحقيق نتائج معينة بالذات تختلف كل الاختلاف عن استقرار البدو ، ولكنها تؤثر فى حياة

البدو أنفسهم ، فتشجعهم على الانتقال إلى أماكن الزراعة والصناعة ، وتفتح أمام أعينهم آفاقا جديدة فى الحياة ، لذلك يسهل عليهم الاقامة والاستقرار فى مناطق معينة بطول خطوط السكك الحديدية ، وعلى وجه الخصوص حول المحطات وأماكن الاستراحة . (١)

مشروعات التوطين فى منطقة مطروح :-

إن المجال الذى يجـرى عليه التوطين يشمل منطقة تمتد طولا حوالى ٥٢٠ كيلو متر من غرب دلتا النيل حتى الحدود الليبية وهى تمتاز بارتفاع نسبى فى معدلات سقوط الأمطار عن باقى الصحراوات الغربية ، إلى جانب اعتدال مناخها وتوفر وسائل النقل فيها والمنطقة فوق ذلك كانت آهلة بالسكان ومتقدمة فى العهود اليونانية والرومانية ، يدل على ذلك ما يقوم فيها من بقايا تلك الآثار .

وقد سارت خطة التوطين فى المنطقة فى التصور التالى : -

(أ) مجموعة دراسات فنية واجتماعية .

(ب) تنفيذ مشروعات تجريبية .

(ج) تقويم هذه المشروعات لامكانية تعميمها .

ففيما يتصل بالدراسات الفنية ، قام الجهاز التنفيذى للمشروعات الصحراوية بدراسات عن التربة والطبيعة الجغرافية والجيولوجية .

وفى هذا المجال تم اعداد خرائط مصورة من الجو لكل المناطق ثم أعدت خرائط تفصيلية من تلك الخرائط الجوية التى تجرى فيها عمليات التوطين التجريبية .

---

(١) الجهاز التنفيذى للمشروعات الصحراوية : « أثر الزراعة على توطين البدو بمنطقة الساحل الشمالى الغربى ، المرجع السابق ص ١٠ - ١٤ .

كذلك تم حصر استكشافى من الصور الجوية لتحديد مدى صلاحية أراضى المنطقة من نواحى الاستغلال الزراعى المختلفة بالنسبة للتربة ، كما أعدت خريطة للصرف لتحديد أماكن تجمعات السيول والأمطار وتقدير كمياتها ، إلى جانب الدراسات الجيولوجية الاستكشافية من واقع الصور الجوية لتحديد التركيبات الجيولوجية للمنطقة لدراسة تحركات وتجمعات المياه الجوفية .

وبعد تحديد هذا الاطـــار ، بدأت دراسات عن مصادر المياه تناولت الأرصاد الجوية الخاصة بالأمطار فى المنطقة لتحديد معدلات الأمطار ودورتها فيما يتصل بالمعدل السنوى والشهرى لتساقطها . وشملت هـذه الدراسات مصادر المياه الجوفية وتوزيعها وكمياتها ، عن طريق حصر شامل لمصادر المياه الأرضية بالمنطقة كالسوانى والخنادق والخزانات السطحية ، كذلك فإن دراسة أخرى أجريت لتحديد أعماق مستوى الماء الأرضى على طول الساحل وصـلاحيتها فى الزراعة والشرب . وجمعت البيانات المتصلة بالآبار القـائمة ، ومنسوب سطح المياه ودرجة ملوحتها وتصرفاتها اليومية على مدار السنة .

وقد جمعت كل هذه الدراسات فى خريطة واحدة سميت خريطة الاستغلال الصحيح للمنطقة . (١)

ومن ناحية أخرى فإن دراسات قامت عن الثروة الحيوانية شملت تحسين سلالات الأغنام المحلية ، وأمراض الحيوان بالمنطقة ، وأنواع التغذية الحيوانية القائمـــة .

---

١ - الجهاز التنفيذى للمشروعات الصحراوية : « مشروعات التنمية بمنطقة الساحل الشمالى الغربى المرجع السابق ص ٢٧ »

ودراسات مماثلة أجريت فى مجال المراعى ، فأعدت خريطة جويه لمناطق الرعى ثم دراسة أخرى عن النباتات المحلية والأجنبية ، والنظر فيما يصلح للمنطقة لاختيار أجودها لتحسين الغطاء النباتى .

كذلك فإن خريطة بيئية أعدت فى هذا المجال ، ثم انشئت مراكز فى المنطقة قسمت على حسب القبائل التى تسكنها ، وذلك لتتولى توزيع بذور وشتلات النباتات الأكثر جودة للاكثار منهـا .

وتمت دراسة الصلة بين الحيوان والمرعى لتحديد طاقة المراعى على الحيوانات التى ترعاها . وجاءت الدراسات الإجتماعية والنفسية لتهتم بالجـانب البشرى فأجريت الدراسات حول الحاجات والخدمات الأولية والعاجلة فتم حصرها .

وتناولت هـــذه الدراسات التكوين الحضارى ، بما يشمل أسلوب الحياة والعادات والتقاليد والقيم ، كما درست التركيبـات الإجتماعية من حيث القيادة والأسرة والنظم والقوانين .

كما أن جانباً كبيراً من الدراسة انصرف إلى دراسة الدوافع والتطلعات القائمة عند المجتمع البدوى ، ومدى استجابتهم لأعمال التنمية ، والمشاركة فى الحياة الإجتماعية ، والعمل فى المنظمات الشعبية والاقتصادية . (١)

وباستكمال الدراسات وتوافر المعلومات ، بدأت خطة المشروعات التجريبية فى المنطقة وهى تقوم على خطة تنمية إقتصادية وإجتماعية ، وقد تعاونت بعض المنظمات الدولية مع الحكومة المصرية فى بعض أنشطة هذه الخطة .

---

١ - المرجع السابق ص ٢٩ .

ويمثل هذا التعاون فى اتفاقيتين ، نفذت احداهما مع برنامج الغذاء العالمى التابع للأمم المتحدة ، لمد أربعة آلاف أسرة بدوية حوالى ٢٠ ألف نسمة ، بالمواد الغذائية فى فصل الجفاف الذى يستمر ثلاثة شهور كل عام ، وذلك بتقديم الاعلاف للأغنام فى الفترة نفسها . أما الاتفاقية الثانية فقد عقدت مع الصندوق الخاص التابع للامم المتحدة أيضا ، وهى تهدف إلى الاسهام فى عملية الدراسات العلمية التفصيلية للمنطقة على ضوء الدراسات الاستكشافية . وأجل هاتين الاتفاقيتين ثلاث سنوات

أما خطة التنمية الإجتماعية ، فقد اتخذت المناشط الآتية كنقطة انطلاق لتعبئة القوى البشرية فى المنطقة ولتنظيمها وتوجيهها : -

فقد أنشئت الجمعيات التعاونية المتعددة الأغراض لمواجهة حاجات الإنتاج والإستهلاك والخدمات . فتم إنشاء أربعين جمعية تعاونية من هذا النوع على طول الساحل الغربى منها ١٩ جمعية فى منطقة مطروح وحدها.

وأنشئت جمعية تعاونية مركزية على مستوى المحافظة لخدمة الأغراض الإقتصادية لجمعيات المنطقة ، وتتولى عمليات النقل والتسويق فى الوقت نفسه كما أنشىء اتحاد تعاونى اقليمى على مستوى المحافظة .

ومن ناحية أخرى فقد أدخل نظام الحكم المحلى عام ١٩٦٢ ، حيث أنشئت محافظة مطروح ، واستكمل بناء الحكم المحلى مؤسساته ، حيث بدأ البدو يسهمون فى تسيير أمور المنطقة ، ويتدربون على نظم جديدة فى القيادة والحكم .

كذلك فان التنظيم السياسى قد عرف طريقه اليهم ، وذلك بقيام الوحدات

الأساسية والجماهيرية للتكوينات الحزبية ، الامر الذى يربط المجتمع البدوى المنعزل بالمجتمع القومى ، ويتلاحم مع قضاياه الكبرى .

ذلك إلى جانب التوسع فى إنشاء الخدمات الأساسية ، كالمؤسسات التعليمية والبيطرية حول الجمعيات التعاونية ، لتكون نقطة تجمعات ونواة جديدة .

وقد عزز الخطة بعض المشروعات التى قامت بها الدولة للانفاق على أبناء المحافظة الذين يفدون للتعليم المتقدم فى مرسى مطروح ، أو يذهبون إلى عواصم الجمهورية للدراسة الجامعية والعالية . (١)

وقد أفضت التجربة إلى نتائج ملموسة فى المدى الزمنى الذى دارت فيه فقد تم استصلاح وزراعة أحد عشر ألف فدان ، وزرعت ستة آلاف فدان تملكها البدو فى الوديان ، ومدت يد التحسين حوالى خمسة وأربعين ألف فدان من المراعى .

وأنشىء مركزان لتصنيع الصوف وصناعة الاكلمة والبطاطين ، كما أن مشروعات الصناعات الزراعية برزت إلى حيز التنفيذ ، فتم إنشاء ثلاثة معاصر الزيتون فى الخطة إلى جانب معدل تصنيع التين.

وقد ترتب على هذا كله أن زاد متوسط دخل الأسرة من خمسة وثمانين جنيها فى عام ١٩٥٩ إلى مائة وأربعين جنيها فى عام ١٩٦٤ .

أما من حيث التنظيم التعاونى فقد قفز عدد المنظمات التعاونية من خمس جمعيات عام ١٩٥٩ إلى أربعين جمعية عام ١٩٧٢ ومازال العدد قابلا للزيادة .

---

١ - وزارة الادارة المحلية : « توطين البدو فى المحافظات الصحراوية بالجمهورية العربية المتحدة القاهرة ، ١٩٦٥ ص٦٢ - ٦٤ .

وفى مجال الخدمات الصحية ، فقد زاد عدد المستشفيات على طول الساحل الشمالى الغربى من ثلاثة عام ١٩٦٠ إلى ستة عام ١٩٦٤ ، وبلغ عددها فى مدينة مطروح وحدها خمسة فى عام ١٩٧١ ، وبلغ عدد العيادات الخاصة بالمدينة فى نفس السنة سبعة عيادات .

أما فى مجال التعليم ، فلم تكن هناك فى عام ١٩٦٠ منطقة تعليمية ، وفى عام ١٩٧٣ كانت هناك ٥١ مدرسة فى مختلف المراحل التعليمية بمدينة مطروح وضواحيها تضم (٢٩٥) فصلا ، يدرس فيها (٩٣٥٧) تلميذا ، تتراوح أعمارهم بين السادسة والثامنة عشر .

وفى مجال النشاط الإجتماعى ، لم تكن هناك إلا سبعة نواد فى عام ١٩٦٠ فأصبح عددها أثنى عشر ناديا ، منها تسعة للرياضة ، واثنان للأعمال الخيرية وواحد للنشاط الدينى .

ولوحظ فى مجال التغيير الإجتماعى فى السكن ، أن ظهرت تجمعات سكانية حول المنشآت الإقتصادية ، ومؤسسات الخدمات ، وان هناك اتجاها برز فى تغيير شكل السكن التقليدى ، فاستبدل بالخيم البيوت الدائمة مبنية بالطوب أو بالحجارة، وبخاصة فى المناطق التى جادت فيها أشجار التين .

ويستدعى النمط التوطينى ضرورة قيام مجتمع متجانس متماثل فى الروابط المكانية والإجتماعية والمهنية على قدر مشترك ، فالقبيلة أو العائلة أو البيت يجمعهم مجتمع واحد فى حالة التوطين . ولكى يستقيم التخطيط للتوطين ينبغى ألا تهمل هذه الحقيقة فى المجتمع البدوى ، الذى تسود فيه علاقات المواجهة، وتقوم الروابط القرابية فيه بدور سياسى وإجتماعى ، على قدر من الحيوية كبير .

وقد يكون التوطين الزراعى مختلطا ، فيكون زراعيا رعويا ، وهذا يكون أفضل لو تيسرت له الظروف الملائمة ، من سعة فى الأرض بصورة يمكن أن يزاوج فيها بين الزراعة والرعى ، فيتبع نظام الدورات فى كل نشاط فى الحقل والرعى ومن توفر للمياه بكميات تكفى لدعم النشاطين معا .

ومثل هذا الازدواج ، لو كان له سبيل ، يقلل من الصعوبات الإجتماعية التى قد يتعرض لها البدوى حين ينقطع عن ماضيه فجأة وحين يحصل على خبرات تقتضى تدريبا طويلا . وتطلب من القائمين على التوطين جهودا متصلة والتوطين المزدوج فوق ذلك يغطى ثغرة أخرى يشير اليها الذين يعارضون توطين البدو، وهى ضرورة إستغلال أكبر جزء ممكن من الأرض القومية ، لأن تركيز البدو فى مكان محدد يترك جزءا كبيرا من المساحة القومية دون استغلال ما ،فى الوقت الذى يعتبر فيه إستغلال البدوى لها بوسائله المحدودة أفضل إستغلال إقتصادى ممكن . (١)

أهداف توطين البدو : ـ

تهدف تنمية وتوطين البدو فى مطروح إلى ما يأتى : ـ

أ ـ تكامل المجتمع : ـ

لم يعد البدوى اليوم مستقلا سياسيا من حيث خضوعه للقانون العام للدولة فهو مرتبط بها فى كل مقومات حياته وحاجاته ،فقد أصبح توطين البدو ضرورة قومية تقوم بها الدولة نحو مواطنيها . وقد تم الاهتمام بالبدو باعتبارهم مواطنين ، وبالبادية باعتبارها جزء من الوطن ، حيث يتصل ذلك الجزء المنعزل

---

١ ـ دكتور / محي الدين صابر : المرجع السابق ص ٩٨ .

من الأرض بالموارد البشرية والطبيعية فى المجتمع القومى. وبذلك نضمن الاندماج الكامل للبدو مع الحياة السياسية والمدنية لباقى الشعب .

ب - إستغلال الموارد البشرية : -

يقصد بها إستغلال تلك المساحات الصحراوية التى يشغلها البــدو وذلك بزراعة المناطق الصالحة منها وتوفير مياه الرى اللازمة ثم توزيع الأراضى على البدو أنفسهم أو القيام بتهجير الأسر من المحافظات المزدحمة بالسكان . فالتوطين يعتبر حلا لتوسيع نطاق الأراضى الزراعية وتنمية الثروة الحيــوانية لمواجهة الزيادة فى السكان وإقامة توازن بين الامتداد السكانى ، وبين إستغلال الموارد الطبيعيــة .

ج - احداث التغير الحضارى البدو :-

تستهدف عملية التوطين الإنسان البدوى ذاته من حيث تغيير قيمه ومهاراته ووسائل ونمط حياته بصورة تكفل له التكيف السليم مع النمط الجديد للحياة دون أن يتعرض لآثار التخلف الحضارى .

د - امكانية تنفيذ خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية : -

إن البداوة تعتبر من أهم العوائق أمام تنفيــذ خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية للموارد الطبيعية والبشرية التى لا تقوم إلا على قدر من التخطيط الذى يحدد الموارد والامكانيات والاحتياجات . (١)

---

١ - يمكن التوطين الدولة من القيام بواجباتها نحو المواطنين البدو بتقديم الخدمات المختلفة مثل التعليم والصحة والأمن والتعليم ، كما ستتاح للبدو =

هـ - الاهتمام بالزراعة : -

يقوم التوطين بدور كبير لتوجيه الجهود للزراعة واعدادها لامتصاص البداوة ونجاح أى مشروع من مشروعات التوطين الزراعى للبدو يستلزم التأكد من نجاحهم فى العمل الزراعى لتثبيت مصدر رزقهم منه ، لانه لو كان فى هذه الناحية أدنى شك فالأفضل الابتعاد عن التوطين الزراعى ، كما يحتاج نقل البدوى إلى العمل فى الزراعة إلى سنين طويلة الأمــد ويجب التأكد من أن مشروعات التوطين ناجحة من الناحية الإقتصادية أى أن تكون موردا كافيا من الرزق للمستوطنين وأن الدخل منها سيحمى البدوى من الفقر والعوز ويغنيه عن الترحال طلبا للرزق . (١)

وقد ارتكز التخطيط لمشروعات التوطين للبدو على أساسين : -

الأول : - توفير أنواع العمالة الممكنة فى المجالات الآتية : -

= أنفسهم التمتع بالخدمات التى تقدم للحيوانات وذلك فى صورة أعلاف أو فى صورة علاج بيطرى وسيكون لها أثر كبير فى زيادة دخولهم وتحسين مستوى معيشتهم ، كما سيحصل البدو على مستلزمات الإنتاج الزراعى بأسعار معقولة وتسويق محاصيلهم الزراعية .

أنظر : الجهاز التنفيذى للمشروعات الصحراوية :

أثر الزراعة على توطين البدو بالساحل الشمالى الغربى .

المرجع السابق ص ١٦ - ١٧ .

١ - ستصبح الزراعة فى منطقة مطروح مصدرا إضافيا للدخل علاوة على الإنتاج الحيوانى الذى يعتبر مصدرا رئيسيا لدخل البدو ، كما ستعتبر الزراعــة عاملا مشجعا على توطين البدو حتى يتمكنوا من القيام بالأعمال الزراعية .

- الزراعة فى أماكن تتوفر فيها إمكانيات الزراعة .
- الصناعة فى المناطق الصناعية والتعدينية فى الصحراء .
- الصيد فى المناطق الواقعة على الشاطىء .

والثانى : - تقديم أنواع من الخدمات والرعاية اللازمة لرفع مستوى معيشة البدو مع العناية بتطوير عاداتهم وتقاليدهم .

الصعوبات التى تواجه عمليات التوطين فى مطروح :-

١ - عدم توفر المياه والعشب فى المناطق التى يعيش فيها البدو على مدار السنة مما يدفعهم إلى السعى وراءها حيثما وجدت ، وهذا يترتب على إنتشارهم فى الصحراء قسرا عنهم دون أن يستطيعوا التجمع فى أماكن ثابتة يسهل الوصول إليها لتقديم الخدمات اللازمة لهم .

٢ - إن النظام التقليدى المتوارث لحياة البدوى فى الصحراء وحبه لها واعتزازه بالحرية الطليقة جعلته يتنقل فى أرجائها حيثما شاء بلا قيود ولا حدود بحثا عن الماء والكلأ يجد فى ذلك سعادة ، فالبدوى معروف بكرهه التقليدى للأعمال اليدوية والحياة المدنية التى تقيده بقيود تتنافى مع عاداته وتقاليده .

٣ - إن تفشى الأمية وإنتشار الجهل وإنعدام الاتصال الثقافى بحياة البدوى وخبراته المحدودة فى كل نواحى النشاط المختلفة ضربت حوله ستارا من العزلة وأضعفت ثقته فى المجتمع القوى الذى ينتمى اليه .

٤ - كانت لتقاليد الموروثة عند البدوى تمنعه من التزاوج الخارجى وتقصره على الزواج الداخلى من أقاربه وهو يشعر بأن إستقراره فى بقعة بعينها يتيح له هذا الزواج وإيجاد علاقة بينه وبين المجتمع ، فينفر من هذا الاستقرار

ويخاف من النتائج المترتبة عليه . إلا أن هذا المبدأ تغير بسبب الإتجاه الحالى للزواج الخارجى .

٥ - عدم سرعة الاستجابة وبطئها لدى البدو للتغيرات المطلوبة بسبب وقوف العادات والتقاليد حجر عثره فى سبيل تنفيذ عمليات التوطين .

٦ - قلة إقبال البدو على الأعمال اليدوية أو التدريب على الأعمال الفنية فى المؤسسات والشركات بالإضافة إلى عدم إهتمامهم بتوفير مسوغات التعيين .

٧ - احجام الفنيين والموظفين عن العمل فى الصحراء لقسوة الظروف والأحوال المعيشية والإجتماعية التى قد يجدون أنفسهم وعائلاتهم فيها دون أن يسبق لهم التعود عليها .

٨ - عدم كفاية الموارد الطبيعية فى بعض الأماكن مما يحقق توفير موارد العيش الثابتة لتوطين البدو .

وقد قام الجهاز التنفيذى للمشروعات الصحراوية بتوزيع الجرارات والمرواح الهوائية والكتاكيت ، وتسويق البلح للمزارعين من البدو ، وتوزيع المواد التموينية عليهم وتوزيع الأعلاف وتحسين الثروة الحيوانية وتعمير الأراضى وتوزيعها على البدو ، وقد كان البدو محرومين من تملك الأراضى الصحراوية بل كانت هذه الأراضى ملكا للدولة الأمر الذى أدى إلى عدم إستقرار سكان الصحراء وأضعف من إرتباطهم بالأرض التى يعيشون عليها .

وبصدور القانون رقم ١٢٤ لسنة ١٩٥٨ أصبح من حق الأهالى بالصحراء شراء المساحات المستغلة بالزراعة أو بالبناء .

ولكن هذا القانون لم يعترف بملكية وضع اليد على الإطلاق وكان التعامل به على أساس إما الشراء أو التأجير لأى إنسان يشغل موقعا فى الصحراء وماعدا هذا لم يعترف القانون بوضع اليد أو بأى صك للملكية . (١)

وظل هذا الوضع قائما حتى سنة ١٩٦٤ وقت صــدور القانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٦٤ وهو أكثر تنظيما للملكية فى الصحراء عن طريق : ـ

١ ـ تشجيع الناس الذين يريدون الزراعة فى الصحراء باعطائهم أو التصرف لهم بالبيع فى حدود ٥٠ فدان بشرط إستصلاحها فى مدى عشر سنين وعليهم دفع ٠ ./. مقدم ثمن والباقى يقسط على ٢٠ سنة، وتقدر الأرض بمعرفة لجان منصوص عليها فى القانون .

٢ ـ التصرف فى الأراضى الفضاء أو المشغولة بمنشآت ثابتة أو غير ثابتة يتم إما بالتأجـير أو البيع بشروط ينص عليها القانون رقم ١٠٠ وتقسيم الأراضى الفضاء وبيعها بالمزاد فى الأراضى التى تزيد مساحتها عن ١٠٠٠ مـتر .

٣ ـ الأراضى التى يتم إستصلاحها بمعرفة الجهاز التنفيذى للمشروعات الصحراوية يتصرف فيها بعد الاصلاح بتوزيعها على الأسر المعـدمة .

فالتوطين يسير فى ثلاث خطوات:

١ ـ إنشاء الجمعيات التعاونية لتوفير إحتياجات البدو فى مواقعهم ، ومدهم بالعلف فى سنوات الجدب .

---

٢ ـ لم يتم تنفيذ هذا القانون طبقا للأحكام التى نصت عليه ، وقد استجاب الناس شكليا لهذا القانون الذى لم يعترف لهم بوضع اليد .

٢ ـ دراسة الصحراء ككل بمعرفة ، الصندوق الخاص للأمم المتحدة ، من حيث الامكانيات التى يمكن عملها لتوطين البدو ، وتقسيم الصحراء إلى مجموعة مناطق تجريبية يعمل فيها مجموعة من الخبراء المتخصصين فى المياه الجوفية والأراضى وغيرها على أساس أخذ أقصى امكانيات يمكن أن تعطينا وتمدنا بها الطبيعة بوضعها الحالى واستخدام الامكانيات المتاحة بأقصى جهد ممكن ، وإقامة سدود لحجز مياه المطر حتى لا تضيع فى البحـر مثل السدود التى أقيمت فى القصر وبرانى والضبعة ، وتشجيع البدو على إقامة تلك السدود .

٢ ـ إختيار المواقع الصالحة فى الوديان المختلفه للزراعة وبيان أفضل المزروعات التى تزرع فى هذه المناطق بصفة مستديمة وتوفير المياه بحفر وترميم الآبار لتبقى صالحة للاستعمال .

وبهذا تتوفر للبدوى إمكانيات الحيــاة التى تساعد على التوطين والاستقرار ونبذ حياة البداوة .

يتضح لنا مما ذكرناه فى هذا الفصل أن للظروف الايكولوجية دخل كبير فى نظام حيازة الأرض بحيث لا يمكن تغيير وتحليل نظام حيازة الأرض لدى بدو مطروح بدون أن نضع فى الاعتبار تلك الظروف التى أدت إلى وجــود نظام اقتصادية معينة ترتكز على التضامن القبلى مثل نظام الزراعة بالمشاركة .

واقتصاديات البدو الرئيسية تخضع لتلك الظروف البيئية وتحت رحمتها وتحدد لهم تحركاتهم الشتوية وراء المــاء والمرعى . فقد أجبرتهم الطبيعة على التحرك والتفرق والتعاون والتماسك وإقامة النجوع لمواجهة حرب الطبيعة . وأصبح البدو رعاة بسبب عدم إنتظام الأمطـار ، وسوء توزيع مصاد المياه لذلك كان تجـول

بدو مطروح وراء الماء والمرعى هو أقصى نوع من التوافق للحياة الإنسانية مع الطبيعة القاسية .

وبدأت البداوة تفقد جانبا من القوى البشرية التي تعيش في الصحراء وتعمل في الرعي وتربية الماشية والتي تفضل أن تتحول لنمط الحياة الحضاري المستقر وان كان الترحال في حد ذاته يشكل عقبة كبيرة أمام كثير من مشروعات التوطين ومشروعات الخدمة العامة .

كذلك يؤكد هذا الفصل الفرض العلمي الذي وضعناه في بداية البحث وهو أن هناك علاقة وثيقة بين حيازة الأرض والتقسيمات القرابية لبدو مطروح بحيث يشير كل توزيع اقليمي إلى علاقة قرابية ، ويتضح لنا ذلك من الأمثلة الثلاثة للتجمعات القبلية التي عرضنا لها في هذا الفصل وهي بدنة الأفراد التي تقيم في مدينة مرسى مطروح والتي بالرغم من إقامتها في المدينة وبالرغم من التغيير الذي طرأ على عادات وتقاليد وقيم تلك البدنة بعد سكناها المدنية ، إلا أن تلك السكنى لم تغير من علاقاتهم القرابية ومن التقسيم الداخلي للبدنة داخل الأرض التي تشغلها وتقتصر عليهم وحدهم دون غيرهم .

كذلك نجد هذا الارتباط الوثيق بين التوزيعات الاقليمية والتقسيمات القرابية لدى عائلة العشيبات التي تقيم بالقصر وتمارس مهنتي الرعي والزراعة بالرغم من مشروعات التوطين التي هيأتها لهم الدولة للاستقرار في قرية القصر. فقد أدت الظروف البيئية إلى تقسيم البدو إلى قبائل وجماعات قبلية لكل منها بقعة من الأرض داخل الاقليم الواحد ، وأصبح هذا هو نمط الحياة والبناء الاساسي للمجتمع البدوي .

وقد ساعد علي احتفاظ عائلة الأفراد بمدينة مطروح بتقسيمها الاقليمي إلى

الآن هو استمرار شعور أفرادها بوحدة البدنة وانفصالها وتباعدها إجتماعياً عن الجماعات الأخرى بالمدينة ، كما لا يزال شعور الفرد موجوداً بانتمائه إلى أحد البيوت التي تتبع العائلة وبالتالي لا زالت عائلة الأفراد متماسكة حتى الآن نظراً لوجود اسم للبدنة وشعور الفرد بانتمائه إليها .

والملامح الرئيسية لأراضي البدو بمطروح هي : ـ

تربة صحراوية ، وأراضي زراعية محدودة تتركز على طول الساحل الشمالي الغربي وتزرع على مياه الأمطار والمياه الجوفية في فصل الشتاء ، وتلك الملامح تتفاعل مع بعضها وتكون نسقا بيئيا يشكل مباشرة حياة البدو ويؤثر في تماسكهم الاجتماعي .

واهتمامهم الرئيسي يكون بالرعي ويمتزج بالأحوال البيئية ويقتضي نمطا معينا للحياة ، ونستطيع هنا أن نبين نقطتين : ـ

١ ـ إنه بالرغم من أن بدو مطروح يعرفون إقتصاداً مختلطا رعويا وزراعيا فإن أرضهم أكثر مناسبة لرعي الماشية عن الزراعة ، ولهذا فإن الانحياز البيئي **Enviromental bias** يتطابق مع انحياز إتجاهاتهم ولا يشجع على أي تغيير في التوازن لمصلحة الزراعة .

٢ ـ لا يستطيع بدو مطروح ـ ما عدا في بقع قليلة ـ أن يعيشوا في مكان واحد طوال السنة . فالجدب يقودهم هم وتطلعاتهم للبحث عن الماء والمرعى طوال فصول الجفاف، وحينئذ يصبح التنقل أمرا حيويا في حياتهم لرعي الحيوانات.

كما أن زيادة ونقصان الماء كانت ولا تزال هي المشكلة الأولى التي تواجه بدو مطروح ، لذلك كان اختيار مواقع الاستقرار يتم فقط في المناطق التي تقدم حماية للانسان والحيوان .

ومشكلة المياه ترتبط ارتباطا وثيقا بالنبات ويبحث البـــدو فى حركاتهم الفصلية عن المرعى مثلما يبحثون عن مياه الشرب ، وهم يأخذون الماشية حيث يعرفون أن كلا الاثنين الماء والمرعى يمكن الحصول عليهما ، واختلاف كميات المطر ومصادره يرغم البدو على التحرك ويحدد اتجاه حركاتهم .

كذلك فإن سيطرة القيمة الرعوية عـــلى القيمة الزراعية يرتبط بالعلاقات الايكولوجية التى تناسب رعى الماشية عن الزراعة .

ولقد تسببت نـــدرة الطعام فى معظم أوقات السنة إلى الاعتماد الكبير والتضامن بين العشائر والبدنات . وتلك المشاركة فى الطعام كقاعدة والمساعدة المتبادلة والتعويض عن النقص فى الطعام أثنـاء فصل الجفاف والنجوع يرجع أساساً إلى العلاقات القرابية . فالشخص الذى فى حاجة إلى مساعدة اليـوم من شخص آخر قد يساعده الأول فيما بعد فى المستقبل . وسيظهر ذلك بالتوضيح فى الفصل الثالث من هذا البحث الذى يتناول حيازة الأرض كنظام اقتصادى .

واستنادا إلى ذلك فإنه للتعرف على الارتباط الوثيق للبـــدو المقيمين فى مدينـة مطروح وولائهم لقبائلهم وخضوعهم لمختلف الالتزامات الاجتماعية كأعضاء فى قبيلة أو عشيرة أو بدنه لا بد وأن ينظر إلى هـــذا كله من خلال تنظيمهم الاجتماعى التقليدى وروابط القرابة الأبوية التى لهـا دور مماثل فى حياة الفرد البدوى وتفرض التزامات وحقوق محـددة للأقارب تجـاه بعضهم البعض .

ويشير النجع كما يستخدمه البدو إلى الجماعة القرابية التى تقيم فى وحدة اقليمية واضحة الحدود ، فلا يقصد من الاشارة إلى النجع المفهوم المكانى فحسب ، كما أنه يحمل اسم الجماعة القرابية المقيمة فيه وغالبا ما يكون وحـدة اقليمية وقرابية

يرتبط الأفـــراد المقيمون فيه بروابط القرابة عن طـريق الانحدار من سلف واحد مشترك من جهة الأب .

وتوزيع المساكن داخل البدنه يؤكـد أن هناك ارتباط بين حيازة الأرض والتقسيمات القرابية ، يضاف إلى ذلك أيضا أن توزيـع المساكن داخـل البدنه الواحدة يؤكد أنه يتبع درجة القرابة بين أفراد البيوت التى تنقسم اليها البدنه . فكلما قربت علاقات القرابة بين تلك البيوت كلما تقاربت مساكنهم .

والبعد البنائى بين كل قسم من أقسام القبيلة وبقية الأقسام أقل اتساعا واكثر ترابطا عن البعد البنائى بينه وبين القبائل الأخرى .

تحركات البدو طوال العام

يناير	فبراير	مارس	ابريل	مايو	يونيه	يوليو واغسطس	سبتمبر واكتوبر	نوفمبر وديسمبر
أمطـ	----	ـار	جفـ	----	----	----	ـاف	امطار
تلد الاغنام ويظل الحمل الصغير يرضع أمه حوالى ستين يوما يعزل بعدها ان كان ذكرا	تزرع الطماطم فى الاراضى الساحلية اواخر فبراير يزرع البطيخ	يروى الشعير الرية الأخيرة بداية موسم بيع الاغنام (قطف الحولى)	جز صوف الاغنام بعد أن تمر شهور . أواخر ابريل	من اواخر ابريل يونية حصاد	الى اواخر الشعير	جنى اللوز الجاف	نضج الزيتون وجمعه والتحرك لصيد السمان	زراعة الشعير من نوفمبر الى أواخر ابريل - ترعى الاغنام دون أن تشرب ماء لان الحشائش خضراء
				صيـ	----	----	ـد الاسفنج	
التحرك	للبحـث	عن	المـراء	----	----	----	ـى	
			البحث عن الاعمال وبيع الانتاج للمصطافين					

١ - من نوفمبر الى أواخر ابريل ترعى الاغنام دون أن تشرب ماء لخضرة الحشائش

٢ - من ابريل الى اكتوبر ترعى الاغنام والابل والحشائش الجافة وتشرب كل ثلاثة أيام

٣ - من سبتمبر الى مايو يترك الاطفال والصبيان نجوعهم يوميا للذهاب الى مرسى مطروح للدراسة .

عزبة عائلة الأفراد بمطروح (على الأبيض)

أولا : بيت ختـال

١/١ = حديقة زيتون ونخل لسعد ختال .

٢/١ = حديقة زيتون ونخل للحاج عوض ختال .

٣/١ = حديقة زيتون رنخل لعلوانى ختال .

٤/١ = حدائق زيتون ونخل للعمدة عرابى ختال

٥/١ = حدائق زيتون ونخل للحاج تماوى ختال .

٦/١ = حدائق تين ونخل للحاج عوض ختال .

٧/١ = منازل سكن للحاج عوض ختال .

٨/١ = منزل ادريس عوض ختال .

٩/١ = منزل عبد الحفيظ عوض ختال .

١٠/١ = منزل سـعيد تماوى ختال

١١/١ = منزل عبد الغفار تماوى ختال .

١٢/١ = منزل عبد الجليل عرابى ختال .

١٣/١ = منزل حمدى عرابى ختال .

١٤/١ = منزل العمدة ختال عرابى ختال

١٥/١ = منزل علوانى ختال .

١٦/١ = أشجار نخيل للحاج تماوى ختال .

ثانيا : بيت عطوة

١/٢ = منزل الأستاذ خير الله فضل عطيوة

٢/٢ = منزل الحاج فضل عطيوة .

٣/٢ = منزل محمود عبد الرواف عطيوة .

٤/٢ = منزل عيسى عبد الرواف عطيوة.

٥/٢ = حديقة زيتون ونخل لعبد الفتاح صالح عطيوة.

٦/٢ = منزل سليمان صالح عطيوة .

٧/٢ = منزل عبد الفتاح صالح عطيوة .

٨/٢ = حديقة زيتون لإبراهيم عطيوة.

٩/٢ = منزل صافى فايز عطيوة.

١٠/٢ = منزل مهدى فايز صالح عطيوة .

١١/٢ = منزل أبو بكر دومة عطيوة.

١٢/٢ = منزل طاهر صالح عطيوة .

١٣/٢ = منزل عبد الفتاح صالح عطيوة .

١٤/٢ = منزل سليمان صالح عطيوه .

١٥/٢ = منزل عبد الحفيظ جبريل عطيوه .

١٧/٢ = منزل عبد الرسول قاسم عطيوة .

١٧/٢ = منزل موسى قاسم عطيوة.

١٨/٢ = منزل اسماعيل جويدة عطيوة .

١٩/٢ = منزل سنرسى جويدة عطيوة .

٢٠/٢ = منزل حسن رحوالة عطيوة .

٢١/٢ = منزل رزوقة عطيوة .

٢٢/٢ = أشجار زيتون ونخل لابو بكر دومة عطيوة .

٢٣/٢ = أشجار زيتون ونخل عبد الفتاح وسليمان صالح عطيوة .

٢٤/٢ = أشجار زيتون ونخل لابراهيم حميدة عطيوة .

٢٥/٢ = منزل عبد العظيم عبد الفتاح صالح عطيوة .

ثالثا : بيت عبد الله

١/٣ = حديقة زيتون ونخل لعبد الخير عبد الرازق عبد الله .

٢/٣ = حديقة زيتون ونخل لعبد الهادى جاب الله عبد الله .

٣/٣ = منزل عبد الخير عبد الرازق عبد الله .

٤/٣ = منزل عبد الهادى جاب الله عبد الله .

٥/٣ = أشجار زيتون ونخل لعبد الهادى وعبد الخير عبد الرازق عبد الله .

الفصل الثالث

حيازة الأرض كنظام اقتصادى

الفصل الثالث

حيازة الأرض كنظام اقتصادى

ان النظام الاقتصادى لمجتمع من المجتمعات لا يمكن فهمه إلا إذا درسناه فى علاقته بالبناء الاجتماعى ، وفى دراسة الحياة الاقتصادية فى المجتمعات التقليدية لابد من أن نأخذ فى الاعتبار العوامل والظروق الاجتماعية الأخيره التى تلابس المناشط الاقتصادية المختلفة .

فالنظم الاقتصادية فى تلك المجتمعات تتشابك تشابكاً قويا مع بقية النظم الاجتماعية مما يجعل من الصعب تفسيرها فى ضوء النظرية الاقتصادية وحدها واغفال هذه الحقيقة من شأنه أن يؤدى الى اطلاق أحكام غير دقيقة عن هذه النظم والمناشط القويه . ومن هذه الناحية الأخيرة نجد أن الحياة الاقتصاديه للمجتمعات تحتل مكانها كجزء من الدراسة العامة للبناء الاجتماعى .

ونظم الملكية وحيازة الأرض تشغل مركزا رئيسياً فى الدراسات الأنثربولوجية التى تعالج الأنساق الاقتصاديه فى المجتمعات البدائية والتقليديه نظرا للدور الكبير التى تلعبه فكرة حيازة الأرض فى الحياة الاقتصاديه والاجتماعية لتلك المجتمعات .

أ - الأرض والحياة الاقتصادية :

١ - أرض المراعى :

يتلاءم الرعى مع حياة الصحراء على أساس أنه يمكن لهذا النشاط أن يمارس هناك تحت الظروف القائمة بالفعل ، بطريقة تحقق الاستفاده الكاملة من الأعشاب

والحشائش التى تغطى مساحات من الأرض (١)

ويعتبر الانتفاع بأراضى المرعى فى الشعوب التى تعتمد على الرعى مثل بدو الصحراء الغربية أبسط أنواع الانتفاع نظرا لما يبدو من أن الارض الخاصة بالمرعى لاتتمتع بقيمة عالية عندهم لكثرتها وزيادتها عن الحاجة . وانما الذى له قيمة اقتصادية عندهم هو ما ينمو على الأرض من نبات وما يعيش عليها من حيوان . فالعلاقة بين الانسان وأرض المراعى لدى هذه الشعوب لا تكون مصحوبة فى الأغلب بأى مظهر واضح من مظاهر السلطة أو السيطرة أو علو المركز أو المكانه الاجتماعية ، أو بقول آخر فانه قليلا ماتكون ثمة علاقة قوية بين المركز الاجتماعى وبين مساحة أرض المرعى التى تعيش عليها الجماعة القرابية أو القبلية ، وان كانت غلة الأرض هى المصدر الأول للثروة ، ومن هنا كانت تعتبر اكثر أهمية من الأرض ذاتها ويزيد من وضوح هذه الفكرة أنه فى معظم الأحوال تعتبر الأرض ملكا للحكومة أو للدولة بينما لايكون للجماعات التى تعيش أساسا على الرعى وتربية الحيوان أى حق سوى حق الانتفاع فقط .

ويتأثر نمو نباتات المرعى فى الصحراء الغربية - ليس فقط بجدب التربة ولكن يتأثر أيضا والى حد كبير بكمية المطر المتساقط فى أية سنة . كما يسبب النقص فى مياه الأمطار نقصا خطيرا فى المرعى والعشب ويقود الى موت الحيوانات بسبب كلا من الجوع والعطش .

ويعتبر الرعى النشاط الاقتصادى الرئيسى لقبائل الساحل الشمالى الغربى كما

---

١ - دكتور / أحمد أبو زيد : « قابيل وهابيل » قصة الصراع بين البداوة والحضارة فى العالم العربى . مجلة معهد الدراسات العربية . العدد الأول . مارس ١٩٦٩ . ص ٤١٥ .

أن معظم الارض فى المساحات شبه الصحراويه تخصص للمرعى . وتمتد أراضى المرعى بوجه عام إلى الجنوب من الشريط الساحلى المزروع فى المنطقة الوسطى حيث يضع جدب التربة وندرة مياه المطر حدودا وقيودا على الزراعة . وتقدر المساحة الكلية بحوالى ٣ ملايين فدان . وتتكون القطعان من الماعز والاغنام وهى التى تدور حولها حياة القبائل المحلية . بينما تتناقص الجمال فى العدد وتستخدم كحيوانات تتحمل العطش وتحمل الاثقال . كما يندر وجود الماشية فى الصحراء الغربية بسبب البيئةالقاسية والحركة المتتالية.

ويقدر عدد الاغنام بحوالى ٦٥٢١٠٣ رأس منها ، ومعذلك فالعدد يتناقص من سنة لأخرى ويتناقص فى سنوات الجوع والعطش نتيجة الفقد بسبب الموت وبسبب البيع من فائض السلالة ، بينما تحدث زيادة معقولة فى العدد فى سنوات سقوط الأمطار والمراعى الكافية . (١) .

ويوجد دائما حركة كبيرة للحيوانات الى المساحات الاكثر ملاءمة بحثا عن المرعى والماء وتلك الحركة الضخمة تحدث فى سنوات العطش مثلما حدث فى عام ١٩٦٠ . ففى تلك السنةهاجرت أعداد كبيرة من البدو من مصر الى ليبيا آخذين

---

١ - طبقا لآخر حصر فعلى تم بالمنطقة عام ١٩٦٧ . أنظر كتاب: مشروعات التنمية بالساحل الشمالى الغربى . الجهاز التنفيذى للمشروعات الصحراوية مايو ١٩٧٢ ص ١٨ + كذلك أنظر :

1 - DR ABDUL SAHIB ALWAN., 'The Settelement of the NOMADS in the north western coastal zone of the U.A.R.F.A.O. of the united nation. U.N.D.P. ALEX. may. 1960.

معيم قطعانهم . واليوم تحدث تلك التحركات بصفة رئيسية داخل الاقليم والى وادى النيل وبخاصة فى المناطق القريبة من الصحراء .

ويعتبر النقص فى المياه الضرورية للحيوانات مشكلة حادة أيضا فى الصحراء الشمالية الغربية . ويمكن للحيوان أن يبقى مدة طويلة بدون ماء عندما يكون النبات عذبا ، ولكنها يجب أن تشرب ماء كل يومين أو ثلاثة على الأقل خلال فصل الجفاف .

ويوجد عدد قليل من الآبار العامة والصهاريج الخاصه والتى يمكن أن تشرب الحيوانات منها . ويمكن الحصول على مياه أكثر من ذلك عن طريق تنظيف وتجهيز وصيانة الصهاريج الرومانية القديمة التى توجد فى كل مكان بالمنطقة(١).

وبالرغم من المصاعب الكثيرة التى تواجه البدو فى تربية الحيوانات ، الا أن الرعى لايزال ـ وسوف يظل مشروعا مربحا جدا بالنسبة لهم ، كما أنه يعتبر نشاطا هاما بالنسبه لهم وتقليدا طـويلا توارثوه ، ولديهم مهارات خاصة فى تربية الحيوانات وبخاصة فى الأغنام والماعز والجمال . والرعى يكون ليس فقط مصدرا هاما للدخل الثابت الذى يمكن الاعتماد عليه ولكنه يمد العائلة البدوية باحتياجاتها من اللبن والنسيج ، كما أنه مصدر جيد لتخزين الثروة ورمز للمكانة الاجتماعية(٢).

---

١ ـ تم حتى الآن تنظيف وتجهيز ما يزيد عن ٢٠٠ صهريج ونقطة ميـاه للاستهلاك البشرى والحيوانى ، ومن المنتظر تطهير وتنظيف عدد أكثر من تلك الصهاريج من أجل تقليل تحرك البدو فى تلك المنطقة بحثا عن الماء والمرعى .

٢ ـ يفرق البدو بين مصدرين أساسيين للمياة : المصدر الأول هـو الآبار الرومانية والمصدر الثانى هو الموانى ، والآبار الرومانية هى الآبار التى يخزن فيها ماء المطر أو ماء السماء وهى لا يجوز بيع مائها ولكن يمكن لمن يقوم بحفرها أو اعدادها =

وتمتد أراضى المرعى عامـة جنوب الشريط الشمالى المزروع فى الصحراء الغربية فى المنطقة الوسطى حيث يضع جدب التربة وندرة المطر حدودا وعوائق أمام الزراعة ، وقد تنمو الأعشاب والحشائش أيضا داخل القطع الغير مزروعة فى الأرض المزروعة شعير .

ويبدو أن ملكية البدو للحيوانات هى الطـريقة المثلى للحياة ولما كى

= وصيانتها الحق فى عدم السماح للغير باستغلال مائها الا بأذن منه . والأصل فى ملكية هذه الآبار أنها ملكية قبلية . فالبئر الرومانية التى تقع داخل حدود الأرض القبلية لوحدة قبلية معينة يكون لأعضاء هذه الوحدة الحق فى استغلالها . ولكن التغيير الذى يحدث الآن على نظام الملكية فى المجتمع البدوى بالصحراء الغربية قد انعكس على نظام استغلال هذه الآبار ، وأصبح حق استغلالها مقصوراً فقط على من تقع هذه البئر داخل حدود منطقة حيازته الشخصيه دون أن يمتد هـذا الحق إلى كل أعضاء الجماعة البدوية التى ينتمى اليها .

أما السوانى فهى تلك الآبار التى تعتمد على المياه الجوفية ، وهى تحتاج إلى نفقات كبيرة فى حفرها وصيانتها تزيد على تلك التى يحتاج إليها اعداد البئر الرومانية . وكذلك فان استغلال تلك السوانى يحتاج إلى تنظيم خاص يمكن التحكم فى نسبة الملوحة بمائها ، ولهذا كله فان ملكيتها هى فى الأصل ملكية شخصية لمن يقوم بحفرها وأعدادها وصيانتها ، كما أن لمن يمتلكها الحق فى بيع مائها لأنه ماء جاء عن طريق العمل أو الاستثمار وهو بهذا يختلف عن ماء الآبار الرومانية الذى يأتى من السماء . أنظر زهير أبو جنـديه : مذكرات فى المراعى الطبيعية أساسيات تنظيمها وتحسينها . بحث مقدم للجهاز التنفيذى للمشروعات الصحراوية . منطقة الساحل الشمالى الغربى . ص١٣ ومابعدها . كذلك أنظر عمر الأمين فودة : دراسة ميدانية عن التوطين وحيازة الأراضى بالساحل الشمالى الغربى . الهيئة العامة لتعمير الصحارى وبرنامج التنمية الأمم المتحدة . مايو ١٩٧١ . ص ٢٤ .

الصحراء فى ظل الظروف والأحوال الخاصة بندرة المطر . ومع ذلك فهناك الآن ظهور ملحوظ للزراعة والتجارة وبخاصة فى الأجزاء الشرقية والغربية من الدلتا وأسواقها . ويعتمد الناس أساسا هناك على الزراعة ، ولا يستحب كثيرا ملكية الحيوانات بسبب التلف الذى تحدثه الأغنام والماعز لمزروعاتهم وأشجارهم .

والراعى الآن قد يكون قطيعه ملكا لقبائل مختلفة ، ولكنه لا يخلط بينها لأن كل قبيلة لها علامة معينة تضعها على أغنامها لتمييزها عن أغنام القبائل الأخرى ، وللتفرقة بين أغنام عائلات القبيلة الواحدة أصبحت كل عائلة تضع علامة فرعية بجانب العلامة الأساسية .

وتنعكس التغيرات الايكولوجية فى كثير من جوانب النسق الاقتصادى فى بناء المجتمع ولعل من أهم التغيرات وأكثرها الحاحا فى الوقت الحاضر تلك التى تتعلق بالأرض وحقوق استغلالها وملكيتها . ويمكن القول بوجه عام أن الأرض قد بدأت تأخذ قيمة اقتصادية جديدة (١) .

وقد كان من المعروف أن استغلال الأرض فى منطقة الساحل الشمالى الغربى فى الصحراء الغربية يقوم على أساس وضع اليد وحقوق الاستغلال التى لا تعنى الملكية بالمعنى القانونى للكلمة . وهناك نوع من الارتباط التقليدى بين المناطق الصحراوية والوحدات القبلية بمعنى أن منطقة القصر مثلا أغلب سكانها من العشيبات وهم بدو يكونون أحد الفروع الكبرى التى تنقسم اليها قبائل على الأبيض . وفى داخل تلك المنطقة التى تحدها حدود طبيعية واضحة تقسيمات فرعية بين الوحدات القرابية العاصبة التى تنقسم اليها الوحدات القبلية الواحدة.

---

١ ـ دكتور محمد عبده محجوب مقدمة لدراسة المجتمعات البدوية ص ٢٦٤-٢٦٥ منهج وتطبيق ١٩٧٤ م .

وعلى الرغم من وضوح حقوق الحيازة التى أصبحت مع تعاقب الأجيال وانقسام الوحدات القرابية تتخذ الصورة الفردية الواضحة ، حيث يعرف كل بدوى حدود أرضه التى يضع يده عليها ، وهناك كثير من الوثائق لدى الأهالى بذلك التحديد ، إلا أنه بالرغم من ذلك كانوا يسمحون لأقاربهم من البدو بالاستفادة من تلك الأراضى وبخاصة فى رعى أغنامهم ما لم تكن تلك الأراضى مستغلة من الزراعة ، ولكنهم بدأوا أخيرا يحرصون على تأكيد حقوق الحيازة فى تلك الأراضى كما بدأوا يقدرونها بالفدادين بعد أن كانوا على ذلك التحديد فى الماضى بسبب اتساع المساحة كما بدأوا يتشددون فى دفع الآخرين عنها .

ولما كانت الأرض القبلية التى تنقسم إلى مناطق الحوز الخاصة بكل « عيلة » أو (أسرة ممتدة) فى المنطقة أخذت تحتل تلك القيمة الاقتصادية الكبيرة إلى جانب قيمتها الكبيرة فلقد حرص البدو على احترام حيازة تلك الأرض (حقوق وضع اليد) إلى حد بعيد فهم وإن كانوا لا يستطيعون معارضة الحكومة حين تستولى على قسم منها لاستغلالها فى مشروعات المصلحة العامة فقد كانوا يصرون على أن تكون الأولوية لأصحاب حقوق وضع اليد على ذلك القسم والعمل بتلك المشروعات وبخاصة فى أعمال الحفارة أو الأعمال غير الماهرة مثل أعمال السعاة والفراشين ، وقد اعترفت الجهات الحكومية بتلك الحقوق ، ولعلها تجد هؤلاء العمال أكثر نجاحا فى القيام بأعمالهم وبخاصة فى أعمال الحفارة . ومن المنطقى أن يزداد ذلك الحرص والتمسك بحقوق الحيازة بعد تنفيذ المشروعات الخاصة بالتنمية واكتساب الأرض قيمة اقتصادية مرتفعة .

وحتى القرن التاسع عشر كانت الحيازة جماعية بين القبائل ولم تظهر وقتها حيازات فردية للأراضى ، وبعد النصف الثانى للقرن التاسع عشر اعترفت

القبائل بالحيازة الفردية وقسمت الأرض بين القبائل وكل قبيلة أخذت أرضا حازتها ، وكانت أغلب أراضى القصر للعشيبات والجميعات ثم حدث نزاع على الأرض ، وكل واحد من الأخوة أراد أن يستقل بقطعة من الأرض،كما حدثت منازعات كثيرة على الحدود، إلا أنه لازالت هناك أراضى بالقصر تتركز فيها الملكية الجماعية ، فعيلة عميرة التى يبلغ عدد أفرادها حوالى ٢٠٠٠ نسمة والتى تقيم ابتداء من الكيلو ٦٠ غربا بالقصر لم تقسم الأرض بين أفراد العائلة والحيازة لا زالت جماعية وكل فرد فى العائلة يزرع فى الأرض ولكن بدون توزيع بينهم.

وتحدد طبيعة التنقل فى البداوة تبعا لطبيعة النشاط الاقتصادى والإجتماعى، فالرعاة هم أكثر البدو تجولا وأقلهم استقرارا ، على أن الرعى نفسه يتأثر فيما يفرضه من الحركة بنوع الحيوان الذى يرعى ، كما أن طبيعة النشاط الاقتصادى من شأنها أن تؤدى إلى التجمع ويتأثر حجم التجمعات بكمية الموارد المتاحة فى المنطقة ، ذلك أن طبيعة التنقل والبداوة لا تساعد على تجميع الثروة بالمعنى الاقتصادى الذى نعرفه ، فالثروة تكون نوعية متمثلة فى حالة الرعى ، وتكون ذات وظيفة اجتماعية أكثر منها اقتصادية .

ويحدث اختلاف فى الحمولة للرعى الواحد من سنة الى أخرى تبعا للأحوال الجوية وأهمها كمية الأمطار المتوفرة وتوزيعها ، وعادة تحدد حمولة المرعى طبقا للسنوات المتوسطة الأمطار أو حتى أقل من ذلك حتى يمكن تجنب الرعى الجائر فى سنوات الجفـــاف ، ويزيد الاختلاف فى انتاج المرعى من سنة الى أخرى زيادة كبيرة جدا إذا كانت النباتات السائدة أعشاب حولية ، وتختلف حمولة المرعى باختلاف نوع المرعى ، بل وحتى داخل النوع الواحد فان حمولة المرعى تختلف من منطقة لأخرى تبعا لحالة المرعى .

ويمكن تعريف حمولة المراعى بأنها العدد الأقصى من الحيوانات الذى يمكن لها أن ترعى فى مرعى معين من سنة إلى أخرى لمـــدة معينة دون أن يحدث تدهور فى انتاجية المرعى أو فى حالة التربة فى منطقة الساحل الشمالى الغربى ، ونظرا لإنخفاض قيمة المراعى فإنه غالبا ما يعبر عن حمولة المرعى بعدد الأفدنة من المراعى التى يمكنها أن تغذى رأس واحدة من الاغنام لمـــدة سنة واحدة .

ويوجد مئات من الأنواع النباتية فى المراعى الصحراوية بالساحل الشمالى الغربى إلا أن عددا قليلا منها (حوالى ٥٠) له أهمية من ناحية الرعى . وقد تكون هذه النباتات حولية (عشب) وهى التى تعيش لموسم واحد وتحتاج إلى بذور كى تظهر فى الموسم التالى مثل البهجة والشعير ، أى أن هذه النباتات الحولية تقضى فترة من الجفاف فى هيئة بذور ، أو تكون نباتات ذات حولين وهى التى تعطى نموا خضريا فى أول سنة والاظهار والبذور فى السنة الثانية . أو تكون نباتات معمرة وهى التى تعيش عدة سنوات وتتغلب على فترة الجفاف بعمق بذورها فى التربة أو قد يدخل بعضها فى طور سكون فترة الصيف .

وتقسم المراعى بمنطقة الساحل الشمالى الغربى إلى أنواع مختلفة تتميز كل منها بظروف بيئية خاصة وأهمها سيادة نوع أو عدة أنواع نباتية معينة ، وكل نوع من هذه الأنواع يتكون من عشيرة أو أكثر من العشائر النباتية ، كما تنقسم تلك المراعى بحسب درجة اقبال الأغنام والماعز عليها ، فهناك نباتات تقبل عليها الأغنام والماعز وتستسيغها بدرجة عالية ، ونباتات أخرى تقبل عليها بدرجة متوسطة والنوع الثالث من النباتات لا تستسيغها الأغنام والماعز على الاطلاق .

وكثير من النباتات المنتشرة بمنطقة الساحل الشمالى الغربى تجف فترة الصيف وتدخل فى فترة الجفاف التى تختلف من عدة اسابيع إلى عدة شهور ؛ وعندما

تصبح ظروف الرطوبة مناسبة فى أوائل موسم الأمطار وحيث أن هذه النباتات لا تحتوى على أوراق خضراء تبدأ النباتات فى السحب من الغذاء المخزون لها فى الجذور أو قواعد السيقان ، فإذا ما تكررت هذه العملية عدة مرات فإن النبات ما يلبث أن يستنفد مخزونه من الغذاء ويموت . ولحسن الحظ فان النباتات السليمة قادرة على انتاج غذاء يزيد عن حاجتها لتغذية نفسها وهذا الفائض هو الجزء الذى يمكن استغلاله عن طريق حيوانات الرعى . وقد تبدأ النباتات المستساغة للرعى فى الإختفاء من المناطق التى تتعرض لأشد ضغط للرعى مثل المراعى المحيطة بالآبار الرومانية فى منطقة مطروح والقصر أو حول نجوع البدو بالصحراء ويؤدى ذلك إلى تحرير التربة من كسائها الخضرى تقريبا وهنا يبدأ تدهور التربة فى الحدوث بمعدل سريع (١) .

وتعتبر الأغنام والماعز على وجه الخصوص أكثر الحيوانات ملاءمة للتغذية على مراعى الساحل الشمالى الغربى نظرا لقدرتها على التهام الأنواع العديدة من الأعشاب والنباتات الشجيرية المنتشرة بهذه المراعى خلال موسم النمو (نوفمبر - مارس) إذ تقدم النباتات الشجيرية والعشبية كميات ثابتة من المكونات الغذائية الرئيسية .

ان مراحل التغير الاقتصادى تنقسم الى :

١ - الانتاج الذى يستهلك فيه الفرد كل ما ينتجه من طعام .

٢ - الاستهلاك الزراعى المباشر حيث ينتج معظم الأفراد طعامهم الخاص ويعدون غير المزارعين باحتياجاتهم .

---

(١) أنظر : زهير أبو جندية : المراعى الطبيعية . المرجع السابقة ص ٨

٣ - الاستهلاك الزراعى غير المباشر حيث يرضى جميع السكان غير الزراعيين وعلى الاقل جزء من السكان الزراعيين احتياجاتهم خلال السوق حيث تباع البضائع والمنتجات الزراعية التى تأتى أساساً من المناطق الزراعية .

والمرحلة الأخيرة يمكن أن تنقسم الى مرحلتين : مرحلة أولى حيث يعمل أكثر من نصف عدد السكان فى الزراعة ، ومرحلة متأخرة حيث يعتمد أقل من نصف عدد السكان على الزراعة . والمرحلة الاولى الآن غير شائعة بينما تشيع المرحلتان الثانيه والثالثة فى العالم الآن . (١)

وتزداد القيمة الاقتصادية للرعى كشكل من أشكال الثروة القابلة للتحويل ولا يرغب الأهالى فى بيع صغار الحيوانات ، فالمالك لا يعتبر ثمنها معقولا . (٢)

وحيث تكون محاصيل الغلال غير كافية لمنع فترات المجاعة والجدب ، فهناك شكوك قليلة تؤدى الى ذبح القطعان الصغيرة من أجل الطعام أو استبدالها بالقمح وغيرها من الحبوب الغذائية من الوادى . (٣)

والمبادىء الأساسية للانتفاع بالمرعى هى :

١ - أنه لا توجد حقوق رعوية خاصة بالنسبة للافراد أو الجماعات . فالمرعى مشاع لكل أفراد القبيلة ، ومخزون القطيع يمكن أن ينتقل الى أى مكان وفى أى وقت.

---

1 — M.F. THOMAS and G.W. WHITTINGTION, "Enviroment and Land use in AFRICA." op. Cit, p. 246.

2 – THAYER SCUDDER . "The Ecology of the GWEMBE TONGA." op. cit p. 180.

3 – Ibid, p. 177

٢ ـ ان تحركات القطيع حرة بالنسبة لمالك القطيع أو من ينيبه . بل وأكثر من هـذا ليس مهما أن يتواجد أحد القطيع فى نفس المكان وفى نفس الوقت خصوصاً أن هناك حالات معينة قد تكون نادرة فى نفس السنة مثل سقوط المطر ونمو العشب ومصادر المياه وفى كل ظاهرة لا يوجـد سبب رئيسى فى أن يتواجد مالك القطيع فى أى مكان .

والأسباب الرئيسية لتحرك القطيع تنحصر فى الحاجة إلى العشب الخاص بالمرعى وكذلك المياه أو الإثنين معا، وخصوصاً فى فصل الجفاف . وهناك عدة اعتبارات أخرى تتعلق بصاحب القطيع . منها مثلا اعتقاده أن هذه المنطقة لا تكفى حيواناته ولذلك فهو ينتقل الى منطقة أخرى يعتقد أنها أ أكثر كفاية لقطيعه مع أنه يدرك افتقار المصادر فى المنطقة ، إلا أنه يعتقد أنه توجد مميزات يمكن الحصول عليها من تحركه إلى مكان آخر . فكل رجل يحاول أن يزود قطيعه بأحسن ما يستطيع عمله وذلك فى ضوء خبرته واحتياجات حيواناته ويأخذ فى حسابه كمية ودرجة كفاية النبات ، وامكانات المياه والمسافة بين المرعى والمياه، ومستقبل كل من تلك النواحى .

وهناك مواعيد معينة لأجل أن يكون التحرك هاماً وخاصة فى وقت الجفاف المبكر أما فى الأوقات الأخرى فإن التحركات توصف بأنها تكون عادية وليست ذات دلالة طبيعية إن توقيت التحرك سواء العادى أو الغير عادى يهم كل مالك وكذلك الموقع الجديد الذى يتحرك اليه، بالإضافة الى أن هناك مجموعة اعتبارات تستلزم أن يكون الرجل بجانب قريبه . وفى كل ذلك لا توجـــد سلطة تقيد الأفراد فى اختيارهم . (١)

1 – P.H. GULLIVER, "the family herds." A study of two pastoral tribes in east AfRICA. ROUTLEDGE & KEGAN PAUL. L.T.D. London. 1955. p. 31.

وقد برز فى السنين الأخيرة ميل تلقائى لنبذ البداوة وانتحال وسيلة أخرى للعيش غير الرعى ، ويصدر هذا الموقف المتعمد للقضاء على الرعى عن الاعتقاد السائد فى البلاد العربية الآن بأن البداوة وحياة الرعى تمثلان شكلا بدائياً من أشكال النشاط الاقتصادى والاجتماعى ، وأن الرضا بوجودهما دليل قاطع على التخلف والتأخر ، وبذلك تعتبر البداوة الآن وصمة فى جبين الدولة الحديثة يجب إزالتها بكل الوسائل الممكنة وبأسرع ما يمكن . فالبداوة فى نظر كثير من العلماء تبديد للمجهود البشرى فى نشاط غير مثمر . اذ مهما يكن من أهمية الدور الذى يلعبه الرعى فى اقتصاديات الدوله فهو أقرب فى طبيعته إلى النشاط السلبى ، خاصة وأنه يعتمد فى أساسه على مجرد استهلاك ما تقدمه البيئة من موارد طبيعية تتمثل فى العشب والرعى والماء ، وذلك بعكس الزراعة التى تتطلب القيام بمجهود إيجابى ضخم يتمثل ليس فقط فى بذر البـــذور والاشراف على الزرع وحصد المحصول بـل وأيضا ـ وبشكل خاص ـ فى استصلاح الأراضى وتهيئتها للزراعة وإعادة الخصوبة والحيوية اليهما بشتى الوسائل . صحيح أن العشب الذى ترعاه الماشية يتحول إلى لبن ولحم وصوف يفيد منها الإنسان ، ولـكن هذا يتم بشكل تلقائى ودون أى تدخل من الانسان نفسه فيما عـدا انتقاله بماشيته من مكان لآخـــر .

وصحيح أيضا أن القطيع يتكاثر ويضيف بذلك إلى ثروة الرعى وبالتالى إلى الثروة الحيوانية القومية ، ولكن هذا أيضا يتم بطريقة تلقائية دون أى تدخل من الراعى نفسه وذلك بعكس الزراعة التى يتوقف فيها الأمر إلى حد كبير على الارادة الإنسانية والمجهود البشرى وهذا معناه أن الرعى يعطل نسبة كبيرة من القوى البشرية فى الصحراء التى يمكن الاستفادة منهـا فى أعمال أخرى أكثر جدوى وأوفر إنتاجا وفائدة . يضاف إلى ذلك أن البدو فى انتقالهم بحيواناتهم

وقطعانهم من مكان لآخر يلحقون كثيراً من الخسائر والاضرار الفادحة بالثروة النباتية الطبيعية التى تغطى مساحات كبيرة من المناطق شبه الصحراوية ، وذلك عـلاوة على الخسارة التى تلحق بالأشجار التى يستخدمون أخشابها فى الطهى والتدفئة وما إلى ذلك ، مما يؤدى إلى تعرية التربة من غطائها الأخضر الطبيعى ويعرضها لمزيد من الجدب والقحولة من هـذا كان ذلك الموقف العدائى الذى يقفه كثير من العلماء من البداوة باعتبارها نمطا غير انتاجى وأن المجهود البشرى الذى يبذل فى الانتقال والتجول للبحث عن الرعى والماء لا يتناسب مع ما يحصل عليه الإنسان فى آخـر الأمر من فائدة ودخل ، وذلك بالاضافة إلى الخسارة الهائلة التى تلحق بالاقتصاد القومى نتيجة لعدم العناية بالأرض التى كان يمكن بشىء من الصبر والجهد والمال استصلاح أجزاء كبيرة منها وتحويلها إلى أرض مثمرة صالحـة للزراعة الكثيفة فالبداوة اذن تقف عقبة فى طريق التقـدم الاقتصادى والاجتماعى وتسهيل عجلة الانتاج وتعطل استغلال الامكانيات الاقتصادية الكامنة فى باطن الصحراء .

ومن ناحية أخرى فإن قسوة الظروف الطبيعية السائدة فى الصحراء وتقلبات الأحوال المناخية وبالذات عـدم استقرار المطر فضلا عن قلته أو حتى ندرته وانعدامه فى كثير من المناطق والاحيان تجعل الحياة فى الصحراء عبئا ثقيلا ليس فقط على سكانها بل وأيضاً على الدولة ذاتها . فالبدو معرضون دائما للمجاعات فى السنوات التى ينعدم فيها المطر . وإذا كانت هذه الظواهر التى تحدث بكثرة فى الصحراء تؤدى إلى نزوح أعداد كبيرة من البدو إلى المناطق الريفية والحضرية المجاورة فانها تلقى فى الوقت نفسه مسئوليات اضافية جديدة على الحكومات التى تجد نفسها ملزمة بالاسراع إلى إرسال المؤن والامدادات اللازمة لهم لتخفيف

الويلات والمتاعب والاضرار عنهم ـ وهـذا يشكل عبئا ثقيلا على الاقتصاد القومى بصورة عامة واقتصاديات المناطق المجاورة بصورة خاصة .

وتثير هذه الاعتبارات ذات الطابع الاقتصادى كثيراً من الشك فى جدوى الحياة البدوية كما تستشهد بها الدول العربية وكثير من المشتغلين بشئون التنمية فى تدبير المشروعات العديدة التى تهدف فى آخـر الامر إلى القضاء على البداوة وإزالتها وإحلال نمط آخر من الحياة محلها (١) .

وتعتبر فكرة الوطن عنصراً مشتركا بين صور المجتمعات المحلية المختلفة ، ولكن الاوضاع الايكولوجية والاقتصادية والسياسية فى المجتمعات البدوية تعطى لمفهوم الوطن حـدودا خاصة إذ على الرغم من تمايز تلك المجتمعات فى الارتباط بمناطق معينة لها حـدود واضحة فإن الظروف الايكولوجية والاقتصادية تفرض التنقل والترحال عـبر هذه الحدود وبخاصة تحت وطأة الجفاف أو مشكلة المياه ، وهى من المشكلات الحيوية فى تلك المجتمعات . وفى حدود هـذه الأوضاع الايكولوجية والاقتصادية فإن الجماعات البدوية تنظم حقوق وضع اليد والاستغلال ، وأول مظهر لهذا التنظيم يتمثل فى توزيع الارض بين الجماعات البدوية المتمايزة ، فهناك أوطان معروفة لكل وحـدة من تلك الوحدات مثل حقوق الاسترزاع وحقوق استغلال المصادر المائية أو أراضى المرعى . ويمتد هـذا التنظيم ليشمل تحديد مناطق الحيازة أو مناطق حقوق الاستغلال للوحدات القرابية والبدنات فى هـذا المجتمع ، ولقد لعبت قواعد

---

(١) دكتور أحمد أبو زيد ، قابيل وهابيل ، قصة الصراع بين البـداوة والحضارة فى العالم العربى . مجلة معهد الدراسات العربية . العدد الاول . مارس ١٩٦٩ - ص ٤١٥ .

الوراثة دوراً أساسياً فى تحديد صورة أو نمط التوزيع الاقليمى للجماعات القرابية المتمايزة فى هذا المجتمع (١) .

ويعطى مجتمع أولاد على لأعضائه الحـــق فى البيع أو الاهداء أو التنازل عن مناطق حيازتهم أو حقوقهم فى الاستغلال ، بـل لقد أصبح نظام التبادل النقدى للأرض يلعب الآن دورا هاما فى تغيير البناء الانقسامى التقليدى وهو تغيير يميـــل إلى خلخلة لذلك التناظر التقليدى بين التقسيم القرابى والتوزيع الاقليمى فى نسقهم الانقسامى . ونجد أن المساحات ذات الحدود الطبيعية فى الصحراء الآن يشترك فى حقوق استغلالها أشخاص ينتمون إلى وحدات قرابية مختلفة ، بـل إن نمط النجع المختلط أى النجع الذى ينتمى رجاله إلى وحـدات قبلية مختلفة ـ أصبح الآن هو النمط الغالب . ويندر الآن أن نجد فى المجتمعات القبلية هناك نجوعا ينتمى كل الاشخاص فيها إلى نفس الوحدة القرابية الواحدة .

وفضلا عن هـذا كله فإن ما يحدث الآن للمجتمع البدوى فى مطروح من تغيرات اقتصادية وسياسية وبخاصة تلك التغيرات التى تتمثل فى دخول منظمات جديدة للخدمات فى الحياة الاقتصادية والتعليمية والسياسية ، تـــؤدى هى الاخـــرى إلى استمرار انهيار ذلك التناظر التقليدى بين التقسيمات القرابية والتوزيعات الإقليمية فمشروعات هيئة تعمير الصحارى التى تقدم الآن خدمات فى مجالات تنمية الثروة الحيوانية والزراعية والصناعات اليدوية البسيطة وبخاصة فى قيادة المركبات واصلاحها وتركيب وصيانة الطواحين الهوائية لرفع المياه الجوفية وغيرها ، اجتذبت الايدى العاملة من المناطق القبلية المختلفة ، وأدخلت

١ ـ دكتور محمد عبده محجوب : مقدمة لدراسة المجتمعات البـدوية منهج وتطبيق ، ١٩٧٤ ص ٢٠٥ وكالة المطبوعات بالكويت .

أسساً جديدة لتنظيم التوطن فى هـذه المناطق الصحراويه الحضريه الحديثه التى تقام فيها تلك المشروعات وقد كانت المساكن العالية مظهراً واضحا لتقلص حقوق الحيازة والاستغلال القبلية .

الزراعة كنشاط اقتصادى :

للزراعة علاقة دائمة ومستمرة بالأرض والانتفاع بالأرض يرتبط بالبيئة الملائمة وأنواع المحاصيل والنظم الاجتماعية والسياسية للأفراد . وقواعد حيازة الأرض يجب أن تكون واضحة محددة عند استقرار المجتمعات الوطنية (١) .

والزراعة عمل اقتصادى ، وتخضع لفعل وتأثـــير العوامل الاقتصادية ، فالحاجات البشرية متنوعة ، بالإضافة إلى كونهـا متزايدة ومتطورة . وللانسان علاقاته مع الطبيعة حيث يؤثر فيها وينظمها ويسيطر عليها ويحولها وفقا لحاجاته وذلك عن طريق النشاط الذى يبذله كما أن للانسان علاقات بالمجتمع الذى يعيش فيه حيث يؤثر فيه ويتأثر به .

واشباع حاجات البشر فى مجتمع من المجتمعات يتوقف على مقدار ونوعيـة ما يحوزه هـــذا المجتمع من موارد طبيعية وبشرية ووسائل انتاج وعلى مدى حسن تنظيم واستغلال هذه الموارد والاستفادة منها .

وتنحصر اقتصاديات البدو الرئيسية فى مطروح فى الرعى والزراعة البسيطة كالشعير وبعض الخضروات على الساحل ، وهم تحت رحمة البيئة ، إذ كما ذكرنا من قبل تتأثر الزراعة بكمية المطر وبندرة المياه الجوفية فى معظم المناطق . وتقع الأرض المناسبة للزراعة حول شاطىء البحر ، ولكن المساحة المزروعة تختلف

1 — MEEK, op. cit, p. 16.

من سنة لأخرى تبعا لسقوط المطر . وقد تقل المساحة المنزرعة فى السنوات قليلة المطر حتى تصل إلى شريط ضيق مساحته وعرضه أميال قليلة فقط .

ويعتبر الشعير هـــو المحصول الرئيسى الثابت ، ومعظم البدو يندر أن يستخدموا أية غلة أخـــرى فى صنع خبزهم . ويستخدم الشعير أيضا كطعام للحيوانات .

ولكل قبيلة أراضى معروفة ومحدده ، وكل بدوى يعرف حدود أرض قبيلته ومكان بئره ويعترف بهذا التحديد جيران القبائل، وتمتلك القبيلة الأرض بوضع اليد فقط .

ويحدد بذر البذور عادة فى مطروح فى شهر نوفمبر ، ومع ذلك تعتبر الفترة بين شهر اكتوبر وشهر ديسمبر بمثابة فصل بذر الحبوب ، ولا تعطى عناية كافية للحقول أو للزرع .

أما فصل الحصاد عادة من النصف الثانى من أبريل إلى النصف الأول من مايو ، ولا يتأكد البدو اطلاقا من المحاصيل ، وفى معظم السنوات يصبحون فقراء وقد يكون فشل المحصول سببا ومبررا للهجرة لكل العائلات البدوية مع قطعانهم إلى الدلتا . وفى تلك السنوات التى تحدث فيهـا المحنة ترسل الحكومة بسرعة الحبوب والدقيق من الدلتا لتجنب خطر المجاعة ، وتمثـل عشائر أنصاف البدو فى الصحراء الغربية عبئاً حقيقيا على الاقتصاد القومى للبلاد (١) .

ويزداد الميل لدى كثير من أنصاف البدو الرحل إلى الجمع بين تربية الحيوان والزراعة المستقرة والدائمة فى مواطن اقامتهم الأصلية فى الصحراء دون أن

---

1 – ABOU – ZEID, op. cit, p. 93.

يحتاجوا إلى النزوح إلى المجتمعات القروية أو الحضرية المجاورة . ولكن إزدياد الاتصال بالعالم الخارجى وما ارتبط به من ازدياد مطالب البدو وتنوعها والرغبة فى تحسين أحوالهم المعيشية والحصول على دخـل أكثر ثباتا واستقراراً وأمنا وطمأنينة كلها تدفع سكان الصحراء الآن - أو بعضهم على الأقل - إلى محاولة استغلال الأراضى الصالحة للزراعة ومـــوارد المياه الجوفية المحلية فى زراعة الحدائق والبساتين بأشجار الموالح والزيتون والتين واللوز والكروم وما إلى ذلك .

ويحتاج هذا النوع من الزراعة إلى درجة معينة من الاقامة والاستقرار فى الأرض إلى جوار الأشجار للعناية بها ، مما يترتب عليه ضرورة الحد من التحركات البدوية وتضييق نطاق الترحال والتجول . وقد أصبحت الزراعة بذلك مصدرا للكسب والربح والدخل وليس مجرد وسيلة لتوفير القوت الضرورى على اعتبار أن سكان الصحراء أصبحوا يهتمون بزراعة المحصولات النقدية بعد محصولات المعيشة (١) .

وتبدأ الدورة الزراعية عند البدو بتخطيط الأرض بواسطة الحمير أو الجمال ويلى ذلك إستلام تقاوى الشعير من الجمعيات التعاونية ، ويستلم كل عضـو من أعضاء الجمعية التعاونية الزراعية أربع أرادب من الشعير سنويا كحد أدنى أو طبقا لعدد الأسهم التى يمتلكها كل منهم فى الجمعية اذ أن لكل سهم إردب واحد من الشعير يصرف له ويقوم أعضاء الجمعية بدفع ثمن التقاوى عند الاستلام ، كما تسلم للبدو شتلات الزيتون بسعر خمسة قروش للشتلة الواحدة ، ويستلم البـدو تقاوى الشعير فى أواخر شهر أكتوبر ثم ينتظرون سقوط المطر فى شهر نوفمبر .

---

١ - د/ أحمد أبو زيد : « قابيل وهابيل » المرجع السابق ص ٤٠٧

وبعد نزول المطر تقوم الجمعيات التعاونية بتأجير الجرارات لهم لحرث الارض فى حدود جنيه ونصف للساعة الواحدة ثم يترك الشعير لينبت فى الارض حتى شهر ابريل . وخلال المدة من ديسمبر حتى ابريل يقوم البدو بتربية الاغنام بعيداً عن المناطق الساحلية المزروعة وفى الكيلو ١٥ غرب مطروح ويستمر الرعى حتى شهر يونية .

وفى شهر ابريل يبدأ حصاد محصول الشعير إما بواسطة البدو أنفسهم أو عن طريق استئجار فلاحين من وادى النيل لحصده، ويستمر حوالى عشرة أيام عن طريق الحش بالايدى ، ثم يجمع الشعير بعد حصاده فى أكوام حتى أوائل شهر مايو ويلى ذلك عملية درس المحصول بالنورج وتستمر حوالى ١٥ يوم ثم تخزينه فى حفر « مطامير » فى الارض فى شهر يونية ، ويلى ذلك تعبئة المحصول فى أجولة من الخيش وتخزينه لإستخدامه كعلف للحيوانات .

أما شتلات الزيتون فتسلم للبدو فى شهر فبراير لزراعتها هذا بخلاف شجيرات الزيتون القديمة والسابق زراعتها فى الأرض والتى تجمع ثمارها فى شهر فبراير من كل عام ووقت زراعة الشعير ، ويستعين البدو بالقصر بأبناء الصعيد الذين يحضرون من وادى النيل كل عام فى مثل هذا الوقت من السنة أى فى شهر فبراير ليبدأوا فى جمع محصول الزيتون بالإيجار فى حدود عشرين قرشا للصفيحة الواحدة ، وبعد جمع المحصول يقومون بنقله إلى مقر الجمعية التعاونية التى تقوم باستلامه ووزنه وتدفع عشرة قروش نظير الكيلو الواحد من الزيتون .

وقد بدأت زراعة الزيتون بقرية القصر حوالى عام ١٩٣٠ بدأها قلة من البدو منهم الحاج عبد المالك عمر العشيبى وهديوه محمد سويطية الجميعى وعلى محمود القناشى وعوض زيتون العميرى (من عائلة عميرة- على أبيض) وقد قام

هؤلاء باستلام شجيرات الزيتون من الحكومة لزراعتها بالقصر - إلا أن تلك المحاولات ووجهت بمعارضة قوية من جانب البدو الذين كانوا يقومون بتربية الاغنام ومن أشهر تلك المنازعات ما حدث فى عام ١٩٣٤ حين اشترى على محمود القناشى أرضا مساحتها حوالى ٣٠ فدان من العشيبات بسعر حوالى جنيه واحد للفدان وكانت أرضه مجاورة لارض العشيبات من الجهات الاربعة ؛ وقام بزراعتها زيتون فاعترض العشيبيون على زراعة الارض زيتون لأنهم كانوا يقومون بتربية الاغنام وعرضوا عليه أن يترك الارض ويعطوه نقوده التى دفعها لهم . إلا أن القناشى قام بالشكوى للمحافظة فى ذلك الوقت التى أمرتهم بتركه يزرع الزيتون فى أرضه تشجيعا له على تلك الزراعة فاضطر العشيبيون للإذعان لضغط السلطات الحكومية وتركوه يزرع الارض ، وكان يحيط بأرض القناشى من الجهة البحرية عائلة الزهورات العشيبية ومن الغرب عائلة معفس العشيبية ومن الجهة القبلية والشرقية عائلة اللزومى العشيبية .

وقد كانت معارضة العشيبية لزراعة الزيتون تتلخص فى أن الرعى يعطى عائدا سريعا عن الزيتون وشجرة الزيتون عمرها حوالى ١٨ سنة ولا تنتج إلا بعد مرور عدة سنوات من الخدمة لها كما أنها تتطلب البقاء بجوارها فى الارض فى خدمتها وهذا لم يكن يتفق فى بادىء الأمر مع البداوة العربية التى كانت تعيش على التنقل طلبا للماء والمرعى .

إلا أن تلك المساحة من الارض بيعت عام ١٩٣٤ لعلى القناشى بمبلغ اجمالى ثلاثين جنيها وبسعر جنيه واحد للفدان اشتراها الحاج عبد اللطيف عبد المالك العشيبى مرة أخرى من على القناشى عام ١٩٤٧ بحوالى ٦٠٠ جنيها أى بواقع عشرين جنيها للفدان ومعنى ذلك أن سعر الفدان من تلك الأرض التى كانت

مخصصة للرعى عند شرائها لاول مرة ثم حولها صاحبها لزراعة أشجار الزيتون تضاعف سعرها عشرين مرة فى ثلاثة عشر عاما فقط ، ويزرع منها الآن فدان زيتون والباقى منها مخصص لزراعة الشعير ، ومعنى ذلك أن زراعة الزيتون والشعير تعتبر أكثر ربحا للبدو عن الرعى لو توفرت المصادر المائية اللازمة للزراعة . كما أن ذلك يوضح مدى التغيير فى نظرة البدوى إلى العمل الزراعى الذى كان يعتبره يأتى فى المرتبة الثانية بعد الرعى .

ويلجأ كثير من البدو إلى تطبيق نظم زراعية تقوم على التضامن والتماسك بينهم وتتلاءم مع قسوة البيئة الصحراوية وظروفها ، ومن هذه النظم نظـــام الزراعة بالمسالفة ومعناه التعاون فى الأدوات الزراعية وفى الحرث أى أن يحضر البدوى لصاحب الأرض ومعه الجمال والشعير وأدوات الحرث ويأخذ منه قطعة من الارض لزراعتها بصفة سلفة وذلك إذا لم تنزل فى أرض الاول مطر ويستمر ذلك النظام لمدة سنة زراعية واحدة تبدأ فى شهر نوفمبر (موعد زراعة الشعير) وحتى شهر ابريل (موعد الحصاد) على أن يقوم صاحب الأرض الأصلى بالانتقال إلى المنتفع بالأرض فى سنوات الجدب لأخذ قطعة مناظرة للقطعة التى سبق للمنتفع أن أخذها للزراعة فى أرض المنتفع وزراعتها بالشعير .

ومثال ذلك أن حدث عام ١٩٣٨ أن حضر للحاج عبد اللطيف عبـد المالك العشيبي بالقصر هديوه محمد الزهورات العشيبي الذى يقيم بالنجيلة بمفرده وطلب منه أعطاءه أرض « سلفة » زراعتها لمـدة سنة حيث لم تسقط فى أرض الآخـر بالنجيلة أمطار فى تلك السنة وأحضر معه الجمال والشعير والحرث لمده سنة وأخذ خمسة مساحات بمرمى الاردب (مرمى الاردب حوالى أربعة أفدنة) أى حوالى عشرين فدانا لزراعتها شعير بصفة مسالفة ومكث فى الارض حتى شهر ابريل

(موعد حصاد الشعير) وحدث عام ١٩٣٩ أى فى السنة التالية أن المطر لم يسقط فى القصر فانتقل الحاج عبد اللطيف ووالده عبد المالك عمر إلى النجيلة مع خيشه وأدوات الزراعة لزراعة مساحة من أرض هديوه الزهورات مسالفة نظير ماسبق أن قدموه للأخير فى السنة السابقة.

ومن النظم الزراعية الاخرى المعروفة بين البدو وتدل على التضامن والتماسك القبلى « نظم الزراعة بالمكاتفة » وهو أن يكون عند صاحب الارض وأدوات الزراعة بينما يشارك البدوى الآخر بمجهوده فقط ثم يقسم النـاتج من المحصـول بالنصف ومثال ذلك أن بدوى من برانى أسمه عيسى جليد من عائلة المعابدة (قطعان) كان يزدع بالمكاتفة منذ عام ١٩٥٤ مع الحاج يعقوب عبد المالك العشيبي بأرضه بالقصر وكان المحصول يقسم بينهما بالتساوى، كما قام يونس شاعث العشيبي بالزراعة بالمكاتفة مع الحاج يعقوب عبد المالك لمدة خمس سنوات منـذ عام ١٩٦١ حتى عام ١٩٦٦ . كذلك يعرف البدو نظام أسمه «عطية الأرض» للأرحام وهو يشبه نظام المسالفة السابق ذكره ويقتصر على عام واحد فقط ، ومعناه حضور بدوى من أية قبيلة إلى صاحب الأرض إذا سقطت بأرضه أمطار للزراعة عنده فيعطيه قطعة أرض لزراعتها وحرثها ، فإذا ما أنقطع المطر عن صاحب الأرض فى العام التالى يقوم بالانتقال إلى المنتفع والزراعة عنده لمدة سنة واحدة .

ومن النظم الزراعية المعروفة أيضا « نظام الزراعة بالمشاركة » بين البـدو وفيه يقدم صاحب الأرض أرضه ويقوم المنتفع من البدو بتقديم كل الامكانيات للزراعة إلى جانب العمل بمجهود ، وفى نهاية السنة يأخذ صـاحب الأرض ربع المحصول نظير أرضه بينما يحصل المنتفع بالأرض أو صاحب المجهود على $\frac{3}{4}$ المحصول

وقد لجأت كثير من الجماعات البدوية إلى الزراعة بالمشاركة للانتفاع بالأراضى التى يسقط فيها المطر وصار النشاط الزراعى محورا لتكوين علاقات بين البدو .

والزراعة بالمشاركة نوع من التعاقد الشفوى بمقتضاه يصبح للشريك غير الحائز للأرض الحق فى زراعتها فى مقابل الحصول على جزء معين من نتاجها .

وتفترض الزراعة بالمشاركة وجود نوع من المساعدة والتعاون والثقة المتبادلة بين طرفى التعاقد بحيث لا يقبل الحائز على استمرار التعاقد بعد انتهاء الزراعة بمجرد فقدان الثقة فى الشريك غير الحائز . ويقتصر التعاقد على سنة زراعية واحدة دون أن يكون للشريك غير الحائز الحق فى التصرف فى الارض ويمكن تحديده واستمراره بعد انتهاء الموسم الزراعى تبعا لرغبة كل منها وبخاصة الحائز ويتمثل أثر الظروف البيئية والاقتصادية للبداوة بكل وضوح فى تشكيل نظام الزراعة بالمشاركة .

فقد أدت هذه الظروف إلى ايجاد ذلك النظام بسبب الأرض وندرة الامطار وقد كان حائز الأرض أو واضع اليد يقدم البذور إلى الشريك غير المالك ليتولى القيام بمختلف العمليات الزراعية وعلى ذلك يتضح أن الزراعة بالمشاركة تحقق للبدو استغلال الأراضى والانتفاع بها وفى نفس الوقت يضمن البدو الحائزون غلة الأرض .

وقد أدت العزلة الجغرافية إلى أن تكون غلة الأراضى ذات قيمة اقتصادية وأهمية كبيرة ، ويرجع ذلك إلى قلة محصول الشعير وعدم كفايته لسد حاجة البدو إلا لبضعة أشهر قليله ، وإذا كانت تربية الأغنام والماعز هى المصدر الرئيسى للدخل فنى هذه الحالة يصير لنتاج الارض أهمية كبيرة وكانت الزراعة بالمشاركة الوسيلة التى تحقق لطرفى التعاقد حاجاتهم المختلفة .

ولم يعرف المجتمع البدوى نظام تأجير الارض ، ومن ثم صارت الزراعة بالمشاركة الطريقة الملائمة مع مختلف ظروف المجتمع البدوى .

ويفضل البدو الأقارب من نفس القبيلة أو العائلة لزراعة بالمشاركة بل تتدخل درجة القرابة فى أختيار الفرد للشريك غير الحائز من أقاربه فادام هناك أحد الأقارب القادر على العمل او لديه الرغبة فى المشاركة فى الزراعة فلا يحق لواضع اليد الاصلى اختيار غيره كشريك فى الزراعة لعدم استفادة غير الأقارب بها مادام هناك القادر منهم على زراعة الأرض .

ويكون لابن العم فى نظام الزراعة بالمشاركة الأولوية فى الانتفاع بالأرض من غيره ويرجع اختيار الرجل لأقاربه من جهه الاب إلى ما تفرضه القرابة الابوية من ضرورة التعاون فى المجال الإقتصادى وتقديم العون والمساعدة للأقارب من جهة الاب .

فنظام الزراعة بالمشاركة الذى يقصد به تحقيق الفائدة الإقتصادية تكيف مع الظروف العامة السائدة فى الصحراء الغربية كان له دور هام فى تقوية الروابط القرابية وتدعيمها وفى تماسكها ، وقد كانت الزراعة بالمشاركة وسيلة تيسر للفرد الانتفاع بالأراضى القابلة للزراعة والتى توجد فى منطقة غير المنطقة التى يقيم فيها وحيث أنه فى غير الامكان وضع يد البدوى على تلك الارض ، فان الزراعة بالمشاركه تحقق له الانتفاع بها بالتالى توفير جزء من غلتها هو فى أشد الحاجة إليها لظروف مجتمع الصحراء الغربية الاقتصادية القاسية .

وقد صادفت بنفسى كثيرا من تلك الحالات بمنطقة القصر حيث ينتقل إليها البدو فى السنوات المطيرة بتلك المنطقة من جهات أخرى تكون أكثر جدبا لندرة المطر بها بالصحراء ويشارك فيها صاحب الأرض الاصلية بجهده فى زراعتها أو قد يعطى مساحة معينة من الارض لزراعتها والانتفاع بها فقط دون تملكها طوال مدة الزراعة ، ومقابل ذلك يكون لصاحب الأرض الاصلية فى سنوات جدب

أرضه الانتقال إلى المناطق الآخرى من الصحراء التى يزل فيها المطر ومشاركة البدوى الذى حل ضيفا عليه وسبق له أن أقطعه مساحة من الارض لزراعتها ليقوم الآخير بالتالى بمساعدته سواء بالمشاركة أو اعطائه قطعة الارض لزراعتها وتكون الأولوية فى ذلك للأقارب من نفس القبيلة أو العشيرة .

وإذا كانت محاولة البدو ورغبتهم فى حصر حالات الزراعة بالمشاركة داخل الوحدة الاقليمية تشير إلى الفائدة الاقتصادية التى يحاول البدو اكتسابها تكيفاً مع ظروفهم والتى صارت تحدد سلوكهم تجاه الوحدات الإقليمية المجاورة وتجاه بعضهم البعض ، فهى فى الوقت ذاته تعكس شعور الفرد وقوة انتمائه إلى الوحدة القرابية ومدى الدرجة التى وصلت إليها من الوحدة والتماسك .

ولا يعنى هذا الإتفاق الجماعى أنعدام الفائدة أو المصلحة الشخصية التى تتعارض مع وحدة الجماعة القرابية وتتناقض مع تماسكها وتضامنها ، فالقيمة الإقتصادية هى الأساس الذى يقوم عليه نظام الزراعة بالمشاركة داخل التقسيم الإقليمى ، وإن هذا الموقف فى الاصل قائم على أساس مصلحة الفرد الشخصية وهى فى هذه الحالة تتحقق من خلال المجتمع ككل الذى يعمل فى الوقت نفسه على صيانتها خاصة وأن الإتجاه الذى صاحب هذا الإتفاق هو اختيار الشخص للشريك من بين أقاربه وتفضيلهم على غيرهم من البدو ، ويعنى ذلك أن الشخص يستغل هذا الموقف الجماعى لما فيه صالحه وفائدته .

إلا أن الالتزام القرابى يقضى بضرورة مشاركة الاقارب على أساس أن الأرض فى الاصل كانت ملكية لتلك الجماعة بوضع اليد وأن لأى عضو من أعضائها الحق فى الانتفاع بنصيب الآخر دون شخص آخر من خارج الجماعه القرابية بالإضافه إلى ما تفرضه القرابة من ضرورة مساعدة الاقارب بعضهم

بعضا فى تلك الظروف الاقتصادية القاسيه التى كانوا يعيشونها . فعنصر الالزام القرابى كان أحد الخصائص المميزة لنظام الزراعه بالمشاركه ، كما أن نظام الزراعه بالمشاركه كان يعمل على تقويه العلاقات القرابيه وتدعيمها .

والمعروف ان أراضى الرعى كانت تستغل بواسطه أفراد الجماعه النجعيه فى المناطق الجنوبيه والبعيدة عن الساحل ، فلكل نجع أراضى الرعى التى تقع داخل حدوده والتى كان لكل فرد من أفراد الجماعة النجعية الحق فى أن يرعى حيواناته فيها وبخاصة الاغنام والماعز . أما الاراضى التى تقع بين النجوع فكان أفراد الجماعتين النجعيتين يشتركون فى استغلالها ، ويشاركهم فى ذلك البدو إذا كان لهم الحق فى رعى أغنامهم فى مثل هذه الاراضى دون أن يعارضهم البدو من أفراد النجع ذلك أن الرعى مشاع بين الجماعات البدوية بالصحراء الغربية .

إلا أن علاقة البدو بالاراضى الزراعية مغايرة تماما لعلاقاتهم بأراضى الرعى فى الوقت الذى يكون هناك حقوق محددة وواضحه بالنسبه للأرض الزراعية حسب ملكيتها سواء كانت ملكية جماعيه أو فرديه لم تكن هناك مثل هذه الحقوق بالنسبه لأراضى الرعى . وبالمثل فيما يتعلق بالاراضى الاخرى حيث كان لأى فرد الحق فى استقطاع مساحة فيها لبناء منزل خاص أو حظيرة للحيوانات دون أن يقابل بأى معارضة من سكان النجع ودون أن يكون لغيره أو للجماعة النجعية أية حقوق فيها .

وبعد استقرار البدو فى مناطق معينه بالصحراء وعلى الساحل الشمالى الغربى ونتيجه لمشروعات التنميه والتوطين التى قامت بها الدولة فى مناطق كثيرة مثل منطقة القصر وانشاء الجمعيات التعاونيه الزراعيه وتقديم المزيد من الخدمات للبدو فى مناطق الاستقرار مثل أنشاء المدارس والوحدات الصحيه وتقديم المراوح

الهوائيه بأثمان رمزيه بدأ البدو فى توزيع الارض فيما بينهم وقسمتها بالتساوى فيما بين الاخوة ، وكان الاخ الاكبر فى حالة وفاة الأب يقوم بقسمه الارض بين أخوته بالتراضى ، فاذا أختلف الاخوة كانت تعمل قرعه بين الاخوة بحيث استغل كل فرد من أفراد الجماعه القرابيه بقطعه أرض محددة يستغلها بنفسه داخل مساحة الأرض الخاصه بالجماعه القرابيه ، وللبدوى الحق فى التصرف فى حيازته من الارض ولكن من النادر أن يقبل الحائز التنازل عن حيازته من الأراضى فالحيازة تضفى على البدوى شيئا من علو المركز وسمو المنزلة الاجتماعية كما أن نتاج الأرض يعتبر مهما لأفراد العائلة حيث كان الانتاج للاستهلاك المنزلى ويشكل جزء هاما وضروريا لمعيشة البدو ، ويتمثل ذلك بكل وضوح فى أراضى الحيازة الفردية لأن حيازتها تتعلق بالبدوى دون أن يكون لغيره من الأقارب العاصبين بعض الحقوق فيها كما هو الحال بالنسبة لأشكال الحيازة الأخرى فضلا عن استخدام الأرض فى السنوات المختلفة مما يضفى عليها قيمة اقتصادية أكبر من أراضى المرعى الأخرى . ويعتبر نظام الزراعة بالمشاركة عاملا على عدم تصرف الشخص فى حيازته لهذه الأراضى لأنه يحقق لها جزء من نتاجها إذا كان غير قادر على العمل أو مقيما فى مدينه مطروح .

ويقوم عواقل وشباب كل عائلة أو بيت الذين لديهم المعرفة الكاملة الدقيقة بالانحدار الجينالوجى للقبيلة وتقسيماتها والذين يلجأ اليوم الأقارب للتدخل فى تقسيم الأرض وتحديد أنصبة الأقارب إذا حدث نزاع بخصوص أنصبتهم من الأرض الزراعية ملكية الجماعة .

وتقع ملكية البيت داخل حدود الأرض التى يعيش فيها أفراد البيت. ويقتصر حق الملكية على أفراد البيت التى تؤول اليوم عن طريق الوراثة من سلفهم مؤسس

البيت . ويحدد نصيب الفرد من خلال الانقسام الداخلى للبيت وفى إطار الانحدار الجينالوجى من مؤسس البيت فى خط الذكور . وليس للاناث نصيب فيها . فتنقسم حيازة القبيلة إلى عدد من الأقسام المتساوية فى المساحة التى تعادل عدد العشائر التى تنقسم اليها القبيلة ، ثم يقسم كل منها أيضا إلى عدد من الأقسام التى تعادل عدد العائلات والبيوت التى تنقسم اليها العشيرة ثم يقسم كل منها أيضا إلى عدد من البيوت التى توزع حسب نصيب كل منهم كما يحدده الانحدار الجينالوجى

ولم تكن الأراضى التى تملكها القبيلة فى منطقة واحدة ، وإنما كانت منتشرة فى عدة مناطق ، وكان هذا الانتشار أحد عوامل انتشار القبيلة فى أكثر من منطقة جغرافية واحدة وعدم تمركزها فى الاقامة فى منطقة واحدة . فأحياناً تنحصر ملكية البيت داخل حدود المنطقة الواحدة التى يقيم فيها أفرادها بحيث تبدو الملكية وكأنها ليست جزء من ملكية القبيلة التى آلت الى جماعة البيت على أساس الانتماء إلى سلف القبيلة ولكنها فى الواقع على عكس ذلك . ويرجع ظهور ملكية البيت على هذه الصورة إلى أن البدو لجأوا إلى تبادل أنصبة الأقسام القبلية من ملكية القبيلة الموزعة فى أكثر من منطقة لغرض تسهيل استخدام الأرض وعدم الانتقام من منطقة لأخرى لزراعتها . أما إذا كانت الأرض جميعها لا تصلح للزراعة فلا يتم التبادل وإنما تبقى الأرض فى حيازة أصحابها .

وينطبق كل ما سبق فيما يتعلق بتقسيم الملكية وتحديد نصيب الفرد على ملكية أشجار النخيل والزيتون فيحدد أولا لكل عائلة عدد الأشجار التى تخصها من ملكية القبيلة ثم يحدد ثانيا لكل بيت عدد الأشجار المحددة له وأخيراً يوزع حصول الأشجار بين أفراد كل بيت .

وقد قامت الجمعية التعاونية الزراعية بقرية القصر بالقـــرب من مطروح بتوزيع عدد (٨٤) مروحة هوائية على البدو هناك فى عام ١٩٦٢ ، وقد سبق التوزيع عمـل جسات لكل المنطقة وركبت المراوح الهوائية فى المناطق الملائمة التى تحتوى على مياه جوفية بهـا ووزعت المراوح بالمجان . ويعتبر البـدو الآن هذه المراوح عديمة الفائدة لان درجة ملوحة المياه الجوفية زادت فى أراضى القرية كما أن تيارات الهـواء فى القرية شديدة وتتعرض المراوح للكسر بسبب شدة الرياح مما ينتفى معه الغرض الأساسى من إقامـــة تلك المراوح وهو رى حدائق الزيتون والفوا كه وتلك المراوح هى فى الأصل ملك الحكومة وللبدو حق الانتفاع بهـا فقط . وكل بدوى تقع فى أرضه تلك المـــراوح له الحق فى استخدامها . ويعتمد البدو أساساً على مياه الأمطار فى الرى بالقرية وبواسطة حجز تلك المياه فى خنادق محفورة فى الأرض الحجرية على الساحل بعرض متر وعمق ٦٠ سم وبطول مناسب قد يمتد إلى مائة متر ، وتستخدم تلك الخنادق فى رى الزيتون والفوا كه . وهى نفس فكرة السدود (١) .

---

١ - سجلت الجمعية التعاونية الزراعية بالقصر عام ١٩٦١ ، وبلغ عـــدد الأعضاء المؤسسين للجمعية فى ذلك الوقت ١٠٦ عضوا بينما بلغ عدد الأعضاء المساهمين حتى الآن ٦٤٦ سهم بواقع سهم واحد لكل عضو ، وكان يبلغ رأس مال الجمعية عند تأسيسها فى ١٩٦١ ٥٠٠ر٤٤٠ (مليم جنيه) بينما بلغت أرباح الجمعية حتى عام ١٩٧٣ ٨٧١ر٧١٧ (مليم جنيه) وقيد بسجلات الجمعية عدد ٥٠١ عضويقومون بتربية الأغنام التى يبلغ عددها بالقصر ١٨٢٦٨ ، ويوجد بالقريه عدد (١٠) خنادق محفورة لتخزين مياه الأمطار كما تقوم الجمعية بتسليم البدو ماكينات للرى عل الساحل ويبلغ عددها (١٥) ماكينة بالتقسيط وبضمان الجمعية .

يتبين إذن مدى الأهمية التى كانت عليها الجماعـــة البدوية القرابية كوحدة اجتماعية اقليمية صغيرة ومدى قوة العلاقات القائمة بين أفرادها . الأمر الذى أدى إلى أن يكون الانتماء القرابى اكثر قوة وأهمية من الانتماء الاقليمى فإن مثل هذا التعاون المتبادل والمصالح الاقتصادية المشتركة كفيلة بتقوية العلاقات بين أفراد الجماعة وبالتالى تدعيم وحدتها وتماسكها .

والحصاد مهنة قائمة بذاتها عند البدو فالذى يحصد يعمل كل شىء إلى أن ينقل المحصول إلى الجرن ويدرسه ثم يذريه بالمذراة ، ويخزنه فى باطن الارض وله خمس المحصول إذا كان كثيرا .

ويعمل فى حصد الشعير مجموعة كبيرة من الأفراد ويذهب الاقارب لمساعدة بعضهم والمساهمة فى عملية الحصاد (١) .

ويزداد الطلب على الحصادين إذا عم المطر ويصبح أجر الحصاد إردبا عن كل ستة أرادب مع خمسة جنيهات كهدية مع أكله وشربه .

أما إذا كان المطر قليلا فيكون أجر الحصاد إردبا عن كل سبعة أرادب ولا يأخذ هبة .

وتهتم الجماعات البدوية التى استوطنت الأجزاء الشرقية من مطروح بالزراعة وبأشجار الفاكهة وبخاصة أشجار التين تماما قبل نمو الطماطم والخضروات كما زرعت أشجار الزيتون فى مطروح وبذلت عناية أقل لزراعة أشجار الفاكهة الاخرى كأشجار البرتقال وأشجار اللوز ونخيل البلح ، ولكن هناك اهتمام

---

١ - لايعرف البدوى مساحة أرضه بالفدان أو الكيلو متر بل يعرفها بقدر ما يرمى فيها من حبوب الشعير أو « مرمى الإردب »

متزايد لزراعة اللوز وبخاصة فى مناطق رأس الحكمة ومطروح وعلى أية حال فإن سكان الأجزاء الغربية أقل اهتماما بزراعة الفواكه والخضروات عن سكان المناطق الشرقية بمطروح وليس هناك شك فى أن القرب من الأسواق بالاسكندرية وتسهيلات النقل بالسكك الحديدية قد شجعت سكان المناطق الشرقية على التحول إلى الزراعة وبالتالى حياة مستقرة (١) .

ويمتلك كثير من البدو الذين يقيمون بمطروح ويعملون هناك بأجهزة الخدمات بالمحافظة أو يقومون بأعمال مؤقته أثناء فصل الصيف أراضى خارج نطاق المدينة وهم يذهبون فى وقت الزراعة لحرث الأرض وبذر البذور ، ويستغلون تلك الأراضى فى جلب دخل اضافى للأسرة .

ومن المعروف أن المجتمعات التقليدية التى لا تستخدم التكنولوجيا الحديثة فى الاستثمار الزراعى تنقسم إلى فئتين : تضم الفئة الأولى تلك الجماعات التى تمارس ما يعرف بالزراعة المنتقلة أو الزراعة غير المستقرة ، وتضم الفئة الثانية تلك المجتمعات التى تمارس الزراعة المستقرة أو الزراعة الكثيفة . ومجتمعات تلك الفئة الأولى هى فى الغالب مجتمعات بدوية أو شبه بدوية ، قد تزاوج بين هذه الزراعة وبعض النشاطات الاقتصادية التقليدية الأخرى كالرعى أو الصيد بينما ترتبط الزراعة الكثيفة أو المستقرة بالقرى التى تنشأ حول مجارى الأنهار وفى وديانها .

وقد ارتبطت الزراعة غير الكثيفة بحياة البدوى والتنقل فى الصحراء وما يرتبط بذلك من نمط معين من أنماط السلطة القبلية الانقسامية والتضامن الثأرى حيث تنشأ ضرورات الانقسام أو الانشقاق بين تلك الجماعات البدوية أو شبه البدوية نتيجة لذلك التناقض الذى يقوم بين تزايد أعداد الجماعة

1 — ABOU—ZEID, op. cit, p. 39.

الاقتصادية من ناحية واستمرار اضمحلال تلك الموارد الاقتصادية الطبيعية التى تتمثل فى الأرض ومصادر الماء من الناحية الأخرى . كما نجد فى الجانب الآخر أن تلك الزراعة الكثيفة أو المستقرة تساعد على استقرار السلطة الإقليمية أو إمكانيات التجانس العرقى واللغوى بين الجماعات القرابية فى الوحدة الثأرية الواحدة (١) .

وحيث تزاوج جماعات بدو مطروح بين الرعى (تربية الأغنام) والزراعة (الزراعة المتنقلة للشعير بوجه خاص) وقد نشأت زراعات مستقرة لأشجار الزيتون واللوز والتين تعتمد فى الدرجة الاولى على المياه الجوفية ، وتتحكم الظروف الايكولوجية إلى حد بعيد فى اقتصاديات تلك النشاطات ، وبخاصة فيما يتعلق بعدم انتظام سقوط الامطار بالكميات المناسبة وفى الاوقات المناسبة لتوفير المرعى وانضاج محصول الشعير ، وحيث تتواتر سنوات الجفاف التى يندر فيها العشب ويضيع فيها الجهد البشرى الذى يبذل فى إعداد الارض وحرثها وبذر البذور فضلا عن ثمن التقاوى ومصاريف الحرث ، فقد اكد الأهالى كثيراً على رغبتهم فى أن تقوم الجمعيات التعاونية بتسويق الشعير بوجه خاص تعاونياً ، كما تقوم بتوجيه مزيد من الاهتمام نحو توفير الأعلاف التى تحتاجها الأغنام فى سنوات الجفاف تفادياً لإنخفاض أثمانها وهلاك أعداد كبيرة منها مما يضطر الأهالى إلى التخلص من أغنامهم ببيعها بأسعار بخسة ، كذلك فإن فى التسويق التعاونى قضاء على محاولات التجار لربط سعر الزيتون قبل نضجه بأسعار مجحفة بحقوق المزارعين .

لقد حددت البيئة الطبيعية مساحة الأراضى الزراعية المحدودة فى الصحراء

١ - دكتور / محمد محجوب : مقدمة لدراسة المجتمعات البدوية ص ٢٨٤

الغربية ، كما حددت أيضا أنواعها وأوقات زراعتها وطريقة استخدامها ووسائل الرى والأدوات وكمية المجهود الذى يبذل فى العمل وأنواع المحاصيل التى تزرع تكيفا مع تلك الظروف وكان لها دور هام فى تشكيل النظم الاقتصادية ، وقد أدت الظروف البيئية إلى أن يكون التعاون المتبادل خاصية أساسية يتميز بها النشاط الزراعى كما أدت روابط القرابة إلى تقديم المساعدة والعون للأقارب من سكان المنطقة وعدم التخلى عن مساعدة بعضهم البعض .

وعلى الرغم من حق الشخص فى التصرف فى نصيبه من حيازة أرضه ، فلم يحدث مطلقا أن يبيع البدوى نصيبه منها لانه من العار أن يبيع الارض التى ورثها عن أجداده فإذا اضطر البدوى لبيع أرضه لأى سبب من الاسباب فإنه فى هـــذه الحالة يبيعها أولا للمشترين من نفس البيت أو العائلة ثم المشترين من القبيلة بعد ذلك إذا لم يتقدم للشراء أحد من بيته أو عائلته .

كما يرجع عـدم بيـع البدوى لأرضه أيضا إلى رغبته فى الرجوع اليهـا فى أى وقت وحتى البدو الذين يقيمون فى المدن كمطروح والسلوم يعرفون أنصبتهم من ملكية البيت أو العائلة بدقة وموقعها فى الصحراء ولم يفكروا فى بيع أرضهم ويحرصون على الاحتفاظ بها . فإذا ما اضطروا لبيعها فإنهم يبيعونها إلى أقاربهم العاصبين بما يضمن عدم انتقال الارض إلى خارج القبيلة .

وعلى ذلك يتضح أن الاحتفاظ بالارض التى توارثها البـدو عن أجدادهم كان يعمل على الاحتفاظ بملكية البيت وملكية العائلة وعدم تشتتها الأمر الذى يؤدى بالتالى إلى المحافظة على وحدة القبيلة ككل وتماسكها بالرغم من أن للبدوى الحق فى التصرف فى نصيبه من الملكية، ولم يكن ذلك الحق حقا مطلقا لأنه لا يستطيع أن يتصرف فيه تبعا لإرادته الخاصة .

وبذلك يتضح أن لنظام حيازة الأرض لدى بدو مطروح دور هام ورئيسى فى تماسك القبيلة ووحدتها . فالملكية تضفى على العلاقة القرابية العاصبة الجانب الاقتصادى الذى يلعب دورا رئيسيا فى تقويـة تلك العلاقات وتدعيمها وتدعيم التماسك القبلى . كما أن الوحدات والأقسام القبلية أكثر تماسكا من القبيلة ذاتها ، فإن حق استخدام الأرض والانتفاع بهـا يحافظ عـــلى تماسك تلك الأقسام وتضامنها ويعمل على تدعيمها .

إن التنظيم الاقتصادى يعنى باختصار تنظيم العـــلاقات الإنسانية والجهد البشرى من أجل الحصول على ضرورات الحياة اليومية قدر المستطاع ببذل أقل جهد ممكن . وهو محاولة لضمان الرضى الكامل من خـلال الاعتماد على وسائل محددة للوصول إلى غايات محددة بطريقة منظمة . والتنظيمات الاقتصادية التقليدية والبدائية لها شكل محدد يقع تحت تصنيف عريض لاقتصاديات الانتاج والاستهلاك.

والنشاط الاقتصادى هنا يختص بالانشطة التى تكفل للمرء الحياة والبقاء.(1)

وإذا أردنا أن نفهم الأسس الاقتصادية للتطـــور وأن ننسب اليها التحليل الإجتماعى والثقافى فمن الأفضل أن نبدأ بالمؤسسات التجارية لأن الدراسة التى تقوم بها تمس كل جوانب الحياة الاجتماعية من ناحية التحليل والخبرة .

والتبادل يمكن أن ينظر اليه كشبكة تحفظ تماسك المجتمع ، وينطبق هذا سواء على الأسرة كجماعة منعزلة يؤيد بعضهم البعض ويستفيدون من تبادل الخدمات التى يكمل بعضها البعض أو من الثقافة العريضة التى تتحد فيها الخدمات والالتزامات

1 D.N. MAJUMDER and T.N. MADAN: "An Introduction to Social Anthropology." Asia Publishing House. India 1967. p. 188.

المتبادلة فينعكس فيها بناء المجتمع وقيمه أو من الرأسمالية أو الشيوعية الحديثة التى يتم التبادل فيها طبقا لنظام تموينى تتحد فيه الأسعار ، وفى الواقع فان تغير الاقتصاد يتضمن تغييرا فى نظام التبادل والنمو الاقتصادى يتوقف أساسا على تغييرات تطرأ على مؤسسات المجتمع .

وبالمثل إذا كان لعبارة « التطور الإجتماعى » أى معنى فلا بد وأنها تشير إلى ارتفاع فى الخط البيانى للمجتمع وتطور نوعية مؤسساته الاجتماعية . وهاتان الفكرتان الغامضتان تشيران إلى زيادة التعقيدات فى شبكة المؤسسات والعلاقات بينها وبين الأدوار التى تقوم بها . ولا بد أن ازدياد التعقيد أساسه هو كثرة تقسيم العمل . ولو كان هناك زيادة فى تقسيم العمل من حيث أن المؤسسات والقائمين بدورهم فى العمل يقومون بتقسيم المهام أكثر فأكثر انتج عن هذا زيادة فى السلع والخدمات التى تؤدى للآخرين .

ويعنى هذا زيادة فى حجم نظام التبادل فى المجتمع - فنظام التبادل هو مجرد أحد أوجه العلاقات الاجتماعية العادية . (١)

وعلى هذا فهناك عدد من أنظمة التبادل بقدر عدد أنماط المجتمعات ذلك لأنها فى أساسها متداخلة .

وهناك شكل واحد من أشكال التبادل له مكان خاص هو « السوق » حيث يوجد عدد من الباعة والمشترين ، ويكون السوق فى أكمل صورة عندما يكون لكل مشترى علم تام بما يتطلبه البائع والقدرة على تلبيةهذا المطلب ويكون للبائع علم تام بما يعرضه المشترى والقدرة على تلبية مطلبه .

---

1 - CYRIL S. BELSHAW, "Traditional Exchange and Modern Markets' University of British Columbia. U.S.A. 1965. p. 7.

وإذا تحدثنا عن بعض نظم التبادل كنظام السوق وغيره كنظام اللاسوق فان حديثنا لا بد وأن يثير اعتراضا على دقة التصنيف ويبدوا أن بول بوهانان وجورج دالتون قد اقتربا تقاربا شديدا عندما كتبا عن إمكانية التطبيق وعدم إمكانية التطبيق فى فكرة السوق فالسوق هو الموقع الذى يتلاقى فيه البائع والمشترى بكل ما فيه من عوامل ثقافية أو إجتماعية أو اقتصادية أو سياسية - وهما متلاقيان فيها لغرض التبادل التجارى - كما أن درجة استخدامهما لمبادىء السوق تتغير كثيرا لكن لا يمكن أبدا أن تنعدم هذه المبادىء كلية .

ومبدأ السوق ليس مبدأ واحدا فقط بل عدة مبادىء متلاحمة وما تثيره من التساؤل هو ما هى خصائص أنظمة التبادل بصدد :

١ - شخصية العملية التبادلية بين البائع والمشترى .

٢ - تنظيم القيم المتبادلة والأسعار ، حتى نرى كيف تؤثر احداهما على الأخرى

٣ - إلى أى درجة يمكن أن يكون البيع والشراء وظائف تخصصية .

٤ - حدود الخدمات والبضائع التى يمكن فيها أن تكون عملية البيع والشراء قوية .

٥ - عند أى حد تدخل عمليات التبادل مرحلة الانتاج من مصادر الخامة إلى الانتاج أو الخدمات .

٦ - درجة وطبيعة المنافسة فى عمليات البيع والشراء .

٧ - عند أى حد تتكامل عمليتى البيع والشراء بوجود وسيط (إذا لم يوجد الوسيط فإن المقايضة تعتبر عمليتين - بيع وشراء - لكل طرف من الأفراد .

وتعتبر كل هذه المتغيرات هى أوجه أساسية لفكرة السوق . (١)

---

1 - Ibid, p. 9

وفى أى تبادل يحصل الفرد على قدر مساو مما يحصل عليه كل فرد آخر وفى أى تقسيم يحصل كل فرد على نصيبه . (١)

وتمارس المجتمعات حق الرفض عند تحويل الأرض ولهذا لا يستطيع الرجل أن ينقل ملكيته أو يحولها بدون تصريح من أقاربه .

وعند تقسيم المحصول يعتمد التقسيم على نوع المحصول والطريقة التى يزرع بواسطتها أكثر من اعتماده على القيمة الممكن استخلاصها من الأرض . ويجب أن يؤخذ فى الاعتبار أنه لا يوجد خط فاصل بين ممارسة القوة السياسية وبين الأغراض الاقتصادية لضبط الانتفاع بالتربة وتوزيع نتاجها .

والانتاجية الزراعية للأرض منخفضة بالنسبة للفدان فى تلك المناطق ، وترجع أسباب الخلل والتدهور فى الزراعة إلى أسباب عديدة منها : نقص الموارد المائية ونقص الدخل ، ونقص الزراعات الجيدة ، ونقص البذور ، وضعف الثروة الحيوانية ، ونقص الخبرات الزراعية والتعليم العام ونقص التسهيلات فى الوقاية ، ونقص الحفظ والنقل للبضائع سريعة العطب ونقص الوقاية والحماية ضد الجفاف ، وعلاج مثل تلك الأمور يحتاج إلى كثير من التخطيط والتعليم والبحث ، ولكن مثل تلك التحسينات لن تكون مؤثرة إلا بعد ازالة العوائق الاقتصادية والإجتماعية .

والزراعة بغير شك وسيلة من وسائل الربح فى المعيشة . والأرض لم تخلق بواسطة جهود الإنسان . إنها هبة الطبيعة للبشر وهى جوهرية وضرورية

---

1 — WALTER C, NEALE: "Economic change in Rural India.," University of KEEL. Editor : W.M. WILLIAMS by JOHN MIDLETON. p. 25.

المجتمع ولا يمكن أن تعتبر الملكية تخص الأفراد فقط بل ان لهم حق استعمالها والانتفاع بها كيفما يشاءون . (١)

والزراعة أكثر الطرق الشائعة التى بواسطتها يحصل المرء على وسائل الحياة الضرورية . (٢)

حيازة الأرض وعلاقتها بالانشطة الاقتصادية الأخرى :

كان بدو مطروح شأنهم فى ذلك شأن البدو عموما يحتقرون الزراعة التى يعتبرونها تأتى فى المرتبة الثانية بعد الرعى . ولكن إزداد الميل فى السنوات الأخيرة إلى الجمع بين الزراعة وتربية الحيوان نتيجة لازدياد الإتصال بالعالم الخارجى وما ارتبط به من ازدياد مطالب البدو وتنوعها والرغبة فى تحسين أحوالهم المعيشية والحصول على دخل أكثر ثباتا بحيث يوفر لهم حياه أكثر استقراراً وأمناً وطمأنينة كلها تدفع سكان الصحراء الآن إلى محاولة استغلال الأرض الصالحة للزراعه وموارد المياه الجوفية المحلية فى زراعة الحدائق والبساتين بأشجار الموالح والزيتون والتين واللوز والكروم وما إلى ذلك .

وقد أصبحت الزراعة بذلك مصدرا للكسب والربح والدخل وليست مجرد وسيلة لتوفير القوت الضرورى على أعتبار أن سكان الصحراء أصبحوا يهتمون بزراعة المحصولات النقدية بعد أن كانت كل جهودهم قاصرة على زراعة محصولات المعيشة بقصد الاكتفاء الذاتى والاستهلاك الخاص ، وهذا تغير جوهرى بغير شك

---

1 — Ibid, p.p. 30, 224.

2 — F. THOMAS and G.W. WHITTINGTONs, "Inviroment and Land use in Africa." p. 9.

فى نظرة « البدو » إلى العمل اليدوى بعامة والعمل فى الأرض بخاصة (١) .

وفى النجوع البعيدة عن المدن يستطيع كل بدوى أن يعمل كل ما يجده من عمل بدون تخصص وهذا النوع من النجوع يتميز بالعمل الجماعى والانتاج الكلى ، والحياة فيه قائمة على التعاون والمشاركه فى كل شىء والمسئولية جمعية والغرض من الإنتاج الاكتفاء الذاتى بسبب فقر البيئة بالإضافة إلى أن البيئة تؤثر فى حياتهم وتجعلهم متضامنين ، إلى جانب أن الروابط العائلية تكون أقوى وأشد للعائلة البدوية التى تعيش فى النجع عن مثيلها التى تسكن المدن .

وقد كانت الأسرة البدوية فى النجع الأصيل قبل سكناها المدينة تقوم بوظائف عديدة ، فقد كانت وحدة اقتصادية تنتج ما تحتاجه للاستهلاك وبعد أن كانت تزرع الشعير وتطحن الحبوب وتصنع الطعام وتجهز الوقود والمياه وتصنع الدواء وتنسج السجاد ، أصبحت الآن تعتمد على السوق فى شراء الطعام والوقود والمياه والأدوية والملابس وأصبح كل شخص من رجال الأسرة مسئولا عن قيامه بأى عمل الحصول على دخل أكبر .

هذا التغيير فى حياة بدو مطروح يعتبر انتقالا بالمجتمعات البدوية التى كانت تعتبر العائلة فيها وحدة الإنتاج والإستهلاك حيث يرتبط كل عضو من أعضائها بالأنشطة الاقتصادية فيشارك كل منهم فى مجالات النشاط لعدم وجود المتخصصين ونقص المهارات وتعتبر بعض الأعمال فى المجتمعات خاصة بالرجال وأخرى خاصة بالنساء ، فانجاب الأطفال والرضاعة ورعاية الأطفال والطهى وكل ما يتعلق بشئون المنزل من اختصاص النساء بينما الصيد والحرب وبناء المساكن من

---

١ - دكتور أحمد أبو زيد ، قابيل وهابيل ، المرجع السابق ص ٤٠٧

أعمال الرجال (١) .

وليس ثمة شك فى أن الرغبة فى الحصول على الطعام هى أول حافز يدفع الناس على العمل . إلا أن هناك كثير من الحوافز الغير مادية التى تتصل اتصالا وثيقا بالقيم الاجتماعية السائدة فى ذلك المجتمع . فالعمل نوع من النشاط الاجتماعى وليس مجرد نشاط فيزيقى ؛ وذلك لأن المجتمع ذاته يتوقع من كل شخص أن يقوم بعمل معين يرتبط على العموم بشكل أو بآخر بمناشط غيره من الناس كما أن المجتمع نفسه هو الذى يحدد طريقة تنظيم العمل وتقسيمه وتوزيعه بين أفراده حسب قواعد دقيقة تؤلف جزء من النسق الإجتماعى الكلى . وعلى هذا الاساس فحين يقوم الفرد بنشاط معين يتفق وقوانين المجتمع بقصد كسب العيش فان ذلك النشاط يعتبر « عملا » ليس لأنه يؤدى إلى المحافظة على كيانه الجسمى ، بل وأيضاً لأن المجتمع الذى ينتمى إليه ذلك الفرد يتوقع منه أن يقوم بمثل هذا النشاط حتى يكسب عيشه وقوته وقوت عائلته ويحافظ بالتالى على بقاء المجتمع (٢) .

ولم يكن للتجارة فى الماضى - على سبيل المثال - أهمية كبيرة فى حيازة بدو مطروح ككل بالرغم من أن الجماعات البدوية اعتادت فى الماضى أن تحمل بضائعها من منطقة لأخرى أو حتى من بلد لآخر فى تحركاتها الكبيرة . وقد انتهى اهمال تلك الوظيفة الآن بعد مجيء السكك الحديديه والنقل بالسيارات فى الصحراء وبعد انتشار التهريب من ليبيا إلى الصحراء الغربية ورغبة البدو فى الحصول على كسب مربح نتيجة لممارستهم لذلك النشاط غير المشروع ومع ذلك فلا تزال الجماعات

---

1 — BEATTIE, J., "Other Cultures" The Free press, New York, 1964 p. 189.

٢ - دكتور أحمد أبو زيد ، الأنساق ، المرجع السابق ص ١٩٨

النصف بدوية فى صحراء مطروح تلعب دورا هاماً فى التجارة مع الدلتا ، وقد كانت التجارة وتبادل البضائع تتحدد بفصول معينه من السنة فى الماضى مثل فصل الرعى وفصول الحصاد ، وأحيانا بفصول دينية ومناسبات كثيرة كشهر رمضان والاعياد ومثل تلك الصفات قد أزدادت حديثا وتحدث الآن طوال السنة والشىء الرئيسى الذى ينقل من الصحراء إلى الدلتا هو الماشيه وبخاصة الأغنام والماعز . وإلى جانب الحيوانات التى يملكها السكان أنفسهم تعتبر مطروح سوقا جيدة لحيوانات ليبيا التى تأتى بأعداد ضخمة كل سنة من بنغازى ، ويعتبر سوق الحمام هو أكبر مركز لتسويق الماشية . وبسبب قربها من الاسكندرية يحضر الجزارون والتجار من المدينة إلى السوق فى أيام التسويق من أجل شرائها . وتعتبر الحمام بالفعل السوق المنظم الأول الذى يأتى إليه تجار ليبيا فى طريقهم إلى الاسكندرية والدلتا .

وتجارة الفواكه (وبخاصة التين) كذلك تجارة الخضروات (وبخاصة الطماطم) تنقل بكميات كبيرة وفى فصول محددة ، وتعتبر العامرية هى المركز الهام لتلك التجارة ويأتى التجار اليها فى فصول الحصاد لكى يتموا شراءهم للمحاصيل المختلفة، ويعد هؤلاء التجار من الناحية العملية ـ المنتجين الخصوصيين بكل احتياجاتهم من المال نقدا (وأحيانا من البضائع) خلال السنة لكى يؤمنوهم على تسليم زراعاتهم.

ومن السهل أن نلاحظ أن تلك التجارة تزدهر تماما فى مناطق الاستقرار حول السكك الحديدية حيث يصبح الناس أكثر استقرارا بأعداد كبيرة ومثل تلك المراكز الهامة كرسى مطروح والسلوم والضبعة والحمام والعامرية ... الخ بها عدد كبير من الحوانيت ، ولكن حتى فى مراكز الاستقرار الأقل أهمية قد يؤجر حانوت واحد على الأقل .

وعدد الحوانيت يتحدد بدرجة التوطين وحياة الاستقرار . وبالرغم من صغر الحجم فان معظم تلك الحوانيت تعتبر مخازن عامة حيث تباع فيها كل الاحتياجات المتواضعة للسكان وبخاصة السكر والشاى والملابس . والطعام المحفوظ قادم جديد فى هذه الحوانيت ، ويستهلك عادة بواسطة موظفى الحكومة القادمين من وادى النيل (١) .

حيازة الأرض وتقسيم العمل :

ليس المقصود بالعمل مجرد البحث عن المركز الاجتماعى الذى تهيئه المهنة للشخص الذى يمارسها ، بل ان الأمر يتعدى ذلك إلى البحث عن القيمة الاجتماعية لمختلف المهن والأعمال على اعتبار أن لكل مهنة قيمة خاصة بهـا تستمدها من طبيعتها ذاتها أى من نفس طبيعة العمل الذى يمارسه الشخص، وأن المجتمع يفرق على هذا الأساس بين المهن والأعمال المختلفة ويعتبر بعضها أشرف وأنبل من البعض الآخر فالمركز الاجتماعى لا يعتمد على الثروة أو الحسب أو النسب اذن وإنما يعتمد على القيمة الذاتية أو الباطنية الخاصة بالمهنة وما يرتبط بها من قواعد للسلوك والأخلاق .

فبدو مطروح لا يكنون ـ كقاعدة ـ احتراما كبيرا للعمل اليدوى ولكن الجماعات الأكثر استيطانا منهم لا يمانعون فى الالتحاق بالصناعات الحديثة التى تأسست حديثا فى مراكز معينة ، كما أن عددا من الحرف مع ذلك قد مورست محليا بواسطة نساء البدو ، وتنسج تلك النساء السجاجيد والبطاطين وقماش الخيام من صوف الماعز ، ويصنع زيت الزيتون الذى يعصر بطريقة بدائية للاستهلاك الخاص .

1 — ABOU-ZEID, A.M., op. cit, pp. 94-96.

ولكن كل تلك الحرف تمارس لمواجهة الإحتياجات الشخصية والخاصة فقط وهى لاتستخدم لأية أغراض تجارية . وربما ترسل الخضر فقط بكميات كبيرة لمدن صغيرة معينه بالدلتا ، وعندما تنجح بساتين الزيتون فى الزيت الخام الذى يعصر عادة بكميات كبيرة يرسل اما الى الإسكندرية أو برج العرب لكى يصفى ويكــرر .

وتعتبر حالة التوازن داخل أى مجتمع هى الحالة العادية أو السوية فى المجتمع وهى الطابع المميز للمجتمعات البدائية وكذلك المجتمعات الصغيرة التقليديه نظرا لسيطرة التقاليد وللتوازن بين الأقسام الإجتماعية والقبلية والاقتصاديه التى ينقسم إليها المجتمع القبلى البسيط وتتمثل بأفضل صورهـا عند النــوير كما درسهم ايفانز بريتشارد .

وتوجد دائما التزامات اجتماعيه محددة بين أعضاء المجتمع الواحد الأمر الذى يجعل المجتمع التقليدى يتميز بالتضامن الاجتماعى والتكامل الشديد بين مختلف أنشطته الاجتماعيه بحيث يصعب التمييز بينها (١) .

وقد تسببت ندرة المطر فى مطروح والرغبه فى الحصول على ربح كبير، وعدم شغل الرعى لكل وقت البدو ، والرغبة فى الحصول على مصدر آخر للأمن من الدخل كل هذا أدى إلى الالتحاق ببعض الأعمال المؤقتة ، ويحدث هـذا عادة فى غير وقت فصل الزراعة الذى هو فى نفس الوقت فصل الرعى . كما لاحظنـا من قبل بذر الشعير فى نوفمبر ويتحرك شباب البدو جنوبا إلى أراضى المرعى تاركين كبار السن (الشباب) للعناية بالحقول . وبعدئذ يبدأون فى التحرك تجاه الشمال

1 — FIRTH, R. "ELEMENTS of Social organization", 1951, pp. 46 - 47.

عندما يجىء فصل الجفاف . وخلال ذلك الفصل عندما يتجمع البدو فى المناطق الشمالية يحدث العمل الموسمى إذا كان ذلك العمل مفيدا ومعظم العمل الموسمى العام الذى يرتبط به صغار السن من الشباب هو الصيد ورصف الطرق والعمـل الذى يتطلب مهارة فى صنع السجاد وصناعة الملح فى وادى النطرون . ومع ذلك فصيد السمك مهنة تمارس طوال العام بعدد قليل جدا من الصادين المهرة .

وعلى الرغم من أن الصيد أكثر وفرة دائما فى الشتاء عنه فى الصيف ، فان فصل الجفاف يشجع عددا كبيرا من الرجال على العمل وبخاصة فى مرسى مطروح التى تعتبر مصيفا هاما وحيث يستطيعون أن يبيعوا صيدهم الهزيل بثمن مرتفع للمصيفين كما أن عددا كبيرا من الشباب يحصلون أيضا على أعمال مؤقتة خلال فصول الصيف فى المطاعم والمشارب والفنادق بمرسى مطروح بينما يعمل عدد محدود منهم كسائقين للعربات التى تجرها الجياد والتى تعتبر الوسيلة الوحيدة للتنقل التى يفضلها المصيفون فى نزهاتهم وتحركاتهم بالمدينة (١) .

ويؤدى التقدم العلمى إلى زيادة الشعور بالفردية والانسلاخ عن المجتمع القبلى وتكون جماعات أخرى لاتقوم على أساس القبلية والأنتماء القبلى أو القرابى أو وحدة التقاليد وإنما تقوم على أساس التشابه فى العمل والتخصص فى الدخل أى أن الوحدات الجديدة وحدات اقتصاديه وليست وحدات اجتماعيه بالمعنى القديم الذى يسود المجتمعات الصغيرة والبدائية انما التغيرات التى تحـدث فى المجتمع الصناعى والتى تؤدى إلى تفكك الوحدات الاجتماعية القديمة لا تعنى بالضرورة انهدام المجتمع القديم وإنما كل ماتعنيه هو تغير الشروط والظروف التى كانت تسود ذلك المجتمع . ذلك أن الظواهر الإقتصاديه خاصة فى كثير من المجتمعات إنما

1 - ABOU-ZEID, A.M., op. cit, p. 98.

هى فى الوقت ذاته ذات صبغة اجتماعية أخرى نظرا لتشابك الظواهر وتداخلها وتساندها وظيفيا ، والنشاط الاقتصادى يخضع لكثير من الضوابط الاجتماعية التى تفرضها طبيعة العلاقات الاجتماعية لأن الأفراد يقومون بمختلف الأنشطة خاضعين لمختلف القواعد المحددة للنشاط المشترك الإقتصادى والسياسى والدينى(١)

ونظرا لأن التوازن يعتبر أحدى خصائص المجتمع الإنسانى ، كان على المجتمع المتغير الذى ينتقل مثلا من حالة أومرحلة الرعى أو الجمع أو الالتقاط أو الزراعة إلى حالة الصناعة أن يجد أساسا جديدا يقيم عليه توازنه الاجتماعى، لهذا فان تقسيم العمل يحمل بين ثناياه الرغبة فى التعاون المتبادل وبالتالى يحمل أيضا التوازن الاجتماعى الذى يقوم عليه المجتمع .

ويعود تقسيم العمل إلى أسباب مختلفة ، كما أنه يحدث فى كل المجتمعات البشرية فالجنس والعمر والمكانة والمعتقدات الدينية كل هذه العوامل تلعب دورا بارزا فى تقرير وتوزيع الأعمال وهناك بعض المهن تؤدى بصفه مشتركة من قبل الرجال والنساء كل على حدة دون أن يشترك الجنسان معا (٢) .

كما أن نمو المجتمع يرتبط بتغير أساسى فى كمية العلاقات الاجتماعية والأنشطه الاقتصاديه فالعلاقات والالتزامات المتبادلة فى المجتمع التقليدى ليست تعاقدية وأنما هى روابط الزاميه (٣) .

---

1 NADEL, S. "The foundations of social anth 53. p. 152.

2 FIRTH, R., "Primitive economics of the NEWZELAND MAORI 1929. p. 206.

3 — HAGEN., ' on the the theory of social change. LONDON p. 69

وبالرغم من التقليد الشائع فى الصحراء الغربيه وهو أن الأرض التى تخص جماعات قرابية معينة يجب أن يزرعها أعضاء تلك الجماعة ، إلا أن بعض العائلات البدوية قد تمتنع حتى عن القيام بأى عمل له علاقة بزراعة الأرض ، وفى تلك الحاله الأخيرة قد تلجأ تلك العائلات إلى التنازل عن زراعة الأرض لأشخاص آخرين يسمونهم «فلاحين» جاءوا من وادى النيل وأحيانا «مستأجرين» . بالرغم من أن هؤلاء المنتفعين بالارض ليسوا مستأجرين حقيقيين ، فهم لا يدفعون أى إيجار أو تعويض نظير ذلك التأجير ، وبدلا من ذلك يستغلون الارض ويوزعون البذور التى يمدهم بها المالك الحقيقى نفسه ، وبعد المحصول يسترد المالك نفس كمية البذور التى أعطاها للمستأجر، ويقسم بقية المحصول حينئذ بين المالك والمستأجر. وعادة يذهب ثلثى المحصول للمالك والثلث الباقى يذهب للمستأجر ولكن أحيانا يقسم المحصول بينهما بالتساوى وبخاصة إذا لم يكن الانتاج وفيرا أو بسبب ندرة المطر ولهذا فالعلاقة بين الفريقين تشبه كثيرا العلاقة بين الرئيس والمرؤوس أكثر من كونها علاقة بين المالك والمستأجر . وفيها يقدم المالك كل عناصر الإنتاج بينما يشارك المستأجر فى العمل الفيزيقى الضرورى .

ونفس الطريقة تتبع فى الرعى ولكن بدرجة أقل دقة . ويثق البدو الأكثر استيطانا فى رعايه «الكلاف» أو الراعى لحيواناتهم ؛ وهو يعطى الحق فى جزء معين من الحيوانات ومن نسلها ، ويختلف النصيب الذى يعطى للراعى من حالة إلى أخرى ولكنه عادة يعطى الحق فى كل السماد وكل اللبن إذا ما كانت الحيوانات ترعى بعيدا عن الاستقرار حيث يعيش مالكوها ، ولا يعتبر الراعى مسئولا عن موت الحيوانات (١) .

---

1 — ABOU-ZEID, A. ..., op. cit, p. 100

وبالرغم من أن لموقع الارض فائدته وقيمته فانه نادرا ما تكون للارض قيمة إذا كان من السهل الحصول عليها ، ولكن فى المجتمعات التقليدية يرتبط الرجال عاطفيا بالأرض التى ولدوا فيها وعليها مارسوا حقوق الملكية ، وعند التعرض لقيمة الأرض نشير إلى عدة نقاط هامة وهى : (١) .

١ ـ فى جميع أشكال الملكية لا يمكن أن تكون الأرض حرة طالما أرتبطت بالقيمة ، ولكن يوجد دائما شعور بندرتها .

٢ ـ ترتبط الأرض بالحياة الإقتصادية العامة للأفراد ، فأى عمل يجب أن يكون له علاقة بفائدته .

٣ ـ يجب الحصول على عائد اقتصادى محدد من الأرض (٢) .

وكثيرا ما حدثت منازعات على الأرض بين البدو من أجل قيمة الأرض ومن أشهر تلك المنازعات ما حدث عام ١٩٦٠ على حدود الأرض بين عيلة عميرة (على أبيض) وبين عيلة حسين العاصى القناشية (على أحمر) ومساحة تلك الارض حوالى الف فدان وقد تدخل لفض الخلاف بينهم سيدى إبراهيم السنوسى من السنوسية وقد كانت هناك زاوية أم الرخم السنوسية التى أقامها سيدى محمد السنوسى بأم الرخم بالقرب من القصر لحل المشاكل وفض المنازعات بين القبائل وكان يقيم فيها أهل البركة . كما كان بها مكان للاستراحة على حساب الزاوية

1 — HERSKOVITS, op. cit, pp. 333—335.

٢ ـ للدلالة على قيمة الأرض عند البدو يقولون أمثالا مثل : حوز الجد أو وضع اليد ، أو الشرا معاه من شهد ، والبانية بينها والخافية بيخفيها ، اذ لابد من شهادة الشهود وأظهار الحيازة

بالنسبة للمسافرين فى الصحراء ، ولا يزال هناك شيخ للزاوية حتى الآن هو سيدى الطيب الخادم للسنوسية وهو من المرابطين المشهود لهم بالتقوى والورع وأى مشكلة تحدث بين البدو كان يقوم بفضها .

ويمتثل البدو لقرارات أهل البركة ويثقون بآرائهم لفض تلك المنازعات على الارض ومن أشهر من أقاموا بالقصر من المرابطين المشهود لهم بالتقوى والورع والمكانة الدينية عائلة أبو شقيليف وتقع أرضهم مجاورة لارض الزغرات وأرض الدويلات بالقصر ومساحتها حوالى ٢٠ فدانا وتزرع زيتون ونخيل وشعير ويزرعها حاليا أحفاد الشيخ عبد الجليل أبو شقليف الذين حازوا الأرض فى سنة الحوزمع العشيبات، ويأخذ البدو منهم البركة كما أنهم كثيرا ما يتدخلون لفض المنازعات التى قد تنشأ بين البدو والدعوة للمرضى . ويكتبون الأحجبة للمرضى ويطلبون لهم من الله الشفاء ويقومون بعقد قران البدو .

التوزيعات الاقليمية وعلاقتها بالتقسيمات القبلية :

سبق تعريف الحيازة بأنها وضع اليد على شيء بقصد استعمال حق ملكية عليه أو حق من الحقوق العينية الأخرى وتعتبر أساسا لبعض الطرق المكتسبة للملكية كالإستيلاء والتقادم ، وتملك الحائز الحسن النية للثمار . والحيازة فى ذاتها محمية بدعاوى خاصة تسمى دعاوى الحيازة (١)

وتختلف الأفكار الخاصة بالملكية ـ ليس فقط بين المجتمعات المختلفة وانما قد تختلف حتى داخل المجتمع الواحد طبقا لطبيعة الملكية وما اذا كانت فردية

١ ـ الموسوعة العربية المختصرة . دار العلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر اشراف الدكتور محمد شفيق غربال ص ٧٤٦ .

أم جماعية وهذا يتطلب فحص لأشكال الملكية والحقوق المترتبة عليها والأفراد الذين يمارسون تلك الحقوق (١)

فالملكية اذن نظام اجتماعى لا يشمل فقط ممارسة الحقوق والواجبات بواسطة أفراد المجتمع ، بل أيضا يتضمن القبول الاجتماعى الذى يجعل النظام مستمرا (١)

وتؤثر الحقيقة التى تقول بأن الحقوق الفردية تعرف من خلال اطار النظام القرابى كما أن هناك حقيقة تقول بأن من يستصلح الأرض يكون له حق أخلاقى مستمر موجود فى جميع أنحاء العالم ومنذ الأزمنة القديمة. ذلك أن استصلاح الأرض واستزراعها يتطلب عملا شاقا ، كما أن هناك مبدأ عام لكل النظم الوطنية يقول بأن نفقات العمل تخلق حقوقا، ولهذا السبب تكون للأشجار الاقتصادية حيازة خاصة كما أن الملكية تكون فى الشجرة نفسها وليس فى الأرض التى تنمو عليها الشجرة (٢)

وتلعب الملكية دورا كبيرا فى الزمر الاجتماعية كالعائلة والعشيرة وأى دراسة عن الملكية يجب أن تأخذ فى اعتبارها مشكلة الملكية فى مواجهة الملكية الجماعية للثروة ويرى هوبهاوس Hobhouse ان الملكية كاصطلاح هى « رقابة الانسان على الأشياء » ولكنها ملك للفرد (٣)

ووظيفة الملكية من وجهة النظر الاقتصادية هى ايجاد علاقة بين مصادر البيئة وقوى السكان لتحقيق أقصى انتاج للاستمتاع بالثروة وتحقيق الأمان والاستقرار وتوزيع السلع والخدمات خلال فترة من الزمن . وتختلف هذه الطريقة فى المجتمع

1 — HERSKOVITS, M., "op. cit, op. 312
2 — MEEK, op. cit. p. 23.
3 — HERSKOVITS. op. cit. p p. 323—326.

التقليدى عنها فى المجتمع الحديث حيث يكون الدخل فى المجتمع التقليدى سلعا وخدمات بينما تحتل النقود أكبر قدر من الدخل والملكيات فى المجتمع الحديث (١)

والملكية والثروة سواء أكانتا شخصية أم جماعية ان هما الا مظهران للعملية الانتاجية فالملكية هى الضبط القانونى لمصادر الدخل الاقتصادى وحقوق الملكية هى التزام اجتماعى.

وهناك معنيان مختلفان للثروة : المعنى الأول هو أن الثروة شيء مادى والمعنى الثانى هو ملكية ذلك الشيء المادى والملكية ليست مجرد طلب ولكنها صراع على طلب كل ما هو نادر وحقوق الملكية هى المنظمة لذلك الصراع (٢)

ويستخدم النقد كصنف من أصناف السلع أو كمقيم يستخدم بطريقة خاصة لتسهيل نظام التبادل ويكثر النقاش حول ما اذا كان تعريف النقد سلعة أو مقيم بحيث اذا وجد النقد فى مجتمع فهل نعتبر المجتمع نقديا أم لا — وهناك بكل وضوح فرق بين الرأسمالية التى تمثل العملة النقدية فيها سلعة متداولة على نطاق التبادل المادى كله وغير المادى ـ وبين الاقتصاد البدائى حيث لا يوجد مثل هذا الوسط للتبادل المستعمل فى العالم ، ولكن حتى فى المجتمعات الرأسمالية نجد أن البيع بالأجل يعتبر موفرا للنقد ، كما أن كمية النقد هى نتيجة لعوامل كثيرة تشمل عامل سرعة التداول وبمعنى آخر فان النقد ليس شيئا ماديا وهو مثل السوق تلاحم لوظائف متعددة وتحدد التحاليل الاقتصادية هذه الوظائف كالآتى :

1 — Notes and Queries on Anthropology, six edition, R. and KEGAN PAUL. L.T.D. 1960. pp. 144—151.
2 - BEATTIE, JOHN, "Other Cultures, Op. cit, p. 59.

١ ـ وسط للتبادل ومدخر للقيمة

٢ ـ قوة شرائيه

٣ ـ رأسمال سائل قصير المدى

٤ ـ مدخرات سائلة عامة

٥ ـ وحدة القيمة

وتعتمد كل هذه الوظائف من جهة الفائدة على نوعية السيولة أو اليسر الذى يمكن للسلعة أن تتبادل به وكذلك الاحتمال وامكانية الانتقال والقبول على نطاق واسع فى العمليات التجارية وسهولة المحاسبة . وفى المجتمعات البدائية التى يمكن أن نسميها مجتمعات لانقدية لاتوجد سلع سائلة الى حد كبير يعنى أن هذه السلع التى تسمى أحيانا النقد البدائى لاتستعمل فى التبادل فى نطاقات العمليات التجارية كلها . (١)

وقد تلجأ النظم الوطنية فى سعيها للتوزيع العادل للأرض إلى توزيع سنوى لأراضى القرية . وقد يعاد تقسيم الأراضى كل مـــدد زمنية معينة لمواجهة احتياجات العناصر الأجنبية التى تلقى الترحيب من أفراد القبيلة لاعتقادهم بأن ضم هذه العناصر اليهم سيضيف قوة الى قبيلتهم ، وقدتتحول أرض العشيرة التى تنقرض الى المجتمع أو الدولة ثم يعاد توزيعها من جديد على الذين لايمتلكون أرضا ، وفى أنحاء كثيرة من افريقيا يكون للزعماء الحق فى أن يأخذوا من العائلات الأرض التى لاتحتاج اليها (٢)

---

1 — CKRIL S. BELSHAW: Traditional exchange and recent markets. op, cit, p. 10

٢ ـ د. أحمد أبو زيد ، الأنساق ، المرجع السابق ص ١٥٢

ويقوم نظام حيازة الأرض التقليدى فى مجتمعات الرعى وبخاصة فى الشرق الأوسط وشمال افريقيا على مبدأ بسيط واضح هو مبدأ التناظر بين التوزيع الاقليمى والتقسيم القبلى . فالمعروف أن القبيلة البدوية فى هذه المنطقة تنقسم إلى عدد من العشائر التى ينقسم كل منها إلى عدد من الأقسام وهكذا ، بحيث يؤلف كل جزء منها ـ بغض النظر عن حجمه وعدد أعضائه ـ وحدة اقتصادية مستقلة لها أرضها الزراعية ومناطق الرعى الخاصة بها داخل أرض القبيلة ، كما يكون لها موارد المياه والآبار الخاصة بها أيضا . وعلى ذلك فإن كل قسم من هذه الأقسام القبلية يعتبر نفسه المالك الوحيد لكل الحقوق الخاصة باستغلال الأرض الزراعية والمراعى التى ارتبط بها منذ أجيال طويلة ، وان كان هناك دائما مجال لاشتراك غيرهم من أعضاء القبيلة بل ومن القبائل الأخرى فى استغلالها فى الاحوال الاستثنائية (١)

وكل قبيلة لها منطقتها الواضحة المتميزة عن الوحدات الأخرى القريبة منها وقد نجد داخل الجماعة العائلية الواحدة ملكية فردية تتمثل فى ملكية أحد أعضاء تلك الجماعة لقطعة محددة من الأرض ، ولكن ملكيته لاتتعدى نطاق الأرض ولا تشمل حقوق الرعى لبقية الأرض بل وقدتقتصر فقط على أشجار النخيل (٢)

والملكية عند بدو مطروح تختلف فى أراضى المراعى عنها فى الأرض الزراعية فحق المرعى مسموح به فى المناطق البعيدة فى الصحراء ، أما المناطق القريبة من من الساحل فلا يسمح به الا باذن من صاحبه ، أما الأراضى الزراعية فالحدود بين القبائل معروفة تماما ولا يستطيع أحد أن يزرع أية قطعه من الأرض الا

---

١ ـ دكتور أحمد أبو زيد المرجع السابق ص ١٥٢

2 — LOWIE, R.H., "Primitive Society." op, cit. p. 212.

باذن من صاحبها وقــد سبق أن تكلمنا عن النظم الزراعيه المختلفه كالمساقه والمشاركه والمكانفه وكيف أن هذه النظم كانت تقتضى الاذن من صاحب الارض أولا بالرغم من سابق معرفتها بين البدو . وتنقسم الأرض داخل القبيلة بين عائلات القبيله الواحدة ، ثم تنقسم بين البيوت التى تتفرع من العائله الواحدة، وعلى الساحل تنقسم الارض بين أفراد كل بيت على حدة، وقد ارتضى البدو هذا النظام للمحافظة على بنائهم الاجتماعى القبلى ولتأكيد التضامن والتماسك القبلى.

ويعتبر بدو مطروح الأرض ملكا خالصاً لهم حازوها منذ سنين طويله وحاربوا من أجلها قبل أن تأتى الحكومة إلى تلك المناطق أو سـلاح الحدود ، ويقـولون إن الأرض « حوزنبوت »

وتقوم الجماعة الأصلية فى تلك المجتمعات باستغلال الموارد الاقتصادية الخاصة بمنطقتها مثل الزراعة وتربية الماشية والأغنام ، وتنتمى تلك الموارد إلى كل فرد على حده ، ولـكن المفهومين : الفرد والجماعة لا يتناقضـان مـع بعضهما ، فالفرد يمتلك قطعـــة من الأرض ولـكنه فى نفس الوقت يعطى تصريحاً لأصدقائه ومعارفه من جماعته كى يستغلوا تلك القطعة فى كل وقت بالإضافة إلى حق أقاربه الدائم فى استغلالها . صحيح أن حق الاستغلال يرتبط بإعطاء التصريح اللازم من قبل المالك . ولـكن المالك لا يرفض إعطاء مثل هذا التصريح ، فالملكية الفردية فى تلك الأحوال لا تعنى حقاً مانعاً لاستغلال الأرض ولـكنها مجرد نوع من الرئاسة فى حق ادارة واسـتغلال تلك البقعة الاقتصادية (١)

ويعيش سكان النجوع البعيدة فى الصحراء فى جماعات متحدة أكثر من سكان القرى ودرجة تعاونهم أكبر بسبب الظروف البيئية ، وكل قبيلة لهـــا مناطقها

---

1 — HERSKOVITS, M. op. cit, p 333.

وممتلكاتها ومراعيها ومياهها ، وهـذا يؤثر على أفرادها الذين ينظرون إلى أفراد القبائل الأخرى كجـــماعة لا تختلف عنهم فى نمط السلوك ولـكنهم يرون أنفسهم أعضاء فى تقسيم القبيلة الخاصة بهم (١)

وقد أدى عدم الشعور بالطمأنينة ونقص المصادر وصعوبة التخزين إلى ظهور الجماعة المتعاونة والعلاقات الشخصية حيث تعيش الجماعات معاً وتؤلف العائلة وحدة الانتاج والاستهلاك وقلة فرص التخصص .(٢)

بيد أن هذا النظام الذى يقوم عـــلى مبدأ التناظر بين الأقسام الاقليمية والأقسام القبلية ليس نظاما جامدا أو صارما كما يبدو لأول وهلة . فالواقع أن هناك درجة عاليه من التعاون والاعتماد المتبادل بين مختلف الأقسام التى تنتمى إلى العشيرة الواحدة بل وأيضا بين الجماعات القبلية المختلفة التى تقـــوم بينها علاقات صداقة (٣)

ويظهر التعاون فى أوضح صورة فى سنوات الجدب والمجاعات وأوقات الشدة والأزمات حين ينقطع المطر وتضطر بعض الجماعات القبلية الى أن تهاجر إلى المناطق الأخرى التى أصابها المطر فتنزل فى ضيافة القبائل التى تعيش هناك وتقوم بزراعة جزء من أراضيها كما ترعى مواشيها فى مراعيها .ومـــع ذلك فان مبدأ التناظر يظل مبدأ معترفا به طيلة الوقت . وهذا معناه فى نهاية الأمر أنه على الرغم من انتشار أفراد القبيلة الواحدة فى كثير من المناطق والأقاليم فان كل جماعة

---

1 - EVANS-PRITCHARD, "The NUER." op. cit, pp. 113—116.

2 — FORDE, D., "Primitive economy." IN SHAPIRO, man, culture and society. 1960, p.p. 330—344.

٣ - د / أحمد أبو زيد ، الأنساق ، المرجع السابق ص ١٥٢

منها تظل مرتبطة ككل باقليم معين من الأرض تعتبره وطنا او دارا لها بحيث تعود اليها دائما بعد الانتهاء من رحلات الرعي . مع أن الاهالى الذين يقيمون بين عائلات العشيرة إختصت كل عائلة بمساحة معينة من الأرض داخل أرض العشيرة وظهرت مساحة محددة من الأرض لكل عائلة داخـــل أرض البدنة ومساحة محددة لأرض البدنة بأكملها داخل أرض العشيرة ، وبدلا من الكلام عن أرض العشيرة بأكملها أذا بنا نجد أرضا للبدنة وأرضا للعشيرة ، وتوجد داخل مساحة أرض العائلة مساكن العائلة ومعظمها مبنى من الحجر وتتكون من حجرتين أو ثلاثة وقلة منهم يسكنون الخيام ، كما توجد أيضا أراضى العائلة الزراعية التى غالبا ما تكون مجاورة للمساكن ، وتوجد حدود للتقسيم بين كل عائلة وأخرى بل وبين كل بدنة وأخرى داخل أرض العشيرة عن طريق علامات من الحجر أو الحديد

وبعد تقسيم الأرض بين أفراد البيت الواحد أصبح كل فرد مستقل بنصيبه (١)

مثال ذلك أن عائلة قاسم (من بدنة معفس العشيبية) قسمت أرض عمارة أبنه (داخل أرض العائلة) بعد وفاته بين أبنائه الخمسة بالتســاوى ، وكذلك أرض عبد المالك أحد أبناء عمارة الخمسة قسمت بين أولاده الأربعـــة وهم عبد اللطيف ، ويعقوب ، وجبريل ويونس . وكانت طريقة القسمة تتم بتقسيم الأرض تبعا لنوعها وجودتها ، فالحدائق قسمت إلى أربع قطع ، وكذلك المرعى قسمت أيضاً أربعة قطع ووضعت علامات ثابتة ومعروفة بين كل قسم وآخر ، ثم كتبت أربعة أوراق فى كل ورقة نصيب من القطع الأربعة وعملت قرعة بين الأوراق وأحضر شخص محايد من العشيرة لسحب القرعة وتكون الورقة الأولى من نصيب الابن الأول إلى أن يتم توزيع الأربعة أوراق على الأولاد الأربعة ، وقد قام بهذه القسمة الأخ الاكبر وهو عبد اللطيف من بين الأربعة اخوة وبذلك يعرف كل فرد أرضه داخل أرض العائلة .

وأغلب الآبار هنا ملكيتها جماعية يشرب منها الانسان والحيوان على السواء ولكن ميراث البئر جماعى اذا كان بئرا واحدا للعائلة ، فملكية الآبار جماعية ولكن هناك حالات ملكية فردية لأرض الآبار اذا تعددت الآبار او اذا وقـــع البئر داخل أرض الحائز نفسه .

هذا المثال يوضح التناظر بين التقسيم القبلى وتوزيع الارض فى منطقة القصر وأن حيازة بدو مطروح للأرض بدأت جماعية بين البدو الذين تجمعهم قرابة الدم وذلك بسبب الظروف الايكولوجية التى كانت تحتم على أعضاء الجماعة القرابية التجمع والتضامن والتماسك والالتحام لمجابهة قسوة الطبيعة وكانت الزراعة من حق أى عضو فى تلك الجماعة القرابية إلى أن بدأت الملكيات توزع بين أفراد الجماعة القرابية الواحدة بسبب طلب كل فرد نصيبه من الأرض وبخاصة حول المدن الكبيرة كالعامرية والحمام ومرسى مطروح وظهرت بذلك الحيازات الفردية التى لم يعرفها المجتمع البدوى من قبل فى أى وقت من الاوقات وفى أى بقعة معينة من الأرض كثيرا ما ينتمون إلى جماعات قبلية وعشائر مختلفة فان كلا منهم يعرف تماما الاقليم الذى كثيرا ماينتمون اليه والذى يرتبط به اســم جماعته القبلية والـــذى يحق له أى يستغل أراضيه الزراعية ومراعيه وموارد المياه فيه (١)

وبدو النجوع لايستقرون على أرض ولا يرتبطون بأى مكان ، فهم يتجولون حيث يرغبون ، ولايسمون أى مكان بيتا لهم فبيتهم حيث يوجد العشب والماء وأرض الحرث فالطريقة البدوية فى الحياة تتلاءم مع مناخها (٢)

---

١ ـ دكتور أحمد أبو زيد (الانساق) المرجع السابق ص ١٥٣ .

2 — EVANS — PRITCHARD, "The SANUSI of CYRENAICA," op. cit. p.p. 34—38,

وفى المجتمعات التقليدية التى لم تصـــل إلى درجة عالية من التقدم تتدخل البيئة الطبيعية فى تشكيل مناشطها الاقتصادية وطبعها بنمط اقتصـادى عام فالتساند والاعتماد المتبادل بين النسق الايكولوجى والنسق الاقتصادى أكثر وضوحاً عما هو عليه بين الأنساق الاجتماعية الاخرى ، وهذا سبب صعوبة تحديد خصائص عامة للاقتصاد البدائى نتيجة لإختلاف الاطـار الايكولوجى الذى يحدد نمطاً اقتصادياً معيناً (١)

وتنتشر الحيازات الفردية على الساحل وفى المناطق الآهلة بالسكان وبجـوار طرق المواصلات من الاسـكندرية إلى السلوم ، أما الحيازات الجماعية للأراضى فتكون فى المناطق الجنوبية والبعيدة فى الصحراء عن الساحل وعن خطوط السكك الحديدية والمواصلات وحيث يقل المطر أو يندر . والحيازات الفردية تكون فى الأغلب لأراضى حـــدائق الزيتون والنخيل والفواكه والخضروات وبعض أراضى الشعير على الساحل ، أمـا الحيازة الجماعية فتقتصر عـلى أراضى الشعير فى الداخل بعيداً عن الساحل وأراضى المرعى الجنوبية .

وسأعطى مثالا عـن العلاقة بين التقسيمات القبلية والتوزيعات الاقليميه بقرية القصر بمطروح :

تقع قرية القصر غرب مدينة مرسى مطروح ، وتشغل مساحة قدرها ٣٠٠ كيلو متر مربع وحدودها تنحصر بين خط عرض ٣١,١٤° - ٦ ,٣١° وشرق خط طول ٢٦,٥٧° - ٢٧,١٣° وطول القصر حـــوالى ١٨ كيلومتر وعرضها حوالى ١٠ كيلو متر ، وعدد سكانها حوالى ٦٠٠٠ نسمة ويسكن المنطقة عائلة عميرة (على أبيض) رعـــائلة حسين العاصى القناشى (على أحمر) وقبائل العشيبيات

1 — FORDE D., "Primitive society." op. cit, pp. 330—332.

والجميعات والقطعان وتلك القبائل الفرعية تنقسم إلى عائلات وبيوت ، والبيت هو أصغر وحدة فى البنيان القبلى ويتكون من ١٠- ٢٠ أسرة من سلف واحد (١)

وكل عائلة من تلك العائلات السابق ذكرها تقوم بالزراعة فى أرضها فتزرع أشجار التين والزيتون ، كما يزرعون الشعير والخضروات ، ويقومون بتربية الاغنام والماعز فى أرض المرعى الصخرية والجبلية ومعظم الزراعات تقوم على مياه الامطار والمياه الجوفية .

وليس للجميعات سوى كيلو متر واحد فقط من أراضى القصر تشغلها عائلة محمد السويطية ، أما عائلة عميرة (على أبيض) إلى أقصى الغرب من القصر فتشغل مساحة حوالى ٨ كيلومتر من سد أم الشطئان حتى عجيبة . أما بقية أرض القصر فيقيم بها قبيلة العشيبات .

وقد كانت حيازة الأراضى فى بداية الأمر جماعية لقبيلة العشيبات فى الوقت الذى كان فيه عدد أفراد القبيلة قليل ، إلا أنه بمجرد مرور الوقت وتزايد عدد أفراد العشيرة حدثت منازعات حول الأرض وبدأ كل قسم يبحث عن نصيبه من الأرض لذا قسمت الأرض وهناك الكثير من حالات الاختلاف والصراع بين أصحاب تلك الحيازات لتحديد حيازاتهم وغالباً ما يتدخل القانون العرفى لحل مثل تلك المنازعات .

ويعرف بدو مطروح نظام ، الاكتتاب ، حيث يكتب أحد الأفراد الذين لا ينتمون لقبيلة وينضم إليها رسمياً ويصبح له ما لهم من حقوق وعليه ما عليهم

١ - عمر الامين فودة : التوطين وحيازة الاراضى بالساحل الشمالى الغربى . المرجع السابق ص ١٥

من واجبات ويدفع معهم فى الدية ، ويتولون حمايته تماماً كأحد أفراد القبيلة ويمنح قطعة أرض كهبة أو هدية لزراعتها والانتفاع بها هو وأسرته ولكنه لا يمتلكها خالصة بل له حق الانتفاع بها فقط . مثال ذلك أن شخصاً يدعى « جمعة الملاح » من وادى النيل نزل بأرض النجيلة بالقرب من مطروح وكان يقيم بها قبيلة العشيبات (على أحمر) وأراد أن يكتب مع عائلة اليوسفة (إحدى فروع العشيبات الذين رحبوا به ، فحدث اجتماع حضره عواقل العشيبات وحكموا بضمه إلى عائلة اليوسفة وعمل محضر مكتوب عند شيخ القبيلة ، ثم منح قطعة أرض لزراعتها واستغلالها ضمن أراضى اليوسفة وأخذ نصيبه فى الأرض مثل الاخرين تماماً ولكنه حق مقيد فهو حق الانتفاع بالأرض فقط .

فكأن نظام « هدية الأرض » أو « هبة الأرض » نظام معروف لدى بدو مطروح وفيه يمنحون الغرباء قطعة أرض للانتفاع بها فقط طوال وجودهم داخل المجتمع أى أنها ليست ملكية وانما حق انتفاع فقط يقتصر على الأفراد الذين يكتبون مع القبيلة . والمقصود بذلك زيادة التضامن والتماسك فى المجتمع عن طريق دفع دم جديد للقبيلة يجعلها قوية أمام القبائل الأخرى .

وفى جميع المجتمعات التقليدية تنظر القبيلة إلى أى مساحة من الأرض باعتبارها حق يستغله أى عضو فيها ، ولكنها تحرم هذا الحق بالنسبة للآخرين وتكتسب حقوق الأرض عن طريق قرابة الدم (١)

ويشغل بدو مطروح معظم الأراضى القابلة للزراعة والرعى لعدة أجيال بوضع اليد وتعتبر ملكية الآبار والخزانات مطابقة لملكية الأراضى ولكن قانونا

---

1 — LOWIE, ROBERT, H , "Primitive society." op. cit, pp. 203—208

فإن ملكية الأرض والآبار هى للدولة وللقبائل حق استغلالها فقط . وهذا التداخل بين حق الملكية وحق الاستغلال نشأ من عدم وجود تشريعات كافية لحقوق الأرض والمياه لتحكم حيازة الأرض فى المناطق الصحراوية .

وتسمح القبائل فى مطروح للقبائل الأخرى بالرعى فى أرضها فالرعى مباح للجميع (ما عدا المنطقة الساحلية حيث يشترط الاستئذان من أصحاب الأرض أولا قبل الرعى وأى فرد من أى قبيلة له الحق فى أن ترعى حيواناته فى المنطقة التى بها مراعى أفضل ولكن لا يسمح لأى شخص باستعمال الخزانات والآبار الخاصة بالقبيلة فالماء نادر وثمين وذو قيمة .

وإذا كانت خصائص أى مجتمع انقسامى أن كل وحدة من الوحدات التى ينقسم اليها ذلك المجتمع تعكس لنا فى تكوينها وفى تركيبها نفس خصائص الوحدة الاجتماعية التى تدخل هذه الوحدات الصغيرة فى تكوينها بمعنى أنه إذا كان المجتمع الكبير قبيلة تشكل وحدة اقليمية واقتصادية وقرابية متميزة عن غيرها من القبائل فإن هذا المجتمع ينقسم بدوره إلى عدد من العشائر والبدنات التى تنقسم بدورها إلى أقسام أصغر (عائلات) فأصغر (بيوت) ولكن كل وحدة من هذه الوحدات مهما صغرت تؤلف مجتمعاً مستقلا ومتمايزاً كل التمايز عن الوحدات الأخرى المماثلة كما أن كل وحدة من هذه الوحدات تعكس لنا فى الوقت نفسه نفس الخصائص التى تميز المجتمع الكبير (القبيلة) بحيث تعتبر وحدة اقليمية واقتصادية وقرابية وسياسية متميزة . ونفس تلك الخصائص نجدها عند بدو مطروح .

فعزبة عائلة الأفراد بمطروح وهى فرع من الصناقرة ، والأخيرة تنتمى إلى قبيلة على أبيض تكون فى مجموعها وحدة اقتصادية وسياسية وقرابية متميزة

ولها عمدتها الذى يقيم بها ، وتنقسم بدورها إلى ثلاثة بيوت رئيسية هى « بيت خنال » و « بيت عطيوة » ، و « بيت عبد الله » ، وتقع مساكن العائلة ومزارعها داخل نطاق العزبة ولها عمدتها كما أن لكل بيت عـــواقله المشهود لهم بالكفاءة ورجاحة العقل ويمتازون بكبر السن ، وكل بيت من هذه البيوت الثلاثة له نفس خصائص العائلة الكبرى ويؤلف مجتمعاً مستقلا ومتمايزاً عن غيره من المجتمعات (البيوت) الأخرى فى نفس العائلة كما أن لكل بيت أرضه ونظامه الاقتصادى المستقل (١)

حيازة الارض والتوطين كنشاط اقتصادى :

يرى رد فيلد REDFIELD أن صفات المجتمع التقليدى هى العزلة والتجانس والتقسيم البسيط للعمل ، بل وأكثر مـــن ذلك يقوم التنظيم الاجتماعى فى المجتمعات التقليدية على الدين والقرابة . (٢)

وتوطين البدو يختلف عن التهجير البسيط الذى يستهدف نقل الناس من مكان إلى مكان لأن التوطين أساسا تغيير لنمط الحياة بينما يكون التهجير تحسينا لنمط الحياة ، فالتوطين نوعى فى جوهره بينما يكون التهجير فى الغالب تهجيرا تدريجيا فالراعى حين يتوطن توطينا زراعيـــا ، يصبح مربى حيوان ، ومزارعا ، أما المهجر فقد يمارس نفس مهنته فى ظروف أفضل وبجزاء يكون عليه أكثر عائدا . (٣)

---

١ - أنظر الملحق رقم (٣) الذى يوضح موقع عزبة عائلة الافراد على خريطة مطروح والملحق رقم (٤) الذى يوضح البيوت الثلاثة لعائلة الأفراد وأشجار النخيل والزيتون لكل بيت وشاغلى البيت من الأحياء .

2 – R.REDFIELD., "The folk societies." pp. 239–304.

٣ - د / محي الدين صابر : « البدو والبداوة » سرس الليان ١٩٦٦ ، ص٤٢

ومشاريع توطين البدو تهدف إلى تعليمهم الاعتماد على أنواع أخرى من السعى للحصول على لقمة العيش وعلى موارد معقولة لرزقهم ، كما أنها ليست عمليات سهلة أو بسيطة بل هى عمليات مركبة ومعقدة ويجب أن تؤخذ بتعقل وروية وبعد دراسة ودراية وفق الأسلوب العلمى الصريح ووفق المصلحة الأدبية وكرامة الانسان . (١)

فالبدوى فى حياته التقليدية يمارس حياته مكتفيا بالكفالة والحماية الاجتماعيتين اللتين تقدمها له الحياة القبلية عن التطلع إلى الكفالة والحماية اللتين تقدمهما له الدولة . (٢)

وتعتبر عملية التوطين وحيازة الأراضى من أهم العوامل الـــتى تؤدى إلى التقدم الاقتصادى والاجتماعى فى منطقة مطروح. وقد أدى عدم الامان وصعوبة حياة الترحال وزيادة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية بالصحراء أدت بالبدو نتيجة لانتشار التعليم والتقدم فى وسائل النقل والمواصلات إلى الاستقرار ومزاولة الزراعة أو أى نشاط اقتصادى آخر .

ولذلك ظهرت الحاجة إلى تغيير نظام الحيازة التقليدى للارض إلى نظام تشريعى والحد من الترحال بالمنطقة وخلق مجتمعات زراعية مستقرة بالتغيير فى النظام التقليدى لحيازة الأرض وفى النظام القبلى ، وهذه التغييرات لابد وأن تعتمد على دراسة كاملة لجميع مشكلات الأرض والمستوطنين ودراسة امكانيات

---

١ - جامعة الدول العربية : رعاية البدو وتحضيرهم وتوطينهم «الجزء الاول» القدس ١٩٦٥ ص ٩٢ .

٢ - المرجع السابق ص ٢٦٨ .

العمل على استقرار القبائل الرحل . (١)

وعلى الرغم من كل ما يقال عن رغبة البدو فى الاحتفاظ بحياتهم التقليدية واعتزازهم بقيمهم البدوية فثمة ما يدل على انصرافهم فى الواقع عن هذه الحياة وتنكرهم لها واتجاههم تدريجيا إلى حياة الحضارة والاستقرار التى توفر لهم قدرا من الطمأنينة والأمن أكبر مما يجدونه فى حياة الصحراء . ويتخذ هذا الموقف الجديد مظهرين مختلفين ولكنهما متكاملان لهما نفس الدلالة ونفس النتيجة .

ويتمثل المظهر الأول فى هجرة أعداد متزايدة من البدو من المناطق الصحراوية إلى المناطق الريفية والحضرية المجاورة . وتزداد هذه الهجرات زيادة كبيرة فى السنوات التى تسوء فيها الأحوال المناخية وينقطع فيها المطر بما يؤدى إلى جفاف المراعى وموت أعداد كبيرة من الماشية . وقد تكون هذه الهجرة مؤقتة بتحسن الظروف المناخية وانتهاء فترة الجدب فترجع الجماعات البدوية النازحة إلى مواطنها القديمة فى الصحراء وإلى حياتها الأولى ولكن قد تطول فترة الجدب إلى سنوات عديده متتالية بحيث يضطر البدو إلى الاقامة والاستقرار بصفة مستمرة فى القرى والمدن التى نزحوا اليها بل إلى انتحال الزراعة أو بعض الحرف اليدوية وبالتالى إلى الانصراف عن الرعى ونبذ حياة البداوة تماما

وقد اشتدت حدة النزعة للهروب من حياة البداوة فى السنوات الأخيرة نتيجة لظهور عوامل أخرى جديدة لها علاقة باكتشاف بعض الإمكانيات

---

١ - قسم التوطين وحيازة الأراضى بالمؤسسة المصرية العامة لتعمير الصحارى أهم نتائج الدراسات للساحل الشمالى الغربى (١٩٧٠ م) .

الاقتصادية التى لم تكن معروفة من قبل فى الصحراء، وأهمها اكتشاف البترول، والمهم فى ذلك أن البداوة تفقد جانبا كبيرا من القوى البشرية التى تعيش فى الصحراء وتعمل فى الرعى وتربية الماشية والتى تفضل أن تتحول لسبب أو لآخر إلى نمط الحياه الحضارى المستقر (١) .

وقد ارتكزا التخطيط لمشروعات توطين البدو فى مطروح على أساسين

١ - توفير أنواع العمالة الممكنة للبدو فى مجالات العمل . وذلك بواسطة

(أ) توفير الزراعة فى المناطق الصالحة

(ب) توفير الصناعة حسب إمكانياتها

(جـ) تشجيع الصيد فى المناطق الساحلية

٢ - توفير أنواع من الخدمات والرعاية اللازمة لرفع مستوى المعيشة

٣ - تطبيق نظام الادارة المحلية وإشراك البدو فى إدارة شئونهم (٢)

والمشاريع التى خططت أصلا للوصول إلى تغييرات معينة فى الحياة الاقتصادية للمجتمع البدوى سوف تؤدى بطريقة أو بأخرى إلى تغييرات عميقة فى المظاهر الأخرى للحياة الإجتماعية . إن خلق صناعات جديدة ومراكز تجارية ، والإتجاه نحو التصنيع ونحو الزراعة والأعمال بوجه عام والزيادة المتتابعة فى

---

١ - دكتور أحمد أبو زيد « قابيل وهابيل » قصة الصراع بين البداوة والحضارة فى العالم العربى . مجلة معهد الدراسات العربية . العدد الاول مارس ٦٩ المرجع السابق ص ٤٠٦ ، ص ٤٠٧

٢ - وزارة الإدارة المحلية « توطين البدو فى المحافظات الصحراوية بمصر ١٩٦٥ ص ٢٩

المال النقدى فى أيدى سكان الصحراء الغربية نتيجة لتلك الإتجاهات ، واعادة توزيع الأرض والإتجاه المتزايد نحو الملكية الفردية أو الخاصة ، والاتصال المتزايد مع المدن الأكـــبر والرغبة فى التعليم كل ذلك سيؤدى إلى تغييرات عميقة وجوهرية فى البناء التقليدى للمجتمع البدوى ومثل هــــذه التغييرات قد حدثت فعلا فى أماكن معينة من الصحراء الغربية بمصر مثل العامرية ومرسى مطروح حيث أصبح الناس هناك أكثر إستقرارا ويتجهون نحـو حياة التوطين بدرجة أكبر أو أقل . وسوف تؤدى المشاريـع المخططة أيضا إلى تغييرات أكثر فى الأنساق القرابية والسياسية . والشعور المتزايد بالفردية والاستقلال الاقتصادى بين الأجيال الأصغر هو العامل الأساسى المسئول عن تلك التغييرات فى البناء الإجتماعى تماما مثل التغييرات فى الأنماط التقليدية للعلاقات الإجتماعية وأى فرد بدوى يستطيع الالتحاق بعمل ما ستصبح عنده الفرصة لأن يخلص نفسه من تدخل كبار السن وهذا قـد يؤدى فى النهاية إلى حدوث شرخ فى البناء الكـــلى (١) .

وسوف يشجع نمط الحياة الجديد الذى يقوم عـــلى الزراعة المكثفة وعلى تصنيـع زراعى محدد إلى الهجرة إلى المراكز الصناعية والزراعية الجديدة والتى ستتكون فى الصحراء وسوف يصبح ذلك واضحا فى الصحراء الغربية لمصر حيث تأخذ بعض المشاريـع المقترحة هناك فى اعتبارها إمكانية تحريك عدد معين من الفلاحين المدربين وانتقالهم من الدلتا لسكنى الصحراء وتعميرها وبخاصة المنطقة

1 – ABOU — ZEID, A.M., "The NOMADIC and the SEMI-NOMADIC tribal populations of the EGYPTIAN Western desert and the SYRIAN desert." op. cit, p. 121.

الساحلية ولزراعة الأراضى المستصلحة . وكل العمال المهرة الـــذين تحتاجهم الصناعات الجديدة سوف يجيئون من وادى النيل وبالأخص من الاسكندرية . وحينئذ فمن المتوقع عندما تتكون تلك المراكز الصناعية والتجارية فى الصحراء الغربية سوف يؤدى إلى امتصاص أعداد كبيرة من سكان وادى النيل وجلب نسبة كبيرة من سكان وادى النيل والدلتا لتلك المراكز مما سيؤدى إلى المشاركة فى حل مشكلة زيادة السكان فى مصر .

وربما يكون أهم إنجاز لمشاريـــع التوطين فى الصحراء الغربية هو إختفاء الاختلافات الثقافية التى توجد الآن بين المدن من جانب وبين سكان المجتمعات الريفية والحضرية من جانب آخر . والقيم الشائعة وأنماط التفكير سوف تشمل وتسود كل المجتمع بأسره بكل قطاعاته المختلفة كنتيجة لإستخدام الطرق الريفية والحضرية للمعيشه فى المساحات الصحراوية (١) .

وتعترض التوطين صعوبات كثيرة مثل نقص الإمكانيات المادية والاقتصادية التى تمول مشروعات التوطين ، وعدم قيام بعض المرافق الأساسية كالمواصلات الآلية والطرق إما لإرتفاع نفقات إنشائها وصيانتها وإما لسوء الظروف الطبيعية المتصلة بالتربة أو المناخ ممـــا يعسر أمر التنقل المنظم ، كما أن نظام ملكية الأراضى فى المناطق البدوية ملكية مشاعة أو جماعية اكتسبت بمرور الزمن حقوقا قانونية وصعوبة حصر وإحصاء السكان بسبب جغرافية المكان وطبيعة عمل السكان فيه .

ورغبة فى مساعدة البدو عـــلى التوطين والاستقرار بالأرض فقد وقعت اتفاقية بين الحكومة المصرية وبرنامج الغذاء العالمى بتاريخ ١٦/٣/١٩٦٧ وتنص

1 — Ibid, p. 123.

الاتفاقية على أن يقدم برنامج الغذاء العالمى معونة أغذية مقدارها ٩ ملايين وجبة لمدة خمس سنوات للمستوطنين من البدو الذين يمارسون الانتاج الزراعى ولا يقل ما يزرعه كل منهم عن ثلاثه أفدنه من أشجار التين واللوز والزيتون ولا تكون فى حوزته أكثر من عشرة أفدنه من أشجار الفاكهة أو أكثر من ٤٠٠ شجرة ولا يزيد ما يملكه من الثروة الحيوانية عن ٣٠ رأس من الغنم والماعز ، وأن يكون عضوا فى جمعية تعاونية ، وأن يكون لديه مصدر ملائم للمياه ، على أن تباع الأغذية للمنتفعين بأسعار رمزية كذلك تشمل مزايا تلك المعونه العمال الذين يعملون فى مشروعات الإستيطان ، ومربى الأغنام طبقا للمادة الأولى من الاتفاقية .

وتشمل المعونه التى سيقدمها البرنامج طبقا لتلك الاتفاقيه على دقيق وقمح وسكر وفواكه مجففه وزيت طعام ولبن مجفف وشاى ، وتقدم تلك السلع على دفعات حسب إحتياجات المشروع وعلى أن يتعهد برنامج الغذاء العالمى بتسليم تلك المواد سليمه كاملة وتعويض المواد التالفه أو المواد الفاقدة .

وتقوم الحكومة المصرية بتوفير المبانى وتعيين الأفراد المطلوبين لتنفيذ المشروع كما تقع على عاتقها مسئولية تنفيذ المشروع .

كما تضطلع الحكومة المصرية بمهمة تزويد المستوطنين الذين يمارسون الزراعة بالمراوح الهوائية وبشتلات التين والزيتون واللوز ونباتات المراعى ونشر الخدمات الإرشادية والتعاونية بما يتفق وحاجة البدو ، واتخاذ الخطوات اللازمة بين عامى ١٩٦٧ ، ١٩٧٢ لزراعة ٢٢٠٠٠٠ ألف شجرة على طول الساحل الشمالى الغربى .

كما تتولى الحكومة توزيع الأغذية المقدمة من البرنامج مرة واحدة كل شهر

على الأقل على المستوطنين وعائلاتهم عن طريق الجمعيات التعاونية مقابل ثمن اسمى يعادل ٢٥ ٪ من السعر المحلى ، وتحدد نصوص الاتفاقية ما يصرف للفرد الواحد من المستوطنين أو العمال شهريا .

وتوطين البدو كعملية متكاملة أظهرت الحاجة إلى العناية بالبدو باعتبارهم مواطنين ، وبالبداوة باعتبارها جزء من الوطن . حتى يتصل ذلك الجزء المنعزل من الأرض والإنسانية بالموارد البشرية والطبيعية فى المجتمع القومى وتكتمل الدورة الاقتصادية والسياسية فى كيان الأمة .

ولكن البدوى لا يفكر فى إحتمال ترك حياته التقيدية ويرى أن مظاهر الحياة المادية الجديدة إنما هى بديل مطلق لحياته ، حينئذ تظهر المقاومة للحياة الجديدة التى يجهل مهارتها ووسائلها ولا يلتقى معها فى قيمتها النهائية وتبدأ عملية المقاومة الحضارية للتغير الكامل فى حياته (١) .

وكمثال ناجح لمشروعات التوطين وحيازة الاراضى هو ما يجرى الآن فى منطقة القصر التى تتبعها الجهات الآتية : أم الشطئان - جمعية القصر - الرومان وادى الرمل - وادى ماجد - جيمية المطاريح - زاوية أم الرخم - الشولحى الزعيرات . حيث أمدت مؤسسة تعمير الصحارى أعضاء الجمعية التعاونية من البدو بكل ما يحتاجونه من شتلات وبذور وتقاوى لازمة للزراعة بأسعار رمزية كما أمدتهم بالمراوح الهوائية بسعر رمزى وبالجرارات وغيرها .

وتعتبر الحيازة القبلية التقليدية للأراضى كما هو الحال فى المجتمعات القبلية - أهم مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية لسكان المنطقة والحدود

١ - د . محى الدين صابر ، البدو والبداوة ، المرجع السابق ص ص ٣٥، ٣٩

القبلية الجماعية للاراضى وحدود الحيازات الفردية بداخلها معروفة جيدا للجميع ونادرا ما يتم تسجيلها فى أى سجل قانونى للاراضى أو يتم توضيحها عـلى خرائط مساحية .

ومن الظواهر الهامه لحيازة الأراضى فى المنطقة شيوع الحيازات الفردية وخاصة بالأراضى المزروعة داخل حدود الأراضى القبلية ، وقد تم توزيع تلك الأراضى على البدو بطريقة يعرف بها كل رجل فى البدنة حدود أرضه من بين الأرض القبلية فى المنطقة

ومعظم الحيازات مفتتة الى قطع صغيرة كنتيجة طبيعية لتقسيم الأرض باتباع القانون العرفى للميراث والذى يقضى بتقسيم الأرض بين الأبناء الذكور أو الأقرباء الذكور فى حالة عدم وجود ذرية للمورث (١)

وتتضمن مصادر المياه الموجودة بالمنطقة الآبار السطحية وخزانات المياه والخنادق ، ويوجد بالمنطقة حوالى ٥٥ بئر سطحى ، وحوالى ٣١ خزان مياه وحوالى عشرة خنادق ، يستخدمها سكان المنطقة للاستهلاك المنزلى ورى المزروعات . كما يوجد حوالى ٣٠ مروحة هوائية قامت بتوزيعها هيئة تعمير الصحارى منذ عام ١٩٦١ على الحائزين الذين يرغبون فى زراعة أراضيهم بأشجار الفاكهة والخضروات . كما توجد وسائل أخرى لرفع المياه مثل طلمبات الرفـع والشواديف .

ويبع المياه وبخاصة مياه الخزانات لمربى الحيوانات شائع جدا ويتم البيع لما يحويه الخزان من مياه فقط وليس الخزان ذاته . والثمن المدفوع للمياه خلال

---

١ - هذه الحيازات مملكة بموجب القانون رقم ١٢٤ لسنة ١٩٥٨

أشهر الصيف يختلف باختلاف حجم البئر ويتراوح بين ٣٠ - ٨٠ جنيها وقد تنشب منازعات على استخدام المياه أو على ملكيه بئر أو خزان مياه وخاصة اذا كان موقعها على حدود الأرض القبلية ولكن معظم هذه الخلافات تتم تسويتها عن طريق القانون العرفى وبواسطة القادة القبليين وبدون تدخل الحكومة وملكية الأرض والمياه من الناحية القانونية ملكية حكومية ولكن رجال القبائل البدو يتجاهلون هذه الحقيقة القانونيه وغالبا ما يجيبون على سؤال من يمتلك مصادر المياه سواء أكان بئراً أم خزان مياه أو غيرها بأنها ملكيه رجال القبائل سواء كانت فرديه أو جماعيه .

ومعظم البدو الذين يقيمون بالمنطقة مستوطنون قدماء استقروا بالمنطقه قبل العمل بالقانون الخاص بحيازة الأراضى رقم ١٢٤ لسنه ١٩٥٨ وقبل أن تقوم هيئه تعمير الصحارى بمزاولة نشاطها فى عام ١٩٥٩ ويرجـع السبب فى ذلك الاستيطان الى توفر مصادر المياه الموجودة بالمنطقه ومن الجدير بالذكر أن تجزئة الحيازة الى أرض مزروعه أشجار فاكهـه وأخرى مزروعـه محاصيل موسميه وثالثه مزروعه خضروات يعطى فكرة عن عدد القطع التى تقوم الأسرة باستغلالها وعلى هذا يمكن أن يقال أن الحيازة تتكون من مجموع تلك القطع المتفرقه .

وهناك عدد كبير من الحيازات بالمنطقه توجد بها مساحات غير مزروعه وترجع أسباب ذلك إما لانه لايوجد بها مصادر للرى (وتلك هى المساحات الغالبة) أو أن الارض ذاتها يوجد بها تلال أو منخفضات أو أحجار تجعلها غير صالحة للزراعة وهذا يدل على أن العامل الرئيسى المحدد للتوسع الزراعى فى المنطقة هو امكانية توفير المياه .

وتعتبر تربية الأغنام أهـم الأنشطة الاقتصادية لمعظم البدو بالمنطقة وهى

تكون الدخل الرئيسى - إلى جانب الزراعة - لهؤلاء البدو - وتمتد مناطق الرعى للداخل جنوب الشريط المنزرع وتعتبر الأغنام والماعز من أهم الحيوانات التى يحرص البدو على الاحتفاظ بها وهى تكون أهم الاستثمارات بالمنطقة هذا بجانب أنها تعتبر مصدرا ثابتا للدخل .

إلا أن عدد الحيوانات يزداد بازدياد الحيازة وتعتبر الماشية قليلة جدا ونادرة لظروف البيئة الصعبة .

ويختلف عدد الأغنام والماعز الذى تحتفظ به الأسرة من سنة لأخرى . فى سنى الجفاف والقحط يقل العدد نتيجة المـوت أو البيع الاجبارى لعدد من الحيوانات بينما فى سنى الرخـاء والأمطار الوفيرة مع جودة المراعى فان عدد الحيوانات يزداد زيادة ملحوظة .

وتبلغ المساحة المنزرعة شعير عام ١٩٧٤ حوالى ١٥٠ر٠٠٠ فـدان شعير نتيجة لإرتفاع معدل الأمطار ، كما تقدر المساحات التى تزرع خضروات بحوالى ٢٠٠٠ فدان .

وارتفعت الثروة الحيوانية من حوالى ١٠٠ ألف رأس غنم وماعز فى سنة ١٩٦٠ بتقدير وزارة الزراعة إلى ٨٤٦ ألف رأس حسب التعداد الرسمى الذى تم بمعرفة المنطقة وجهاز الثروة الحيوانية ومشروع الدراسات للأمم المتحدة سنة ١٩٧٢ (١) .

من كل ما سبق يتضح لنا أن التوطين مجموعة من العمليات المتدرجة لتحقيق أهداف محددة ، وأنه وسيلة لغاية هى إحداث التغيير المطلوب فى حياة الجماعة

١ - محافظة مطروح : المجلس الاستشارى ، دراسات وتوصيـات المجلس بشأن خطة التعمير بالمحافظة . ١٩٧٤ ص . ص ٧٨ - ٨١

البدوية بما يحقق استمرارها ، وأنه برنامج مرتبط بخطة زمنية معينة وله نطاق مكانى منفذ فيه ومجموعة بشرية يستوعبها ، ويسير وفقا لأهداف محددة وضمن الإطار العام للدولة ، والتوطـين خطة يرتكز على التخطيط حتى يكون واعيا بمختلف الظروف المحيطة بالجماعة الموطنة ، والتوطين تنمية بما يتضمنه من إحداث التغيير المقصود فى حياة الجماعة البدوية الموطنة وما يشمله هذا التغيير من جوانب اقتصادية واجتماعية يمكن أن تنعكس فى النهاية لا على وجه الحياة البدوية فقط وإنما على حياة المجتمع كله . والتوطين عمل مشترك ، فمادام التوطين يتم فى ضوء احتياجات البدو ووفق رغباتهم فلا بد أن يتسم بالمشاركة من جانب القطاع البدوى ذاته علاوة على تعاون بقية القطاعات الشعبية الأخرى فضلا عن دور الحكومة الطليعى فى هذا المجال .

يتضح لنا مما ذكرنا فى هذا الفصل ما يلى :

١ - يتوقف حجم الانتاج فى المجتمع على مدى تعقده واتساع تقسيم العمل ومن ثم فالمجتمع البدوى مجتمع بسيط وحجم الانتاج فيه قليل

٢ - يمتاز الاقتصاد البدوى بأنه لا يحتاج لخبرة أو كفاءة معينة أو أدوات معقدة كما أن الانتاج يخرج فى صورة أولية غير مصنعة .

٣ - لا يوجد تخصص فى العمل وبخاصة خارج المدن وفى النجوع ، فالعمل اجمالى والانتاج جماعى ، والحياة قائمة على التعاون والمشاركة .

٤ - ظهور نظام جديد للملكية يقوم على أسـاس ملكية الأرض والحقوق الفردية بدلا من الحقوق الجماعية .

٥ - ظهرت نظم جديدة تتعلق باستغلال الأرض عن طريق تأجيرها .

٦ - لم يكن اقتصاد مجتمع البدو خاضعا لتنظيم وتدخل الدولة وإنما خضع

لقواعد المشاركة ونظام الملكية التقليدية .

٧ - ان الحيازة القبلية للأراضى والوضع الاجتماعى يشكلان بعض العقبات التى تعوق التقدم الاقتصادى فى المنطقة .

٨ - ظهرت علاقات جديدة تقوم على أساس المصلحه الاقتصادية بين الملاك الجدد للتقريب بينهم ، كما حلت علاقات الجوار محل علاقات القرابة بين الملاك

٩ - لايوجد فرق بين ملكية الأرض وبين الانتفاع بها لدى البدوى ، اذ بالرغم من أن البدو يعرفون أنهم لا يملكون الأرض رسميا ، الا أنهم لازالوا يدافعون عن حدود المساحة التى ارتبطت بها بدنتهم دائما ، والعشيرة التى يرتبط اسمها بمساحة معينة تنتفع بها تمنع العشائر الأخرى من ذلك الانتفاع.

١٠ - الحرف السائدة فى مطروح حرف تقليدية متوارثة لايغيرها البدو الا فى حالة نضوب الآبار أو جفاف المطر وقلة المرعى .

١١ - أدى تباعد البدو عن بعضهم كجماعات تباعدا كبيرا الى اهمال الأرض بسبب التنقل الدائم وراء الماء والمرعى .

١٢ - لايزال البدو يقاومون حياة التوطين الجديدة لأنهم يرون فيها بديلا مطلقا لحياتهم وعندئذ تبدأ عملية المقاومة الحضارية للتغيير الشامل فى حياتهم

١٣ - يوجد نظام منح الأرض كهدية للانتفاع بها فقط لأى شخص ، ولكن ليس للبدوى حق ملكيتها الدائمة وتوريثها بعد وفاته.

١٤ - لازالت ملكية الأغنام والأرض هى الملكية الرئيسية لدى البدوى .

١٥ - ملكية أرض المرعى ملكية جماعية ، بينما ملكية قطعان الأغنام ملكية فردية وهذا يعود الى الرعى الجائر ، وقلة خصوبة التربة ، وتدهور المرعى الطبيعى .

١٦ - طغيان النقود السائلة الآن على تربية الأغنام وبخاصة فى المدن والاتجاه الى المدنية للالتحاق بالحرف السائدة وبخاصه فى مواسم الصيف .

١٧ - أصبحت الزراعة مصدرا للكسب والربح والدخل ، وليست مجرد وسيلة لتوفير القوت الضرورى ، وتغيرت نظرة البدوى إلى العمل بعامة والعمل فى الأرض بخاصه .

١٨ - اقتصاديات المدن مرتبطة باقتصاديات النجوع ، وكلاهما يكونان معا وحدة اقتصادية متكاملة .

١٨ - نظام الدين معترف به بسبب فقر القوة الشرائية للسكان ، وتسدد الديون بعد حصول الشعير .

٢٠ - إن الترابط الوثيق والصلات الوطيدة بين القبائل قد تجعل من اليسير تنظيم التعاونيات وتنفيذ نظام فعال للتسويق التعاونى .

٢١ - إن الحركة التعاونية فى الوقت الحالى تحت سيطرة وتأثير قادة القبائل من عمد ومشايخ ، ولا تدار بطريقة ديموقراطية ، وتعتبر الجمعيات التعاونية وسيلة فقط للحصول على المساعدات والمعونات الحكومية .

٢٢ - حدوث تغيرات عميقة وجوهرية فى المجتمع البدوى وفى بنائه التقليدى نتيجة الاتجاه الى الاستقرار وخلق صناعات جديدة ومراكز تجارية ، وزيادة المال ، واعادة توزيع الأرض والاتجاه المتزايد نحو الملكية الفردية والاتصال مع المدن الكبرى .

الفصل الرابع

حيازة الأرض ونسق القرابة

الفصل الرابع

حيازة الأرض ونسق القرابة

القرابة : Kinship

يرتبط الناس فى كل مجتمع من المجتمعات فى زمر اجتماعية عن طريق مجموعة من الروابط والعلاقات . وتمثل رابطة القرابة أهم هذه الروابط حيث يقوم عليها الانحدار والميراث . ويلعب نسق القرابة والمصاهرة دورا كبيرا فى التماسك والتضامن الاجتماعى وفى ربط الأفراد بمجتمعهم . (١)

ويتضمن نسق القرابه العلاقات الاجتماعية التى توحد وتربط بين الانساق داخل الزمر الاجتماعية كالعائلة والبدنة ، كما يرتبط بشبكة من العلاقات بالأنساق الإقتصادية والسياسية والدينية خاصة فى المجتمعات التقليدية التى تلعب فيه القرابة دورا عاما حيث يعيش الشخص ويكون عضوا فى زمرة المجتمع يطيع ويطاع ، ويأمل فى الميرات والزواج من داخل جماعته القرابية أو من خارجها ؛ ويتخذ مركزه ومكانه فى المجتمع وتكون علاقاته إما عن طريق الدم أو المصاهرة ، وتعتمد كثير من المجتمعات التقليدية على القرابة فى التمييز بين الوحدات الاجتماعية حيث يرتبط الشخص بجماعته القرابية المتعاونة معه تساعده وتعاونه فى مختلف المناشط الاقتصادية ، وتكون العلاقات البيولوجية هى الأساس الذى يقوم عليه تصنيف وتنظيم العلاقات الاجتماعية .(١)

---

1 — FRED EGGAN, " International Encyclopedia of the Social sciences, V. 4. the MACIMILLAN company and the free press. 1968, p, 390

2 — J. BEATTIE, "Other cultures." op cit. p, 29.

وتقوم القرابه على علاقات الدم أو العلاقات العاصبة وعلاقات المصاهرة Affinity عن طريق الزواج . فالقرابة فى المجتمعات التقليدية أحد العوامل الهامة التى تنظم سلوك الأفراد فيما بينهم بحيث يمكن تكوين أنماط محددة من السلوك تشير إلى كل علاقة قرابية . (١)

فالقرابة نوع من الترتيب الذى يهيىء لأعضاء المجتمع أن يعيشوا معا وأن يعاون أحدهم الآخر فى حياة اجتماعية منظمة ، ومن هنا فان دراسة نسق القرابة تستلزم التعرف على الزمر الاجتماعية التى تظهر داخل المجتمع والتى يقوم بين أفرادها ذلك النوع المعين من العلاقات والروابط الاجتماعية ، وكذلك التعرف على طبيعة هذه العلاقات والدور الذى تلعبه فى الحياة الاجتماعية بوجه عام .

وتمثل العائلة التى تتكون من الوالدين وأبنائهما من الذكور والاناث الغير متزوجين والمتزوجين منهم وزوجاتهم وأبنائهم بالاضافة إلى بعض الأقارب كاخوة الأب وأخواته الغير متزوجات أو الأرامل المطلقات الوحدة الأساسية فى الحياة الاجتماعية وهى ما إصطلح على تسميتها باسم « العائلة الممتدة » Extended Family والتى يبلغ عمقها ثلاثة أجيال .

ولما كانت العائلة متضمنه فى جماعة قرابية أخرى أكبر منها حيث لاتكون العائلة وحدها كافية لمواجهة المناشط الاجتماعية والاقتصادية فانها ترتبط بعلاقات قرابية من الدرجة الثانية . فالعائلة هى وحدة بناء البدنة التى تكون مع مجموع العائلات نسق القرابة فى المجتمع يجمعهم انحدارهم من أصل واحد هو مؤسس البدنة ، إذ أن الانحدار يكون فى خط الذكور لعدد من الأجيال لاتقل عن

1 RADCLIFFE – BROWN, A.R., Structure and function in primitive Society.' 1956. p. 29.

ثلاثة . (١).

والبدنة وحدة قرابية كبيرة تضم جميع الأفراد الذين يستطيعون رد نسبهم إلى جد واحد مشترك خلال ثلاثة أو أربعة أجيال على الأقل ، وهى تؤلف وحدة قرابية واقتصادية متماسكة .

ومن داخل ذلك النسق الاجتماعى الذى يعرف بالقبيلة يوجد مايسمى بالعائلة الممتدة Extended family تلك الجماعة التى تقوم على نسق القرابة Kinship وتحتوى على المبادىء الأساسية للملكية والوراثة والضبط .

وعند معالجة موضوع العائلة الممتدة يكون الاهتمام بنسق القرابة على نطاق صغير نسبياً ، أما الجماعة الكبيرة التى يمكن عن طريقها تتبع نسق القرابة فهى عادة تقوم على الجد الكبير لهؤلاء البالغين من الذكور الحاليين والذى يشكل مع كل من زوجاتهم والبنات الغير متزوجات والأبناء ، والأطفال ،والعائلة الممتدة وقد ظهرت تلك الجماعات أخيرا لكى تحظى بنظرة شاملة متكاملة بواسطة الانثربولوجيين الذين يهتمون بتحليل البناء القرابى على نطاق كبير . (٢)

ولكن ما الذى يجعل الروابط الفعلية للعائلة الممتدة أكثر ثباتا عندما تصل إلى درجة الإنهيار ؟ والإجابه أنه بالرغم من أن المعارضة المحددة تقلل من قوة الروابط العاصبة إلا أنها لاتصل إلى درجة انهيار العائلة حيث تبدأ العائلة فى التماسك لمواجهة المشاكل التى تعترضها وتقل حينئذ التوترات وتبدأ فى الاختفاء وتبدأ علاقات جديدة فى الظهور حيث تختفى التوترات الأصلية ويحدث توازن

1 - RADCLEFFE— BRON, A.R., 'Structure and function in Primitive society. op. cit, p. 120.

2 — P.H. GULLIVER: 'The family herds'. op. cit, p. 3

جديد ، ولا يمكن إغفال أثر المثل الأخلاقية فى معالجة تلك التوترات ولها من القوة ما تستطيع به أن تعيد التوازن للعائلة من جديد . (١)

وتقوم العائلة الممتدة على جماعات سلالية قليلة وغالبا ما يكون لسادتها من الذكور جد عام ، وأحيانا يكون الجد المؤسس لتلك العائلة هو الجد الكبير وليس الأب العادى . وتتضمن العائلة الممتدة زوجات أعضائها من الذكور على وجه الخصوص بينما يخرج الإخـــوة . والبنات من العائلة عند الزواج ، ونمط العلاقات الداخلية فى العائلة الممتدة يهمه المحافظة على البعد الجغرافى بين الجماعات بعضهم البعض لأسباب سيكولوجية واجتماعية متضمنة فى نمط تلك تلك العلاقات ، ومن الأمور الشائعة أن نجد فى مواسم الزواج أو فى مواسم الزواج أو فى أوقات الوفاة والموت أن الأقارب يأتون من مواقع منازلهم والى تبلغ ثلاثين أو أربعين ميلا فى البعد عن بعضهم البعض لحضور مناسبات الزواج أو المشاركة فى الجنازات . (٢)

وفى أى مجتمع ليست العائلات وحدات استاتيكية ، ذلك لأن كلا من أعضائها وتنظيمها الداخلى يتغير بالتدريج كلما كبر أعضاؤها فى السن وكلما ظهر جيل جديد . وفى أى عائلة هناك مظهران . المظهر الأول هو العائلة الأحادية Nuclear family التى تتكون من رجل وزوجاته وأولادهما الصغار ، والمظهر الثانى هو العائلة الممتدة التى تتكون من الزوج وزوجاته وأبنائه المتزوجين وزوجاتهم وأولادهم .

وهذان المظهران ليسا بالطبع مجرد حالات استاتيكية ، إنهما يحققان فقط

---

1 – Ibid, p. 117

2 – Ibid, p. 119

الفترتان الرئيسيتان من العملية الكلية للتطور العائلى . (١)

وجينالوجيا فان البدنة الأصغر فى مجتمع أبوى هى التى تتألف من رجل وأبنائه ، ويجد بعض الانثربولوجيين فى ذلك ملائما أو حتى ضروريا لوصفها بأنها بدنة صغرى بالمعنى العملى (٢) .

والبدنة الداخلية (البيت) هى أصغر جماعة تشكل زمرة اجتماعية مؤثرة عمليا وتتكون تلك البدنة فى شكلها البسيط ـ من أعضاء رئيسيين هم رؤساء العائلات المستقلة الذين كانوا فى الأصل أبناء لأب واحد أصبح ميتا الآن وبموت الأب تبدأ الروابط التى تربط الاخوة فى الإختفاء كعوامل الزامية وتتحول تلك الروابط إلى علاقات تعاونية بينهم . وتلك العلاقات يغلب عليها عنصر المساواة بين الاخوة ، ويبدأ الأخوة بمرور الوقت فى طلب حقوق ضد بعضهم البعض والبحث عن امتيازات لهم . (٣)

ومن السهل التعرف على البدنة العامة ، ولكنها أقل تأثيرا وفاعلية من البدنة الداخلية ، وهى تتكون ببساطة من جماعة من الأحياء الذين ينتمون لنسب واحد فى خط الذكور من سلف عام . (٤)

وداخل البدنة العامة يوجد عدد من البدنات الداخلية ، وكل من تلك البدنات الداخلية تنتسب لرجل ينتمى إلى المؤسس الأصلى للعائلة . وفى كثير من الأحوال

---

1 – P.H. GULLIVER: 'Social control in an african society' London. ROUTLEDGE and KEGAN PAULL, 1968. p. 71.

2 – Ibid, p. 75.

3 – Ibid, p. 79,

4 – Ibid, p. 95.

تنسى أسماء زوجات مؤسس البدنة ، بل وأحيانا ينسى أسماء الاصل الاسرى للأبناء المؤسسين للعائلة وتصبح تلك الأسماء طويلة ليست لها أى أهمية .

وكجماعة متعاونة فان البدنة العامة يكون تأثيرها ضعيفا فى الحياة الاجتماعية وتقتصر امتيازات والتزامات عضوية البدنة العامة بدرجة كبيرة على تلك القرابات العاصبة التى تعيش بالقرب من رجل خاص يحتاج لمساعدة .

وهناك حقيقة هامة وهى أن الاحتياجات والحقوق والالتزامات بين الأقارب العاصبين خارج البدنة الداخلية ليست حتمية بدرجة كافية وليست منظمة بدرجة كافية لخلق وتكوين درجة عالية من التركيز والتماسك .

وفى أى بدنة عامة ينتخب أحد أعضائها لكى يصبح المتحدث باسمها .(١) وفى كثير من المجتمعات الأفريقية يعتبر انقسام البدنة هو حالة جماعات متعاونة فى مواجهه انقسام البدنة ككل . وتماسك هذا الانقسام يستتبعه بالضرورة السيطرة على الأرض . (٢)

وتركز القرابة فى البدنة على ثلاثة مبادىء أساسية تحقق للبدنة تماسكها ووحدتها هى :

المبدأ الأول : الإنحدار فى خط الذكور عن طريق مؤسسى البدنة ، فتتضمن البدنة عددا من الأقارب العاصبين من الذكور والاناث الذين ينتمون إلى بدنة أبيهم ، أما أولاد الإناث فينتمون إلى بدنة أزواجهم .

المبدأ الثانى : وحدة جماعية البدنة التى تتضح فى تكرار أسماء الأجداد والآباء

1—Ibid, p. I. I.

2—Ibid, p. 126.

للأبناء ووجود رجل واحد « شيخ البدنة » يمثلها فى علاقاتها داخل المجتمع مع البدنات الأخرى وخارج المجتمع مع المجتمعات المجاورة .

المبدأ الثالث : يتضح فى قيام العلاقات بين أعضاء البدنة على القرابة العاصبة وعامل الموطن .

ويشيع نسق القرابة القائم على نظام البدنة فى نوعين من المجتمعات التقليدية هما المجتمعات الزراعية والمجتمعات الرعوية . وكلاهما يتطلب تعاون عدد كبير من الناس الذين تقوم بينهم روابط القرابة لتسهيل الحياة الاقتصادية على الخصوص إلا أن نفس نظام ملكية الأرض الزراعية وزراعتها ووراثتها يقتضى تقسيم الأرض بين الملاك والورثه الذين يميلون إلى الاستقلال الاقتصادى بعضهم عن بعض بعائلاتهم الصغيرة التى لا تلبث أن تنمو بمرور الزمن لتصبح بدنات متميزه بينما نجد أن اتساع رقعة الأرض فى الصحراء ونفس ظروف الرعى التى تدفع كلها إلى توزيع المناطق الرعوية ومناطق الزراعة بشكل أو بآخر بين العائلات التى تنقسم اليها البدنة ، وإلى تمتع كل عائلة بدرجة عالية من الاستقلال الاقتصادى عن العائلات الأخرى وإلى نمو هذه الوحدات القرابية بمرور الزمن لتصبح بدنات متمايزة لا تلبث أن تنقسم داخليا وهكذا . ولكن هناك عوامل أخرى اجتماعية تتمثل فى زيادة عدد أفراد البدنة وبذلك يكون من الأفضل انقسام البدنة .

وليس معنى ارتباط البدنة باقليم معين أن البدنة جماعة محلية متمركزة فى مكان معين بالذات . فالأغلب أن أفراد البدنة وبخاصة فى المجتمعات الرعوية والبدوية ينتشرون فى أقاليم كثيرة ، ولكن اسم البدنة يظل مرتبطا مع هذا بهذا الاقليم المعين .

والعزبة التى تقيم فيها عائلة الأفراد بمدينة مطروح تعرف باسم العائلة فاسمها «عزبة الأفراد» بالرغم من انتشار العائلة فى مناطق أخرى غير مدينة مطروح.

كذلك نجد عائلات عشيرة العشيبات التى تقيم بالقصر أصبحت الأرض التى تحوزها كل عائلة تطلق على اسم العائلة مثل أرض الدولات وأرض الزغرات وأرض شريف وهكذا .

أما العشيرة فهى وحدة اجتماعية ينحدر جميع أعضائها من جد ينتسبون اليه فى خط الذكور (فى العشائر الأبوية مثل عشائربدو مطروح) ، وتشتمل العشيرة على عدد من البدنات ، وتختلف عن العائلة فى أن أفرادها يتتبعون نسبهم عن طريق أحد الوالدين . والروابط العائلية فى داخل العشيرة تتعدى الحدود البيولوجية ، فالواجبات والالتزامات المفروضة على أفراد العائلة تمتد إلى كل أفراد العشيرة مهما بعدت درجة قرابتهم ويحرم التزاوج بين أفراد العشيرة الواحدة وبخاصة فى المجتمعات البدائية فانها لا تشجع عليه . وذلك على العكس فى العشائر العربية التى تفضل التزاوج بين أبناء العمومة المباشرة .

وتعتبر العائلة فى المجتمع التقليدى الوحدة القرابية ذات الأجيال المتعددة التى يسود فيها الشعور بالمسئولية عن كل أعضائها بحيث يكون فى يد كبيرها وصاحب السلطة فيها . وتمتد هذه الجماعات العائلية لأجيال من الأبناء الأحياء الذين انفصلوا بعد وفاة كبيرهم وأصبح كل منهم رئيسا لجماعته المنحدرة منه وتواجه الجماعة العائلية فى المجتمعات التقليدية مشاكل الحياة لا بالعلاقات القرابية وحدها وإنما بالمساعدات المتبادلة بين أعضاء المجتمع المحلى كله وتتفاوت أشكال هذه المساعدات من مجتمع لآخر . ويتركز الاهتمام لا على العلاقات البيولوجية وحدها وإنما الاهتمام فى العلاقات الاجتماعية بين الأقارب بمختلف أنواعها

الاقتصادية والسياسية والدينية . فالعلاقات القرابية ليست علاقات من نوع خاص من العلاقات ، فمثلها مثل العلاقات الاقتصادية والقانونية (١) .

وهناك إتجاه حديث إلى الاقلال من قوة العائلة والروابط القرابية فالعائلة التى كانت تمثل الوحدة الاجتماعية الأساسية فى الحياة الاقتصادية قد تفككت وانسلخت منها الأسرة الصغيرة التى أصبحت تمثل الوحدة الأساسية فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية فهى وحدة للانتاج والاستهلاك وتتكون من الزوج والزوجة والأولاد . ولما كانت العائلة تتكون أساساً من عدة أسر تعمل على إستمرار الحياة الإجتماعية والاقتصادية وتؤدى وظائف محددة ، فإن التغيير فى الوحدات لا يؤدى إلى هدم البناء الذى يتميز بالقدرة على الإستمرار وإستمرار البناء يعنى إستمرار الحياة لأن المكونات تعمل دائما على إستمرار البناء (٢) .

فاذا ما نظرنا إلى المجتمع موضوع الدراسة (مجتمع مطروح) فى ضوء هذه المفاهيم نجد أنه مجتمع قبلى مكون من وحدات إجتماعية ثابتة مع تغير أعضائها ، وتقوم بينهم عديد من الروابط والعلاقات .

والقبيلة فى المجتمع البدوى هى أكبر الجماعات القرابية التى يتألف منها ذلك المجتمع وأكثرها أهمية . وهى جماعة أبوية يرد نسب أعضائها - الذكور والإناث فى خط الذكور إلى سلف واحد مشترك مؤسس القبيلة .

وهذا المجتمع يتكون من قبائل لها القدرة على الاستمرار فى البقاء ، حقيق أن كل قبيلة مكونة من أفراد قد تنتهى عضويتهم منها ، ولكن القبيلة موجودة

---

1 - HAGEN, E.E , 'on the theory of social structure,' LONDON, 1964, p. 63., p. 95.

2 — RADCLIFFE - BROWN., op. cit, p. 171.

رغم فناء الأفراد المكونين لها لأن كل فرد يولد يكون منتسبا لقبيلة معينة وتنقسم القبيلة إلى أقسام ووحدات أصغر ، ولكن هذه التقسيمات لا تؤثر على استمرار القبيلة وبقائها .

وأعضاء القبيلة يشاركون فى حيازة أرضها التى يقتصر تقسيمها وتوزيعها على الأقارب العاصبين وتبعا للانقسام الداخلى للقبيلة .

وللقبيلة مظهر إقليمى حيث يقيم غالبية أفرادها فى عدد من المناطق والنجوع التى غالبا ما تكون متجاورة (إذا كانت كبيرة الحجم) ، فقد كانت القبيلة فى الاصل متمركزة فى منطقة واحدة تعرف باسم مؤسسها وهو عبارة عن المركز الإقليمى الخاص أو الذى انتشرت منه إلى مناطق أخرى نتيجة لنموها ووجود أجزاء من حيازتها للأراضى فيها .

فقبيلة على الأبيض كانت تقيم فى برج العرب ومطـــروح والضبعة وقبيلة على الأحمر كانت تقيم بمنطقة القصر وعلم الروم والجراولة وسيدى برانى ورأس الحكمة وقبيلة السننة كانت تقيم بمنطقة السلوم . إلا أن زيادة عدد تلك القبائل والتزاوج الذى تم بينها جعل أفرادها يتوزعون فى مناطق مختلفة ، ولا تقتصر على منطقة واحدة بل وحدث تداخل بين مساحات الأراضى التى تشغلها تلك القبائل ، ولكن مع ذلك فكل قبيلة تعرف حـــدود أرضها داخل التوزيعات الإقليمية بكل دقة .

وإذا كان ما سبق يشير إلى المظهر الإقليمى للقبيلة ، فالقاعدة العامة هى أن القبيلة كانت تقيم فى منطقة هى المركز الأساسى لها ثم انتشرت فى مناطق أخرى فتكونت فروع لها تقيم فى مناطق أخرى .

وتتحدد القبيلة عن طريق : —

١ — اسم عام وواضح .

٢ — عاطفة مشتركة .

٣ — أرض مشتركة .

٤ — التزام أخلاقى بالاتحاد عند الحـــرب وإنهاء العداوات والخصومات بواسطة التحكيم العرفى .

٥ — القبيلة بناء انقسامى .

٦ — داخل كل قبيلة هناك عشيرة مسيطرة يكون فيها عدد أفرادها أغلبية عن بقية العشائر .

٧ — القبيلة وحدة فى نسق القبائل .

ويكون شعور البدوى قويا بالانتماء إلى « البيت » وهـــو أصغر وحدة انقسامية قبلية فى المجتمع البدوى ، بينما يقل الشعور بالانتماء إلى العائلة عنه فى « البيت » ، والعائلة هى الوحدة القبلية الأكبر من « البيت » ، فإذا صعدنا إلى العشيرة نجد أن الانتماء يكون أقل منها عن « العائلة » وهكذا حتى نصل صعوداً إلى القبيلة التى يقل فيها شعور البدوى بالانتماء عن العشيرة .

فالشعور بالانتماء داخل الجماعة الصغيرة يكون أقوى من الشعور بالانتماء داخل الجماعة الكبيرة ، وكذلك فى مجال التعاون ، فتعاون الوحدات والجماعات الصغيرة يكون أقوى وأشد من التعاون بين الجماعات الكبيرة ، وفى الجماعات الكبيرة كالقبيلة تكون الاتصالات بين أعضائها غير يومية وتظهر مواقف التعاون فى المعارك الحربية ، بينما تكون هناك اتصالات يومية دائمة فى الجماعات الصغرى التى تقيم معا ويرتبط أعضاؤها بروابط قرابية عاصبة وتظهر وحدتها

وترابطها فى المواقف والأحداث المختلفة ، وهذا يحدث بدرجة أقل فى الجماعات الاكبر ، وتماسك الجماعة السياسى يعتمد بدون شك على عدد وقوة الروابط الغير سياسية (١) .

ففى أرض العشيبات بالقصر نجد أن قوة الروابط والعلاقات المباشرة التى تجمع أفراد العائلات التى تنقسم اليها عشيرة العشيبات تكون أقوى وأمتن من العلاقات التى تجمع أفـــراد عشائر العشيبات والكميلات والقناشات ، وكذلك علاقات تلك العشائر الأخيرة أقوى وأمتن من علاقات قبيلة على الأحمر .

وأقسام القبيلة لها كثير مـــن خصائص القبيلة نفسها ، فكل قسم له اسم واضح وعاطفة مشتركة وأرض متميزة ، والقسم الأصغر يرتبط بقوة بأرضه وبأعضائه المرتبطين قرابيا واجتماعيا وعاطفيا .

والقسم القبلى يتجمع حول عائلة من العشيرة المسيطرة فى القبيلة ، والقسم الاصغر هو القسم الأقرب فى العلاقات الجينالوجية بين أعضاء ذلك القسم من العشيرة . فعشيرة العشيبات العائلة المسيطرة فيها هى عائلة قاسم بسبب كثرة عدد أعضائها عن بقية العائلات الأخرى التى تنقسم اليها العشيرة ومنها كان أمين وحدة الاتحاد الاشتراكى بالقصر كما أن أراضيها أكبر مساحة من أراضى العائلات الأخرى.

وكل قسم فى العائلة يرى نفسه عضوا فيها ولكنه لا يرى نفسه عضوا فى العشيرة وأمام القبيلة يرى نفسه عضوا فقط فى العشيرة ، وأمام الأغراب يرى نفسه عضوا فى القبيلة .

وكل قبيلة تنقسم إلى عدة عشائر ، والعشائر تنقسم إلى عدة عائلات (بدنات)

1- EVANS—PRITCHARD., 'The NUER.' op. cit, p 138,

وكل عائلة تنقسم إلى عدة بيوت ، والبيت هو أصغر وحدة فى القبيلة .

فقبيلة أولاد على مثلا تنقسم إلى ثلاثة قبائل فرعية هى على الابيض ، وعلى الاحمر ، والسننة .

وقبيلة على الأبيض تنقسم إلى عشائر هى أولاد خـــروف ، والصناقرة وتنقسم عشيرة أولاد خروف إلى عائلات هى أبو هندى وضياء وأولاد منصور بينما تنقسم عشيرة الصناقرة إلى عائلات (بدنات) هى البودا والعزايم والأفراد والمغاورة والعجارمة.

وقبيلة على الأحمر الفرعية تنقسم إلى ثلاثة عشائر فرعية هى الكميلات والقناشات والعشيبات .

وأما عشيرة السننة أو قبيلة السننة الفرعية وهى القبيلة الفرعية الثالثة مـــن قبائل أولاد على فتنقسم إلى عشائر المحافيظ والعراوة والقطيفة والعجنة .

وهذا التقسيم القبلى يحدث نتيجة زيادة أعضاء الجماعة القرابية الأمر الذى جعـل مـن الحكمة تقسيم تلك العشائر والقبائل إلى أقسام مستقلة ، أو بسبب الخصومات والصراعات الداخلية . ولا يوجد وضوح فيما إذا كانت جماعة قرابية معينة تكون عشيرة أو عشيرة فـرعية أو مجرد عائلة فقط . كما أنه مـن الصعوبة أيضاً التعرف على تقسيمات قبلية معينة بالضبط أو ما إذا كانت الاقسام تنتمى إلى أية عشيرة .

وكل قبيلة لها اسم يشير إلى أعضائها وإلى الاقليم الذى تقيم فيه ، وكل منها له أرضه الخاصة ومساكنه ومصادر المياه ومراعيه . وتميل تلك التقسيمات إلى التطابق مع التوزيعات الاقليمية ، بل تتساوى الحدود الاقليمية للقبائل مع

الحدود القبلية . ففى منطقة القصر التى تقيم بها عشيرة المشيبات وعائلة السويطية الجبيعية وعائلة عميرة (على أبيض) تفصل الحدود القبلية بـين تلك التجمعات القبلية بل وحتى داخل عشيرة المشيبات تفصل الحدود بين كل عائلة وأخرى من العائلات التى تنقسم اليها العشيرة .

فالمجتمع البدوى توجد به القبائل التى تنتشر كل قبيلة منها وتتوزع فى جماعات فى عدة مناطق اقليمية تؤلف كل جماعة منها وحدة اجتماعية منفصلة ومستقلة كل الاستقلال عن الجماعة الاخرى ، وتحمل اسم مؤسسة القبيلة وان كانت فى الوقت نفسه تعرف المنطقة باسم مؤسس القبيلة أو العشيرة ويشار اليهـا باسمه مع الاشارة إلى اسم القبيلة وتعرف كل جماعة من هذه الجماعات فى المنطقة التى يقيم أفرادها فيها بالقبيلة وتتمتع بنفس المنزلة والمكانة الاجتماعية اللتين تتمتع بها كل جماعة فى كل منطقة اقليمية دون اعتبار لحجم الجماعة بالنسبة لغيرها من القبائل فى المنطقة .

فى مدينة مطروح تقيم عائلة الأفراد فى العزبة التى تعرف باسمها وهى عزبة الأفراد . وفى منطقة القصر تقيم عشيرة المشيبات بأرض المشيبات وفى مطروح تقيم جماعة بيت زهويق بالقرب من المنطقة التى كانت تعرف باسم « سوانى بوزهويق » .

وعلى الرغم من الانتماء القبلى الواحد لمثل هذه الجماعات التى تعرف بالقبائل فى المناطق الجغرافية التى تقيم بها ، إلا أن العلاقات بين أفرادها ضعيفة وترجع أسباب ضعف تلك العلاقات إلى ما يلى :

١ - أدت الظروف البيئية إلى التباعد الطبيعى بـين تلك المناطق وصعوبة الاتصال بينها وما فرضته من نشاط اقتصادي ينحصر داخل حدود كل منطقة على حدة .

٢ - حيازة الأرض لكل جماعة داخل حدود المنطقة التى تقيم بها دون مشاركة غيرها فيها .

٣ - ضعف التبادل الاجتماعى فيما بـين تلك المناطق مما أدى إلى تعدى روابط القرابة حدود المنطقة الاقليمية .

٤ - انفصال القبيلة عن بقية القبائل الاخرى فى مختلف نواحى حياتها داخل حدود المنطقة التى تقيم بها .

٥ - عدم امتداد سلطة عمدة القبيلة إلى خارج القبيلة ، فلا تخضع إحدى القبائل لسلطة غيرها . وتصبح بذلك وحدة المنطقة السياسية على أساس أنهـا إداريه .

٦ - إنقسام القبيلة إلى عدد من القبائل الفرعية التى تنقسم بدورها إلى عشائر فعائلات فبيوت يعتبر عاملا لضعف وحدة القبيلة وتماسكها.

وبالرغم من أن مصالح البدوى لم تعد ترتبط تماما بالقبيلة التى ينتمى اليها وانما ترتبط بمجتمعه المحلى اذا فقدت القبيلة وظائفها الهامة فى تحقيق هذه المصالح والمحافظة عليها . كما أن البدوى يمكنه الاتصال المباشر بالهيئات الحكومية لعرض مشاكله ومناقشة مختلف الأمور التى تهمه وخاصة فيما يتعلق بحيازة الأرض والمعونات التى يحصل عليها . فمصالح الفرد صارت مرتكزة على عضويته فى المجتمع المحلى .

يضاف إلى هذا وجود نظام حيازة الأرض الفردى الى جانب الحيازة الجماعية للأرض مما كان له وظيفة هامة فى ضعف الشعور بالتماسك القبلى وضعف تماسك وتضامن القبيلة وبالتالى ضعف العلاقات القرابية وتفككها .

إلا أنه بالرغم من ذلك لم يضعف شعور الفـرد بانتمائه القبلى وذلك

بسبب التمركز الاقليمى للعائلات التى تنقسم اليها عشائر البدو واقامتهم المشتركة فى مناطق واحدة مما يساعد على تماسك القبيلة والتخفيف من تأثير عوامل التفكك التى تتعرض لها وبسبب نظام الزواج الذى يؤدى وظيفته فى تماسك البنيان القبلى

ويظهر الترابط القرابى فى الوحدة الصغيرة التى تسمى « البيت » فأفراد البيت الواحد هم سلالة شخص واحد فى مدى اربعة أجيال . والجد الخامس للشخص هو اسم البيت الذى ينتسب اليه ، وكل فرد فى هذا البيت يطلق على الرجال الذين فى سن أبيه اسم « عمى » فهذا اللقب يطلق على أعمامه اخوة أبيه وعلى أعمام أبيه وأبنائهم ، وكل شخص يطلق لقب « ابن عمى » على أبناء أعمامه وأولاد أبناء عم أبيه ، وكذلك فكل أفراد البيت اما عم للآخر واما ابن عم للآخر وإما ابن عم له .

فالقبيلة إذن هى التقسيم القبلى الرئيسى ، والعائلات بدنات تنقسم اليها العشيرة ، والبيوت بدنات أصغر أو عائلات ممتدة عمقها خمسة أو ستة أجيال (١)

وتعتبر القبيلة جماعة متماسكة تتصف بالتضامن وبالشعور بروح الجماعة ، ولكل فرد أو مجموعة من الأفراد فيها دور معين تقوم به ، فهى عبارة عن مجموعة من الادوار المتكاملة ، وتتميز بدرجة من القرابة العالية وإدراك أفرادها لوحدة ماضيهم ومصيرهم ، وملكية الأرض فيها جماعية ، فالأرض عامة ملك لجميع أفراد القبيلة وعلى أفراد القبيلة مجتمعين مسئوليات كثيرة أهمها المحافظة على سلامة الأرض ومواردها من أى اعتداء خارجى ، واستتباب الامن والنظام بين أفراد القبيلة

---

1 EVANS-PRITCHARD, E.E, "The SANUSI of CYRENAICA, O.U.P. 1949. p.p. 53 54.

وتنظر القبيلة إلى مساحة معينة من الارض باعتبارها تركة مستغلة لأى فرد فيها ، ولكنها تحرم هذا الحق على الآخرين . وتكتسب حقوق الأرض عن طريق قرابة الدم الأبوية ، وسواء أكانت الأرض الخاصة بالتركة تقتصر على شخص واحد بمفرده أو مقسمة عن طريق أبنائه أو اخوته فانها فى الحالتين ميراث من الأب . (١)

وعلى الرغم من انتشار القبيلة فى عدة مناطق متباعدة على مسافات طويلة ، إلا أن عدم الإقامة المشتركة لا تمنع أفراد القبيلة أو إحدى جماعاتها من الاشتراك فى الالتزامات والواجبات القبلية ، ولم يكن للابعاد المكانية تأثير على الالتزام مثل الاحتفال بمولد الرسول أو أحد الأولياء . (٢)

ويعتبر نظام الخاواة أحد الملامح الرئيسية للبنيان القبلى البدوى . فقد كانت هناك قبائل بدوية قوية كأولاد على وقبائل ضعيفة كالمرابطين . فانضوت قبائل المرابطين تحت لواء قبائل أولاد على كاخوة لهم على أن يقوم أولاد على بحمايتهم واطعامهم ومساندتهم وللمرابطين الحق فى الزواج منهم .

وأخوة الدم تقليد اجتماعى يوجد فى كثير من المجتمعات البدائية والمتخلفه ويستطيع الفرد بمقتضى هذا النظام أن يخلق روابط قرابة أو أخوة مختلفة مع

---

1 LOWIE, R.H. : "Primitive society," op. cit, p.203.

٢ ـ حضر الباحث أثناء تواجده بمطروح مولد الشيخ يونس الجرارى السنينى المقام ضريحه بجوار منطقة القصر ، وقد تواجد فى هذا المولد قبائل البدو من المرابطين وعلى الأحمر وعلى الأبيض ، وهو مولد يقام كل عام ويشارك فيه قبائل البدو كل حسب مجهوده سواء بالطعام للضيوف والموجودين أوشرب الشاى وتقديمه . وهذا يدل على مدى تماسك وتضامن القبائل فى المناسبات المختلفة .

غيره من أفراد مجتمعه . أو فى بعض حالات قليلة بمجتمع آخر غريب . ويترتب على هذه الرابطة الجديدة امتداد الحقوق والواجبات التى تقوم بين الاخوة الحقيقيين إلى الأطراف الداخلة فى هذه العلاقة . ويتم انشاء هذه الاخوة عن طريق تبادل الطرفين مقادير صغيرة من دماء كل منهما . ويتم ذلك بوسائل مختلفة ، ولا يترتب على هذه الأخوة أن يصبح الرجل عضوا فى مجتمع الطرف الآخر، وإن كان يتحتم عليه مراعاة تقاليدهم . والمجتمع كثيرا ما يعتبر بعض الأشخاص أقارب دون أن تكون بينهم أى صلة أو رابطة دم . والقرابة المتخيلة تتضمن العلاقات التى تربط الأفراد وتصفهم بمصطلحات القرابة ولكنها فى الحقيقة لاتقف هذه العلاقات موقف المساواة للعلاقات القرابية .

وتحتل قبائل المرابطين مكانه سياسية أقل من القبائل الأخرى بالرغم من كونهم قادة دينيين فى المجتمع البدوى . وقد كان المرابطون وسطاء بين القبائل المتصارعة ، وكانوا يقومون باستعادة الصداقة بين القبائل المتعادية بالرغم من أن مكانتهم الاجتماعية كانت أقل منها عن المرابطين الذين عاشوا فى بنغازى. وقد أشاع الجيل الجديد من المرابطين أنهم من سلالة السكان الأصليين وبـدأوا ينظرون بعين الشك إلى وضعهم الدينى القديم ، وازدادت رغبتهم ليكونوا ذوى صلة بأكثر السعديين قوة حتى ينسبوا إلى أحد العشائر العربية الأخرى .

وكثير من قبائل المرابطين لاتمتلك أرضا إلى هـذا اليوم ، فقد عاشت تزرع الأرض وبعض الشعير وترعى أغنامها لفترة طويلة على أرض السعادى ،ولكن لم يسمح لهذه القبائل قط أن تزرع أشجارا أو تستزرع وتستصلح أرضا إلا إذا قامت بشرائها من قبائل السعادى التى تملكها .

وبالرغم من أن ملكية قبائل السعادى للأرض لاتستند إلى قانون وضعى

فهم ليسوا أكثر من مجموعة من البدو تضع يدها على أراضى مملوكة للدولة . إلا أنه لايجوز أن يقوم مرابط أو غريب بشراء الأرض من الحكومة أو حتى ينتفع بها دون موافقة وتعويض للقبيلة المالكة ، ولذلك نجد أنه عندما أعلنت الحكومة القانون رقم ١٢٤ لسنة ١٩٥٨ بشأن ملكية الأراضى الصحراوية التى تزرع بها الأشجار أو يمكن إجراء تحسينات دائمة بها ، تقدم بعض الرجال من قبائل المرابطين وآخرون بطلبات تمليك قطع من الارض بغرض استصلاحها، إلا أنهم قبل أن يقوموا بابرام عقودهم مع هيئة تعمير الصحارى كان عليهم أن يصلوا إلى تسوية نقدية مع الملاك العرفيين من القبائل . (١)

إلا أنه ليس المقصود من ذلك أن يفهم بأن كل قبائل المرابطين لاتملك أية أراضى . فقبائل المرابطين الكبيرة كالجميعات يمتلكون أراضى خاصة بهم مثال ذلك الأراضى التى تحوزها عائلة السويطية الجميعية وسط أراضى العشيبات بالقصر وتعترف قبائل السعادى بهذا الحق لان هذه الأراضى تمتلكها قبائل المرابطين نتيجة المشاركة فى الحرب جنبا إلى جنب مع أولاد على ضد القبائل الأخرى .

القبيلة البدوية كنسق انقسامى :

القبيلة البدوية عامة نسق انقسامى يقوم على أساس أيكولوجى . فلكل عشيرة من عشائر القبيلة وعائلاتها الاقليم والمراعى والمصادر الاقتصادية الخاصة بأفراد العائلة دون غيرهم من العائلات الاخرى ، والاقليم الذى تقطنه هذه العائلات يتميز ببناء منقسم إلى وحدات اقليمية تتناظر مع الانقسام القرابى بحيث تنعكس

---

١ - وزارة الزراعة واستصلاح الأراضى : « ملحق تقرير لجنة توطين البدو بمريوط يوليو سنة ١٩٧١ ص ٤ .

الجينالوجيه القبلية (شجرة النسب) بكل دقائقها فى التوزع الاقليمى ويتميز كل قسم من تلك الاقسام التى تنقسم اليها العائلة بأنه يتمتع بدرجة عالية من الاستقلال دون أن يمنعه ذلك من أن يلتحم مع غيره من الأقسام ليكون الوحدة القرابية الكبيرة التى تتألف منه ومن عدد من الأقسام الاخرى المماثلة له . وهذه الخاصية التى تعرف بالانشقاق والالتحام - أهم خاصية تتميز بها العائلة الانقسامية حيث يحتفظ كل قسم من أقسام العائلة باستقلاله الخاص فى مواقف سياسيه معينه واندماجه مع ما يماثله من الأقسام التى تنتمى جميعها إلى بدنه معينه فى وحدة متكامله ومتماسكه فى مواقف سياسيه أخرى، وعلى هذا الاساس كان لمفهوم العائله الانقساميه ناحيته السياسيه التى تميزها عن غيرها من العائلات فالعائله الانقساميه هى وحدة اقليمية واقتصادية وسياسية بقدر ما هى وحدة قرابية .

وعليه الانقسام لاتتم داخل إطار ثابت جامد وعلى فترات محدودة مرسومة أو كل بضعه أجيال وإنما هى إطار متغير غـــير ثابت يعكس تغير الأقسام القبليه المستمر خلال الزمن والتفاعل القـــائم بينها الذى يسفر فى النهايه عن تغيرات هامه تترك آثاراً على البناء القبلى بسبب ظهور بعض الأقسام عن طريق الانفصال عن القبيله واحتواء قسم لقسم آخر نتيجه للإقامة الدائمه المستمرة فى منطقة واحدة والزواج بين أفرادها فقد كان الانتقال من منطقة إلى أخـــرى والإقامة الدائمة فيها يؤدى إلى ظهـور جماعة قرابية تنمو وتكبر لتصبح عائلة مستقلة ومنفصلة عن الجماعة القرابية الأصلية وتحمل اسم مـــؤسسها المباشر ويسقط اسم مؤسسى الجماعة الأصلية وإن كان هذا لايعنى عدم معرفة أفرادها إنتمائهم القبلى ، فهم يدركون أن جماعتهم تؤلف أحد أقسام القبيلة أو العشيرة التى ينتمون اليها . فعائلات الدويلات واليوسفة ومحفص والزغرات مثلا (التى تقيم بالقصر) تؤلف جماعات قرابية منفصلة رغم انتمائهم لعشيرة العشيبات وعلى الرغم

من إدراك أفراد تلك العائلات للانتماء القبلى الواحد المشترك . وعلى الرغم من هذا الانفصال والاستقلال الذى يؤدى إلى التمايز الداخلى للقبيلة ككل . فهى تظهر كوحدة كلية فى علاقة أفراد كل وحدة من تلك الوحدات بأفراد القبائل الاخرى وخاصة فى المواقف السياسية وينظر اليها باعتبار أفرادها أعضاء وحدة كلية .

ومن الصعب على البدو تتبع أنسابهم إلى أعلى من مؤسسى البيوت إلى سلف القبيلة بكل دقة . فالقاعدة العامة عندهم هى اعتبار مؤسسى البيوت الممتدة فى الماضى أخوة أبناء السلف الواحد الأمر الذى لا يظهر العلاقات القرابية الحقيقية فيما بين كل واحد منهم والآخر ودرجة القرابة ودرجة هذه العلاقات .

ويشير هذا كله إلى أنه فى الوقت الذى تنمو فيه القبيلة بظهور أجيال جديدة تحدث عملية أخـرى فى مستوى الأجيال العليا مـن الانحدار الجينالوجى للقبيلة وهذه العملية هى ادماج عدد من الأجيال المتعاقبة فى جيل واحد هى الأجيال التى ينتمى اليها مؤسسوا البيوت بحيث يظهرون كاخوة أبناء السلف الواحد .

ولقد وجدت كثير من الجماعات والأفراد من غير البدو المقيمين فى مطروح والذين أتوا من وادى النيل إما للاشتغال فى المهن التجارية والحـــرة أو العمل كموظفين بأجهزة المحافظه هناك أن المجتمع من حولهم مقسم لعدة قبائل كل منها تحمى أفرادها وتسعى للمصلحة المشتركة ، ومن هنا وسعيا وراء حماية أنفسهم كتب كل منهم مع إحدى القبائل البدوية القوية ، وكثير من هؤلاء المصريين كتبوا مع عائلة العبيدى (عزايم من قبيلة على أبيض) لأن هذه العائلة صاحبة جزء من أرض المدينة وعمدتها كان أشهر عمدة فى المدينة .

وقد أصبحت مسألة الا كتتاب الآن قليلة نظراً لظروف المدينة ، ويمكن

لأى شخص الآن أن يعيش فى المدينة دون أن يتعرض له أحد ودون أن يطلب حماية أحد ، ولكنه يكفيه أن يطلب حماية شرطة المدينة . كذلك قلت حالات البداوة الآن نتيجة للاستقلال الشخصى للأفراد .

وليست التقسيمات القبلية للبـــدو واضحة كل الوضوح كالقبيلة والعشيرة والعائلة كما أنها ليست محددة تحديداً سليما بل هى متداخلة يشوبهما بعض الخلط والغموض فمثلا لقد اتسعت بعض العائلات اتساعا كبيرا حتى أصبح كل بيت يشترك وحده فى دفع الدية وأصبح يطلق عليه « بيت » و « عيلة » فى نفس الوقت مثل عائلة الأفراد التى اتسعت وزاد عدد أفرادهـا حتى أصبح يطلق عليها الآن لقب « قبيلة » الأفـراد ، و « بيت » ، « ظنين » فى عائلة الأفـــراد يقال له « عائلة ظنين » و « بيت ظنين » فى نفس الوقت .

ويقدم لنا نسق القرابة وصفا معقدا من المعايير والعادات وأنماط السلوك بين الأقارب . فنسق القرابة شبكة من العلاقات الاجتماعية تشكل جـــزء من الشبكة الإجمالية للعلاقات الاجتماعية التى تعرف بالبناء الاجتماعى . وحقوق وواجبات الأقارب تجاه بعضهم البعض تكون جزء هاما من هذا النسق (١) .

فإذا ما كان شخصان قريبان فهما يرتبطان ببعضهما بطريقتين : إما أن أحدهما ينحدر من الآخر ، أو أن كليهما ينحدران من سلف واحد مشترك .

---

1 - RADCLIFFE BROWN, A.R. and DARYLL FORDE. 'AFRICAN Systeme of kinship and marriage O.U.P. Reprinted 1960. p. 13.

ونظام النسب فى مجتمع بدو مطروح نظام أحادى فى خط الذكور ، وهو نظام أبوى يرجع إلى إقامة الزوجة لدى أقارب زوجها بسبب الظروف الاقتصادية التى تحتم تلك الإقامة الأبوية .

ولقد تبين من الفصل الثانى أثر الظروف البيئية لمنطقة مطروح فى تشكيل الجماعات البدوية وتوزيعها ، واتضح أيضا اعتماد البدو فى معاشهم على الرعى ثم الزراعة وتمركز مواقع الإقامة بالقرب من تلك المناطق . فالنشاط الاقتصادى أتاح تكوين جماعات أبوية للانتقال إليها والإقامة بالقرب منها لإمكان استغلالها .

وقد كان للبيئة الطبيعية تأثير آخر فى تأكيد النسب الأبوى ، فقد أدت إلى أن تكون المساحات المنزرعة قليلة وضيقة فضلا عن استغلالها لفترة قصيرة من العام ، وكان ذلك من الأسباب الرئيسية لإنتقال حيـــازة الأرض فى خط الذكور .

ويستطيع البدو تتبع أنسابهم فى خط الذكور إلى أربعة أو خمسة أجيال وتميل خطوط الانشقاق السياسى لأن تتبع التوزيع الذى يتعلق بطرق المعيشة ولكن اعتبارات الأيكولوجيا تساعدنا فقط على فهم بعض الملامح الديموجرافية لقبائل البدو والأقسام القبلية ، ولكنها لا تساعدنا على فهم طبيعة علاقاتهم البنائية ، وهذا يمكن فهمه فقط فى ضوء المبادىء البنائية التى تتلخص فيما يلى : -

١ - ان تقسيم التوزيعات الجغرافية للبـدو يعطينا وحدات إجتماعية فرعية ترتبط فى نسق عام .

٢ - تميل تلك الوحدات الإجتماعية إلى الانقسام إلى أقسام مختلفة ، وإلى الإندماج معا فى علاقتها بالوحدات الأخرى .

٣ ـ إن أصغر تلك الأقسام هو أكبرهـا فى تماسكها ، وهذا هو السبب فى بقاء النسق الانقسامى .

ونسق العشيرة البدوية يعدنا بتقسيم القبيلة إلى عـــدد من الجماعات المنفصلة الواضحه وكل جماعة لها وحدتها الخاصه ، وقد تلعب العشائر عند ئذ دوراً هاما فى الحياة الاجتماعيه والسياسيه للقبيله . والمدى الذى يعمل العشائر تفعل ذلك يعتمد على التوجيه التى بهـا يتعاونون كجماعات فى المناسبات والمواقف المختلفة التى تواجهها تلك العشائر أو فى مواقف ضبط الملكيه الجماعيـة للأرض عندما تكون العشيرة مالكة لأرض الجماعة .

ويساعد مبـــدأ النسب الاحادى فى خط الذكور فى التعرف الواسع على العلاقات القرابية للبدو وفى إعطاء تلك العلاقات نسقا فعالا من التماسك الاجتماعى بموجبه يستطيع أعضاء العشيرة مراقبة الانتفاع بالأرض واستغلالها سواء أكانت الأرض مخصصة للرعى أو الزراعة ، والبناء الإجتماعى المستمر يتطلب حشد الأفراد فى جماعات منفصلة متمايزة ، وكل جماعه لهـا تماسكها الخاص ، وكل فرد ينتمى إلى جماعة واحدة (١) .

وعندما يسأل بدوى عن عائلته فإنه يجيب بالإشارة إلى السلف وهو المؤسس لعائلته الصغيرة من ٤ ـ ٥ خطوات حتى الأيام الحالية ، وتلك الخطوات تمثل الأب والجد وأبو الجد وجد الجد كذلك تمثل الأبناء .

والفرق الجوهرى بين العشائر والعائلات هو أن الشكل البنائى للعشائر يبقى دائما بينما العائلات الفعلية فى أى نقطة زمنية تكون متحركة بسرعـــة وتخلق عائلات جديدة وتندمج عائلات قديمة .

1 — Ibid, pp. 42 - 43

والعلاقة القرابيـة لكل عائلة مع غيرهـا من العائلات الاخرى نلاحظ فى بنائها بنقطة تشير إلى الإرتقاء أو الصعود ، والمسافة إلى تلك النقطة هى ما نسميها « العمق الزمنى للعائلة » .

وترتبط عائلات البدو بوحدات اقليميه ، ويعتبرون أنفسهم جماعة سكنيه وتعيش تلك العائلات فى مساحه معينه ، وكل مساحه ترتبط بعائلته ، ومجموع تلك المساحات الاقليميه تكون مجتمعا يرتبط أعضاؤه وظيفيا مثل منطقه القصر التى تعيش فيها عدة عائلات تنتمى إلى عشائر مختلفه . ونادراً ما يتكلم البدوى عن عائلته باعتبارها متميزة عن المجتمع أو العشيرة التى تنتمى اليهـا عائلته ، والبدوى يتحدث عن مجتمعه المحلى وعن عائلته فى نفس الوقت فهو يقول مثلا « عائله شريف » أو أرض شريف فى نفس الوقت ، ذلك أن تماثل المجتمع يرتبط ببناء العائله ، فاصطلاح « الإقليميه » يرتبط مع إصطلاح « العائله » ، وتعبير « العائله » يندمج مع الاصطلاحات الاقليميه وهذا يجعل دراسه العائله مهمه جدا عند دراسه التنظيم السياسى للبدو .

والعائله البدويه لا تناظر الأسرة الحديثه ، فهى قسم قبلى يشتمل على عـدة أسر ، والعائله ذات الأجيال المتعددة فى العمق والتى ترجع إلى سلف مؤسس تنقسم عادة إلى فـروع (بيوت) وفى العائله العاصبه فى خط الذكور والتى يكون فيها السلف المؤسس له ولدان ، فكل منهما قد يصبح مؤسساً لفرع يتكون من المنحدرين منه فى خط الذكور ، وكلا الفرعان يتحدان فى حقيقه أن مؤسسيها كانا « أخوين » وكلما استمرت العائلة وإزدادت فى العدد تستمر عملية التفـريعات وتنتج فى النهاية فى تنظيم كبير ومعقد .

والعائلة المكونه من عشرة أجيال قد تتضمن اثنين أو أكثر من الفـروع

ذات الخمسة أجيال وواحد من تلك الأجيال قد يحتوى على اثنين أو أكثر من ثمانية وهكذا .... والعائلة من الأجيال المتعددة تتضمن الأحياء والموتى على السواء .

وجماعة العائلة قد تكون هى نفسها مكونة من جماعات أصغر (عائلات فرعية) وقد تكون هى نفسها جزء من جماعة أكثر امتدادا ومكونة من عائلات مرتبطة قرابيا .

والإختلاف البنائى بين تنظيم العشيرة وتنظيم العائلة يمكن معرفته بمقارنة الأصل بالعائلة . فالأصل يتضمن كل المنحدرين من الرجل . وفى نسق العشيرة ينتمى الرجل لكل من الأصول الثمانية للأزواج الثمانية من أجداد أجداده وكل المنحدرين من هؤلاء الأسلاف هم أقرباؤه . وفى نسق الانحدار فى خط الذكور ينتمى الرجل إلى عائلة تتضمن المنحدرين من سلف رجل واحد محسوبا فى خط الذكور فقط ، والأشخاص من عائلة أمه هم أقرباؤه ولكنهم لا ينتمون إلى العائلة .

ومبدأ البناء الإجتماعى الذى نهتم به هنا هو وحدة العائلة ، فهو علامة على النظام والطاعة ويحدد نسقا ممتدا من العلاقات القرابية . وكل نسق قرابى يمد كل شخص فى المجتمع بمجموعة من العلاقات الفردية ولذلك فهو يقف فى دائرة أضيق أو أوسع من أقربائه ، وخلال حياته فإن جماعة أقربائه تتغير دائما عن طريق الموتى والمواليد والزيجات (زواجه الخاص وزيجات أقاربه) (١) .

وكل مجتمع محلى يرتبط بعائلة ، وأعضاء تلك العائلة الذين يعيشون فى المجتمع

1 — Ibid, p. 39.

يندمجون مع أعضاء العائلات الأخرى ، كما أن كل أعضاء المجتمع يرتبطون بطريقة أو بأخرى بروابط القرابة .

وترتبط العائلات بروابط القرابة والمصاهرة . وقيم القرابة هى المشاعر والمعايير الأقوى فى مجتمع البدو ، وكل العلاقات الاجتماعية يعبر عنها فى روابط القرابة . كما أن العلاقات السياسية يعبر عنها بأنها علاقات العائلة فالبدوى يتحدث عن العائلة كما لو كانت مجتمعا محليا ، فالعائلة تعطى البدوى قيمة سكنية عامة ومكانة عاصبة فريدة ، وكل البدو فى التقسيم القبلى لهم علاقات قرابية — من أى نوع — مع بعضهم البعض .

والبيت هو أصغر وحدة ترابية فى المجتمع البدوى ، وهو عائلات أصغر عمقها خمسة أو ستة أجيال . ويعرف البيت باسم مؤسسه مثل البيوت التى تنقسم اليها عائلة العزايم كبيت زهويق وبيت أبو حوا وبيت شميت وبيت أبو طريدة وبيت أبو الأشقر .. الخ وكان نتاج المرعى أو الأراضى المزروعة والثروة الحيوانيه توزع على أفراد البيوت بالتساوى ، ولكن بعد إنفصال العائلات وظهور الأسر البسيطة قسمت تلك الأراضى بين الاخوة عن طريق القرعة ، وبذلك ظهر الانفصال الاقتصادى والاجتماعى ووزعت المساكن بين أفراد البيت الواحد طبقا لحجم أسرته الامر الذى أدى إلى عدم وجود التكتل السكنى القرابى الذى كان سائدا فيما مضى ، وأصبح الآباء والأبناء يقومون بزراعة أرضهم مع الاعتماد على أحد العمال أو عن طريق الزراعة بالمشاركة التى سبقت الاشارة اليها ، كما أصبح الابن أو الأخ يقوم الآن بزراعة أرضه بدون تدخل من الأب أو بقية أخوته بالتالى دون أن يكون لهم حقوق أو نصيب من محصولها ومن ناحية أخرى أصبح ليس للابن الحق الآن — وبالمثل لأبيه — فى استخدام أرض أبيه والانتفاع بها .

ومساكن أفراد البيت تتكتل فى مكان واحد من المنطقة التى يقيمون فيها ، بل وتوزيع المساكن داخل تلك المنطقة يعكس درجة القرابة . فكلما اقتربت درجة القرابة بين الأفراد تقاربت وتجاورت مساكنهم . ويعتبر هذا التكتل السكنى أحد مظاهر وحدة البيت وفى الوقت ذاته عاملا من عوامل تماسكه نتيجة للاقامة المشتركة من أثر فى تدعيم العلاقات القرابية .

والبدو الذين يعيشون فى نجوع فى الصحراء يقسم العمل بينهم حسب السن والجنس ، فالرجال يقومون بالزراعة والرعى والتنقل بالغنم فى الأسواق ونقل المواد التموينية للنجع ، أما البيع والشراء والسلطة فهى للشباب ، وأما النساء فيقمن بالعمل المنزلى .

وقد ظهر أخيرا شكل جديد للأسرة هى الأسرة البسيطة التى تتكون من الزوج وزوجته وأولادهما غير المتزوجين وذلك بسبب السكنى فى المدينة واضيق المساكن بالمدينة وازدحامها ، وازدياد فرص العمل للبدو ، وتميز تلك الفرص بالاستقرار عن حياة الصحراء التى يغلب عليها طابع المغامرة والاستسلام للبيئة .

ويعتبر ظهور هذا الشكل الأسرى الجديد من أهم نتائج التغير الإجتماعى الذى طرأ على البناء الإجتماعى للبدو فى مطروح .

والزوجة تتبع الزوج فى إقامته . وتتميز الأسرة البدوية بالتركيب والتعقيد. فكانت تسكن النجع ، والنجع هو المكان الذى ينزل فيه بيت من البيوت ويتكون من عدد من الخيوش يقل ويكثر حسب عدد رجال البيت ، وجميع الاخـــوة المتزوجين وأولادهم المتزوجين وغير المتزوجين يعيشون مع بعضهم فى نجع واحد ويشتركون في معيشة واحدة ، ذلك لأن الملكية جماعية والأرض ملك للجميع

دون تقسيم (١) .

وكل أفراد البيت يتعاونون فى العمل من أجل ما يكفى حاجة أفراد البيت كله فمعيشتهم ودخلهم واحد (٢)

نخلص من ذلك إلى أن لكل فرد فى الأسرة دور محدد يؤديه كذلك يرتبط كل منهم بعلاقات محددة مع غيره أساسها السن والجنس

ومن أهم ملامح التغير الإجتماعى للأسرة أنها كانت ـ قبل سكنى المدينة تقوم بوظائف عديدة ، فقد كانت وحدة اقتصادية تنتج ما تحتاجه للاستهلاك ، إلى جانب قيامها بالوظائف الإجتماعية وتربية الاطفال ورعايتهم ، كما أنها مازالت محتفظة بالقانون العرفى الذى تحل به منازعاتها (٣)

يفخر البدوى دائما بعدد ذريته ، وحجم النسب عامل فاصـــل فى الشئون السياسية والحربية فى المجتمع البدوى لانه يمنع الاعتداء بأنواعه المختلفة ولكل عشيرة خطيب لمدح المكاسب البطولية لاعضائها من خلال الاعمار .

ومن الصعب أن تكتسب هذه الإنجازات بدون عشيرة كبيرة العدد ، ولذا فان أهمية العدد فى الحصول على الشرف معروفة بوضوح . إذ يرى الرجل

---

١ ـ يقيم الزوج عند زواجه فى منطقة أهله وليس عند أهل زوجته .

٢ ـ قد يكون رئيس البيت متزوجا من عدة زوجات يعيش مع بعضهن وربما أيضاً بعض اخوته وابنه الأكبر .

٣ ـ فقدت الأسرة البدوية معظم وظائفها بسبب سكنى المدينة ، وأصبحت تعتمد الآن على السوق فى شراء ماتحتاجه ، كذلك فقدت بعض وظائفها السياسية وشاركتها فيها الدولة ، كما فقدت وظيفتها التعليمية بانشاء المدارس .

نفسه عادة كعضو فى علاقة وحدة أكبر من البيت الذى ينتمى إليه، هذا بالرغم من أن البيت الذى يعيش فيه هو الوحدة الإجتماعية والإقتصادية المؤثرة فى حياته اليومية إلا أنها لا تعطيه الشرف الكافى . فالرجل يستمد الفخر فى نطاق قبيلته فقط فى مناسبة كسب بارز لأحد زملائه ، وهنا الرؤساء يترابطون بسرعة مع تلك القبيلة على أعتبار أن من حقهم الذى لا يرفض المشاركة فى الشرف الذى ناله وهكذا ينتشر الشرف خلف حدود الجماعة به ، ومن هنا كان ميل الافراد إلى الاتصال بعضهم بوسيلة أو بأخرى أوالجماعه التى حصلت على الشرف ومن هنا أيضا ظهر الإتجاه إلى ازالة أى اعتبار للأجداد الغير مشهورين والأقل أهمية ، كما يزيلون أيضا الجزء الغير هام من العشيرة والذى لم يحصل على مكاسب عالية ، وهذه الاتجاهات توصل كلها إلى الالتباس عند محاولة رسم العلاقة القرابية فى أى عشيرة بدوية ومع هذا فهم يوضحون أهمية القرابة فى مجال الشرف (١)

وبعد ظهور الحيازات الفردية صغرت قطع الأرض المملوكة وأصبح أكثرها لا تكفى زراعته لكى تعول أسرة ، لذلك لجأ بعض البدو إلى بيع أراضيهم والإستقرار فى المدينة . ولا يبيع البدوى أرضه لفرد من خارج قبيلته بل عليه أن يلتزم بحدود القرابة فيعرضها أولا على أفراد بيته ، فان لم يرغب فى شرائها أحد منهم يعرضها على العائلة، وان لم يريدها أحد عرضها على أى فرد فى قبيلته. وقد يتزوج أبناء البدوى وينجبون أطفالا ، ولكن لا يجرؤ أحد منهم على المطالبه بنصيبه فى الارض، وبعد موته قد تظل الملكية تحت الاشراف للأخ الاكبر وقد تقسم بين الاخوة

---

1 — ABOU — ZEID, A·M, 'Honour and shame among the BEDOUINS of EGYPT," op. city, p, 251.

أما الأراضى الغير زراعية فملكيتها محددة فى بيوت معينة من القبائل، وكل بدوى يعرف مايخصه ، ولكنها مشاع لمن يرعى فيها على شرط ألا يقيم فيها باستمرار وأن يقيم فيها إقامة مستمرة لعدة شهور فيجب أن يستأذن أصحاب الأرض فى ذلك . (١)

وتقوم العلاقات بين الاسر لا على أساس القرابة وحدها وإنما على أساس المصلحة الإقتصادية . فقد صاحب هذا الاستقلال الإقتصادى ميل إلى تقسيم الملكية الجماعية حتى تحصل كل أسرة على ما يخصها من ملكية . وقد أثيرت حول عمليات التقسيم كثير من المشاكل والخلافات لعدم رغبة كبار السن وأصحاب السلطة فى تنفيذ هذه العمليات ، وترتب على ذلك لجوء الكثيرين من أصحاب الحقوق إلى المحكمة ، وبذلك خرجت الخلافات من نطاق العائلة والسلطة التقليدية إلى مراكز البوليس والمحكمة .

وكان لهذا الإنقسام والاستقلال الإقتصادى أثره على العلاقات العائلية بين الآباء والابناء وظهور المنازعات حول فكرة الإستقلال فى المعيشة والرغبة فى تقسيم الملكية . وتأثر مركز رئيس العائلة وصاحب السلطة الذى كان يحتل مكانة ومركزا كبيرة فى العائلة ويمثلها فى كل المناسبات وينوب عنها فى الوفاء بالتزاماتها فقد كان رمزا لوحدتها وتماسكها ، وضعف مركزه باستقلال الابناء بعد أن

---

١ - تعتبر حادثة الجراولة من أهم الأحداث التى وقعت فى السنين الأخيرة والتى شهدت صراعا بين قبائل بدو الصحراء الغربية على الأرض وتطورات هذا الصراع وجهود كل من السلطة المدنية والقانون لحل هذا الصراع قبل أن يستفحل أمره ويصبح صراعا قبليا .

أصبحوا قادرين على العمل والكسب بعيداً عنه . فأصبحوا هم مصدر الدخل يعتمد عليهم فى كثير من الأحيان بعد أن تفككت وحدة العائلة وأصبحت كل أسرة مسئولة عن حياتها ، وكان من الطبيعى أن تتأثر السلطة العائلية التى كان يمارسها رئيس العائلة نتيجة الاتجاه نحو التفكك المستمر لوحدة العائلة مما أدى إلى تأثر مركزه الإقتصادى فى الوقت الذى ظل محتفظا فيه بمركزه الاجتماعى .

ولكن تفكك وحدة البيت لم يؤدى إلى اختفاء دور العائلة ، فلا تزال العائلة قائمة فى الوجود تعبر عن وجودها كما ذكرنا فى كثير من المناسبات كوحدة متماسكة خاصة فى أيام الأزمات وأوقات الشدة ، كما يلتزم أعضاء العائلة بتقديم الهدايا فى مناسبات الزواج ، كذلك تعبر العائلة عن وحدتها وتماسكها فى مجالات النشاط السياسى والتنازع والصراع على السلطة والمراكز القياديه الجديدة .

من هذا نرى أن الظروف الإقتصادية للمجتمع ترتبط ارتباطا وثيقا بظروفه الإجتماعية فمؤثرات التنمية الاقتصادية والاجتماعية التى كان لها دور فعال فى تغير بعض النظم الإقتصادية قد أدت بدورها إلى تغيرات فى النظم القرابية فالعوامل التى تحدث التغير فى أحد النظم لا بد وأن تحدث بعض التغيرات فى النظم الأخرى لأن النموذج الذى يفسر النمو الإقتصادى لا بد وأن يأخذ فى الاعتبار النواحى الأخرى الغير اقتصادية ، ولكن ذلك لا يؤدى إلى اختفاء البناء التقليدى حيث يظل مرئيا لقدرته على الاستمرار فى الوجود .

حيازة الارض والميراث :

بالرغم من أن البدو يقررون أنهم يطبقون الشريعة الإسلامية فى الميراث ، إلا أنهم لا يورثون المرأة لاعتبارات عديدة تفرضها أنساق البناء الاجتماعى

السائدة ويؤيدها العرف والتقاليد . ولهذا فليس للاناث فى مجتمع بدو مطروح نصيب فى الملكية .

ومن أسباب عدم توريث المرأة فى ذلك المجتمع هو أن زواجها ينقل ملكيتها فيه لزوجها للاشراف عليه ، ولذلك فلو تزوجت المرأة من ابن عمها فسوف تنتقل ملكيتها إليه ومن هنا يعلو نصيب أبناء عمه أى أخوتها مما يثير الحقد والضغائن .

ونظراً لتعدد الزوجات فى المجتمع البدوى وكثرة الأطفال لذا كانت حيازة الأرض للذكور فقط حتى لاتتفتت الملكية وتتفرق ، لأن المجتمع البدوى يقوم على العصبية وسيادة الرجل .

فاذا تزوجت المرأة بعد وفاة زوجها أو بعد طلاقها فان ذلك سيؤدى إلى مشاكل عديدة لو كان لها ميراث وملكية معينة لان ذلك الزواج الجديد يستلزم نقل ملكيتها للزوج الجديد .

كذلك الأرض الصحراوية الشاسعة التى يسكنها البدو ولا تصلح جميعها للزراعة بل ان مايصلح منها لزراعة جزء صغير بالنسبة للمساحة الكلية ؛ ومن هنا كانت الصالحة للزراعة ملكية نادرة لابد أن تحتفظ بها الوحدة القرابية وأن تظل فى نظامها خاصة وأن هذه الأرض الزراعية كانت تمثل مصدرا أساسيا للطعام .

لهذه الأسباب كانت حيازة الأرض الزراعية فى أيدى الرجال فقط ، وقد يلجأ أبناء المتوفى الى العمدة لكى يقسم الأرض بينهم بالتساوى ، ثم بعد ذلك تظل الأرض تحت اشراف الأخ الأكبر أو يشرف كل أخ على نصيبه حسب

اتفاق الأخوة . (١) .

وليس معنى ذلك أن المرأة البدوية لا تستفيد من ثروة أبيها أو تحرم منها نهائيا بعد وفاته ، بل ان ما يحدث لها أنها لا ترث وراثة عينية أى لا ترث أرضا أو منزلا ، ولكن عند وفاة الأب يصبح لزاما على الأخ أن يرضى اخوانه البنات وذلك باعطاء كل منهن مبلغا من المال . (٢) .

وعادة لا تطلب المرأة حقها من الميراث حفاظا على أواصر القرابة ومها كانت ثروة أهلهـــا وذلك لاحتياج المرأة الدائم لأخيها وعصبيتها ، فهى غير دائمة فى زواجها ولذلك فأهلها — وبخاصة الذكور منهم هم ملجأها فى حالة طلاقها أو وفاة زوجها .

وعلى الرغم من حق البدوى فى التصرف فى نصيبه فى ملكية الأرض سواء كانت ملكية للبيت أو للعائلة ، فلم يحـــدث أن يبيع البدوى نصيبه وخاصة لغريب لأنه من العار أن يبيع الأرض التى ورثها عن أجداده ، فالاحتفاظ بأرض الأجداد هو احتفاظ بملكيه البيت والعائلة وعدم تشتيتها ووحدتها . صحيح أن للفرد الحق فى التصرف فى نصيبه من الملكيه ، ولكنه ليس حقا مطلقا لأنه لا يستطيع التصرف فيه طبقا لارادته الخاصة .

---

١ - إذا كان الشخص متزوجا وبلغ سنا معقولا يعتبر فيهـــا متحملا لأى مسئولية فهو يشرف بنفسه على أملاكه لو أراد ، بينما لو كان الابن مازال صغيرا فيجب على الأخ الكبير أن يشرف له على أملاكه حتى يكبر .

٢ - هذا المبلغ لا يحدده عرف أو قانون بل هو متروك لتقدير الأخ نفسه حسب أملاك أبيه وتعداد الأسرة ورغبته الشخصيه .

وبعض العاملين فى المدن من البدو الذين يحتم عليهم الاستقرار فى المدينة والاقامه الدائمه بها لم يبيعوا أراضيهم بل ويحرصون على الاحتفاظ بها ، ويعرفون بدقه أنصبتهم من ملكيه البيت والعائلة والبدنة ومواقعها فى النجوع وذلك عـــلى الرغم من استقرارهم هم وأسرهم فى المدن .

فلنظام حيازة الارض اذن فى المجتمع البدوى دور هام ورئيسى فى المحافظه على وحدة الجماعات القرابيه وتماسكها . والحيازه هى النقطه المركزيه أو المحور الأساسى الذى يدور حوله نسق القرابه لدى بدو مطروح ، بالاضافه الى أنها تضفى على العلاقات القرابيه العاصبه الجانب الاقتصادى الذى كان له دور رئيسى فى تقويه وتدعيم هذه العلاقات وبالتالى تدعيم تماسك الجماعات القرابيه ، وعلى هذا كانت جماعه البيت أكثر تماسكا من جماعه العائلة ، والعائله أكثر تمـــاسكا من البدنه الرئيسيه ، لأن جماعه البيت كانت فى الأغلب جماعه نجعيه أو احدى أقسام هذه الجماعه ، وحق البدوى فى استخدام الأرض والانتفاع بها يعمل على المحافظه على تماسك الجماعه وتضامنها ويدعمها .

وسأعرض هنا لأربعه أمثلة من (العائلات) الرئيسيه التى تقيم بمطروح اثنتان منها يتبعان عشيرة الصناقرة (قبيلة على الأبيض) وهما عائلة الأفراد وعائلة العزايم وواحدة تتبع عشيرة المشيبات (قبيله على الأحمر) وهى عائله معفص ثم سأعرض لعائلة موسى السحفاوى التى تتبع قبيلة الجميعات الفرعية (من قبائل المرابطين) وذلك بهدف تأكيد التناظر بين التوزيعات الاقليمية وبين التقسيمات القرابية وانعكاس الجينالوجية القبليه (شجرة النسب) بكل دقائقها فى التوزيعات الاقليميه ، وقد أخترت تلك الأمثله من عائلات تتبع عشائر وقبائل مختلفة ، فاثنتان منها تتبع قبيلة على الأبيض ، وواحدة انقسام لقبيلة على

الأمر ، والمثال الأخير لعائلة قبائل المرابطين :

القبيلة فى مجتمع مطروح عامة نسق انقسامى يقوم على أساس أيكولوجى حيث لكل بدنة من البدنات الاقليم والمراعى والمصادر الاقتصادية الخاصة بأفراد البدنة دون غيرهم من البدنات ويميز كل قسم من تلك الأقسام التى تنقسم اليها العائلة بدرجة كبيرة من الاستقلال دون أن يمنعه ذلك من أن يلتحم مع غيره من الأقسام ليكون الوحدة القرابية الكبيرة التى تتألف منه ومن عدد من الاقسام الأخرى المماثلة له وهذه الخاصية التى تعرف بالانشقاق والالتحام أهم خاصية تتميز بها البدنة الانقسامية وتتضح على وجه الخصوص فى المواقف السياسية التى تعكس ديناميكية البدنة الانقسامية حيث يحتفظ كل قسم من أقسام البدنة باستقلاله الخاص فى مواقف سياسية معينة واندماجه مع ما يماثله من الأقسام التى تنتمى جميعها إلى بدنة معينة فى وحدة متكاملة ومتماسكة وفى مواقف سياسية أخرى مما أدى إلى تدخل عواقل البدنة عواقل البدنة لفض النزاع وحدث أكثر من محضر اتفاق بينهما وفى موقف آخر يوضح مبدأ الالتحام لأقسام البدنة هو اتحاد بدنة الأفراد مع غيرها من البدنات الأخرى التابعة لعشيرة الصناقرة (على أبيض) لانجاح مرشح البدنة (وهو فى الوقت نفسه مرشح القبيلة) فى انتخابات الاتحاد الاشتراكى .

وعملية الانقسام لاتتم داخل إطار ثابت وعلى فترات محددة ومرسومة أو كل بضعة أجيال وإنما هى إطار متغير غير ثابت يعكس تغير الأقسام القبلية المستمر خلال الزمن والتفاعل القائم بينها الذى يسفر فى النهاية عن تغيرات هامة تترك آثاراً على البناء القبلى بسبب ظهور بعض الأقسام عن طريق الانفصال عن القبيلة

واحتواء قسم لقسم آخر نتيجة للاقامة الدائمة المستمرة فى النجع الواحد وللزواج بين أفرادها وازدياد نمو البيت وتعرضه للانقسام واتخاذه شكل القبيلة وتسميته بالاسم المباشر لمؤسسه كما هو الحال بالنسبة للقبيلة مما يوحى بأنه قبيلة مستقلة تساعد على ضعف العلاقات بين أفراد البيوت التى تتألف منها البدنة .

ومثال الأقسام التى انفصلت عن القبيلة الفرعية عائلة الكميلات وعائلة المشيبات وعائلة القناشات ، وتلك العائلات الثلاثة انفصلت عن القبيلة واستقرت بقطع محددة من الأرض ، وأصبحت تعرف كل قطعة باسم مؤسسها مثل أرض المشيبات بالقصر وأرض الكميلات وأرض القناشات ، بل إن بعض أقسام العائلات نفسها قد انفصلت عنها وأصبح كل قسم يستقل بقطعة محددة من الأرض داخل أرض العائلة مثل اللزومات والزغرات والدويلات ومعفص وكلها انقسام جينالوجى لعائلة المشيبات ، وهناك بعض العائلات التى تزايدت الآن فى العدد مثل عائلة الأفراد التى أصبح يطلق عليها الآن « قبيلة الأفراد » بالرغم من أنها فرع لعشيرة الصناقرة والأخيرة انقسام جينالوجى لقبيلة على الأبيض والعلاقات بين وحدات القبيلة أو العائلة متغيرة كلما ازداد عمق العائلة والقسم القبلى الذى يعتبر وحدة متمايزة للبدنة يفقد وحدته وظهوره كقسم قبلى لاحتواء قسم آخر له واندماجه خلال الزمن فى حين لايتعرض قسم آخر لهذه العملية وإنما يستمر كوحدة .

أما الآن فلم تصبح مصالح الفرد مرتبطة بالقبيلة التى ينتمى اليها وإنما ترتبط ارتباطاوثيقا بمجتمعه المحلى . ففقدت القبيلة وظائفها الهامة فى تحقيق هذه المصالح والمحافظة عليها وحمايتها . ومصالح الفرد أصبحت مرتبطة بعضويته فى المجتمع المحلى كما أصبحت الشخصية محددة لاتجاه العلاقات بين الأفراد . وأصبح لدى

الفرد الرغبة الشديدة فى المزيد من الربح والكسب بحيث لاتكون لاعتبارات القرابة أثر فى الحد من رغبته إذا تعارضت علاقاته القرابية معها .

ولكن على الرغم من تحديد المصلحة الذاتية للفرد لاتجاه علاقته مع الآخرين وعدم ارتباط مصالحه بالقبيلة مما أدى إلى أن ينال الضعف من علاقته بأقاربه ، وعلى الرغم من أن الأسرة أصبحت الوحدة القرابية الأساسية وهى التى تتكون من الزوج والزوجة وأولادهما غير المتزوجين فما يزال بناء القبيلة محتفظا ببعض خصائصه الجوهرية .

المثال الأول : حيازه الارض عند عائلة الافراد :

تقع أرض عائلة الأفراد بالقرب من ساحل البحر الابيض المتوسط بمطروح يحدها شرقا أرض بيت العمدة فرج زهويق شرق السكة الحديد ، وجامع سيدى العوام غربا حتى وادى الخروبة المتاخمة لحدود أرض بدنة المشيبات (على الأحمر) ويحدها شمالا البحر الأبيض ، ويحدها جنوبا جبل خروبة على حدود عائلة المجارمة (صناقرة من فرع عشيرة على الابيض) وقد أصبح معظم هذه الأراضى وخاصة الحد الغربى ملكا للدولة وأقيمت عليها المبانى الحكومية (١).

وكانت عائلة الأفراد تقوم بتحصيل الجمارك عن صيد الاسفنج من المراكب الأجنبية قبل مجيىء سلاح الحدود إلى مطروح نظرا لقرب أراضيهم من ساحل البحر والميناء . والأفراد ينتسبون إلى قبيلة الصناقرة وصنقر هذا من عشيرة على الابيض ، تزوج أربعة زوجات ، وأنجب من الزوجات الثلاثة الأولى ثلاثة

---

١ ـ أنظر الملحق رقم (٣) الذى يوضح حدود أرض الافراد والملحق رقم (٤) الذى يوضح بيوتهم وأراضيهم .

أبناء هم : منصور وجبريل ونغاش ولم يكن للأبناء الثلاثة أخوة أو أخوات ولهذا سموا فرادى .

وقد جاء الجيل الأول من الفرادى إلى مطروح من مدينة الشحات على الطريق بين بنغازى ودرنه فى ليبيا منذ مئات السنين بسبب الحروب التى نشبت بين القبائل الليبية فى بنغازى وامتلكوا الأرض القريبة من الميناء بوضع اليد .أما الجيل الثانى من ذرية الفرادى فقد حدث نزاع بينهم على الأرض وتحصيل الجمارك فانقسموا إلى : علوانى وهو من ذرية جبريل ، وابراهيم وهو من ذرية منصور والخودى وهو من ذرية نغاش ، فترك الخودى مطروح واستوطن بربوط بينما ظل الشقيقان الآخران علوانى وابراهيم بمطروح وقسما الارض بينهما فاختص علوانى بالارض الزراعية جهة الميناء حتى شريط السكة الحديد واختص ابراهيم بالأرض فى المسافة من الملاحات شرقا حتى حدود سملا غربا، وكان يفصل بين العائلتين عائلة العبيدى (من بدنة العزايم) كما كانت تفصل بين كل عيلة علامات من الحجارة ولا زالت حدود الأرض بين العائلتين قائمة إلى يومنا هذا ، كما اختص علوانى بتحصيل جمارك الاسفنج ، واختص ابراهيم بتحصيل جمارك الملح . ثم اختفى هذا الوضع بمجيىء سلاح الحدود إلى المنطقة فى أوائل هذا القرن وقيامه بتحصيل الجمارك من سفن الصيد . (١)

---

١ ـ عندما توجهت عائلة علوانى لتحصيل جمركه الاسفنج من سفن صيد الاسفنج الأجنبيه فى أوائل هذا القرن رفض قباطنة السفن دفع الضريبة بعدمجيىء سلاح الحدود وقيامه بالتحصيل وقالوا لهم . كان زمان ياعلوانى وافندينا كان زمان بدوينا وصارت تلك العبارتين مثلا للآن.

ويقيم الأفراد الآن بعزبتهم فى مطروح والتى انقسمت إلى ثلاثة أقسام : القسم الغربى حتى سيدى العوام ويقيم به بيت عطيوة ، والقسم الشرقى حتى شريط السكة الحديد ويوجد به بيت ختال ، والقسم الأوسط بينهما لبيت عبد الله.

وقد حدثت منازعات كثيرة على الأرض داخل حدود العزبة وبين بيوتها الثلاثة بل لقد حدثت أيضا منازعات داخل البيت الواحد على حدود الأرض بين كل أسرة .

ولعائلة الافراد حق النزالة ، كما قد تعطى الأرض كمنحة لأى غريب يعطيها له صاحب الارض لاستغلالها فقط والانتفاع بها إذ ليس من حق الغريب أن يبيع الأرض التى منحت له ، وتكون المنحة بمرمى أردب ، والمنحة لاترد مرة أخرى ولاتهدى ، كما أنها تورث للأبناء ، وقد تكون المنحة أيضا أرضا زراعية أو أرض مرعى أو أرض حدائق أو مواشى وغيرها.

والعائلة المرابطه مع عائلة الأفراد هى عائلة الصراحنة التى دخلت فى نظام الخاواة الذى سبق شرحه مع عائلة الأفراد لحمايتها .

وعمدة عائلة الأفراد الحالى هو العمدة عبد الفتاح عطيوة من بيت عطيوة وهو فى نفس الوقت يتولى وظيفة « شيخ البدنة » ، أما العواقل فلكل بيت عقل أو أكثر .

وبعد اختيار العواقل يجتمعون معا لاختيار العمدة من بين أفراد العائلة كلها وكذلك يختارون شيخ العائلة ثم تخطر الجهات الرسمية لتعيين العمدة والشيخ رسمياً .

المثال الثانى : حيازة الارض وعائلة العزايم :

تقع أرض عائلة العزايم ابتداء من ساحل البحر الأبيض بمطروح يحدها غربا بدنه الافراد ويتجه جنوبا إلى عمق حوالى ٣٠ كيلو مترا بمجاورة لبدنه المغاورة (صنافرة - على أبيض) وتحدها شرقا بدنه العوامه (صنافرة - على أبيض) المحاذيه اسملا .

وبيوت عائلة العزايم هى : بيت العبيدى - بيت أبو وزيرة - بيت أبو بسيسه بيت أبو حوا - بيت أبو صبون ، بيت أبو رجيمه - بيت سلام . وهى سبعه بيوت كبرت الآن حتى أصبح يطلق على كل بيت منها « عائله » وتفرعت العائلات السبع فروعا كثيرة أطلق على كل فرع منها « بيت » فعائلة العبيدى وحدها تفرعت عنها ستة بيوت هى « بيت زهويق » بيت أبو شليم ، بيت أبو طليم ، بيت أبو طربنة ، بيت أبو الأشقر ، بيت أبو شميت .

وعمدة عائلة العزايم الحالى هو العمدة فرج داود زهويق الشاب بالوراثة عن أبيه المريض حاليا العمدة داود زهويق ، أما شيخ العزايم الحالى هو الشيخ عبدالجليل عمر يونس وهو من بيت أبو طليم .

وأرض العزايم أرض زراعية يزرعون فيها الشعير والزيتون والتين ، كما أن بالأرض بعض المراعى التى ترعى عليها الأغنام والماعز وملكية الأراضى عند العزايم ملكية جماعية وملكية فردية معا فالعائلة تمتلك أرضا ، وداخل العائلة تنقسم إلى بيوت لكل بيت أرضه ، وداخل البيت الواحد تنقسم الأرض بين الأبناء الذكور فقط فالعائلة بهذا المعنى عائلة انقسامية. وأغلب العزايم مزارعون ورعاة والبعض القليل منهم يشتغل بالتجارة فى مطروح . وتعتبر سنة ١٩٠٤ لدى البدو هى سنة الاستقرار وتقسيم الأرض بينهم ويطلق عليها اسم «سنة الحوز»

فى هذه السنة قسمت الأرض بين القبائل ووضعت علامات من الحجر بين كل قبيلة وأخرى ، ثم تلى ذلك أن كل قبيلة قسمت الأرض بين الوحدات التى تنقسم إليها نتيجة لازدياد عدد أفراد القبيلة فبعد أن كان العدد حوالى ٦٠ للبدنة الواحدة عام ١٩٠٤ أصبح عدد أفراد العائلة الآن حوالى ٣٠٠٠ فرد تقريبا . ونتيجة للاستقرار فى الأرض تحول نظام الملكية الجماعى بالتدريج إلى ملكية فردية داخل كل بيت على حدة ثم ملكية فردية لكل فرد داخل كل بيت . وهنا حدثت منازعات كثيرة داخل كل بيت وبين أفراد البيت الواحد كانوا يلجأون فيها إلى القانون العرفى لتسويتها وطبقا لدرايتهم وبواسطة عواقل كل بيت ، وقد يلجأون إلى حلف اليمين إذا لم يتفقوا على التسوية وتحديد الحدود . (١)

المثال الثالث حيازة الارض وعائلة العشيبات :

تقع أرض عائلة العشيبات فى القصر ، تحدها شرقا عائلة الأفراد فى مدينة مطروح وميناء مطروح ، وتحدها غربا عائلة عميرة (على أبيض) فى أم الرخم والحد القبلى عائلة الصريحات والكميلات (على أحمر) . وقد انقسمت عائلة العشيبات إلى حوالى ١١ عائلة كبيرة هى مصطفى فى برانى ، وأبو جراحة فى برانى ، واليوسفة فى النجيلة وبن حليم فى سيدى برانى ، وصفير فى برانى . أما القصر فيقيم به عائلات اللزومات ومعفس ، والعبس ، والزغرات ، وشريف ، والعوينات . وكل تلك العائلات من ذرية أبو عشيبة (على أحمر) . (٢)

---

١ - أنظر الملاحق الخاصة بالإنحدار الجينالوجى لعائلة العزايم (بيت زهويق ملحق رقم (٩) .

٢ - أطلق على العشيبات فلاحون ، لتركزهم بجوار مصادر المياه وقيامهم بالزراعة واستقرارهم بدلا من التنقل المستمر .

وأول من استوطن القصر عبد القوى أبو محجوبة العشيبى ، وسميت المنطقة بالقصر لأنه بنى فيها مبنى يشبه القصر ، ومن ذرية أبو محجوبة عائلات أربعة هى الزغرات ومعفس واللزومات والعبس (١)

ويقوم العشيبيون بالزراعة على مياه الأمطار والآبار الرومانية وتربية الماشية على العشب . وقد قسمت الأرض بين القبائل عام ١٩٠٤ فى سنة الحوز وأصبحت كل قبيلة تختص بمنطقة معينة ومساحة محددة من الأرض ، ونتيجة لزيادة عدد أفراد كل قبيلة ، وبسبب الاستقرار بجوار الأرض تحولت الملكية بالتدريج من نظام الملكية الجماعية إلى نظام الملكية الفردية ، وحدث نزاع بين أفراد البيوت المختلفة على ملكية الأراضى كانوا يلجأون فيه إلى القانون العرفى لحل تلك المنازعات .

ويحوز الأرض فى القصر مع عائلة العشيبات بدنة أخرى هى عائلة القواسم من قبيلة المرابطين ، جميعات ، واشتروا أرضا من عائلات العشيبات ، وقسمت الأرض بين عائلة العشيبات وبين العائلات الأخرى المجاورة لها بحدود معترف بها بين جميع الأفراد ومثبته فى أوراق عرفية وموقعا عليها من عواقل العائلات كشهود وكذلك من عواقل عائلات أخرى محايدة غير مالكة للأرض المتنازع عليها .

والعشيبات يزرعون الأرض مثل طريقة الفلاحين بوادى النيل ويخزنون المحاصيل فى مطامير على شكل هرمى ويسلم نصف المحصول للجمعية التعاونية التابعة لهيئة تعمير الصحارى لبيعه لصالح المنتفعين . ويقوم البدو بالزراعة

---

١ - أنظر الملحق رقم (١٠) الخاص بالإنحدار الجينالوجى للعشيبات بالقصر .

بالمشاركة إذ يسمح للبدو الآخرين من مناطق أخرى بالزراعة فى أرض العشيبيات بالقصر فى سنوات نزول المطر فى مقابل السماح للعشيبات بالزراعه فى الأراضى الأخرى المملوكه للبدو الذين سبق أن زرعوا فى أرض العشيبيات فى السنوات الممطرة وذلك إذا لم تسقط الامطار أو سنوات الجدب . (١)

وتعيش الأسرة العشيبية مع بعضها ، وتقوم بالزراعة مع بعضها ، وكان من النادر أن تحدث خلافات بين أفراد الأسرة الواحدة على الزراعة ، وإذا حدثت تلك الخلافات يقوم عواقل البيوت بفضها ويرضى بحكمهم الأطراف المتنازعون وإذا أراد اخوة الأسرة تقسيم الارض بعد وفاة الأب كان كل أخ يستأذن أخيه فى تلك القسمة (٢) .

ويفضل العشيبيون الزواج من نفس العائلة ، وزواج أولاد العمومة هو المفضل عندهم ، ولكن حدثت زيجات كثيرة وبخاصة فى السنوات الأخيرة من خارج العائلة ومن عائلات أخرى .

وقد عرف العشيبيون نظام الخاواة ، وقبائل المرابطين التى دخلت معهم فى هذا النظام هم : المعابدة والرخيات (قطعان) والقواسم (جميعات) وكان نظام الخاواة يقضى على المتبوع أن يأخذ من التابع جزية فى مقابل حمايته ، ولكن تلك الجزية اختفت الآن ومنذ حوالى ١٦ سنة تقريبا .

---

١ - يحدث كثيراً أن يسقط المطر فى منطقة صحراوية ويمتنع عن منطقة أخرى فى نفس الوقت الزمنى . لهذا عرف البدو نظاما للتعاون يتم بمقتضاه الزراعه المتبادلة نظرا لظروف البيئة وقسوتها وقلة المطر .

٢ - يقول البدو: ان كل أخ يطلب الخلا من أخيه أي يستأذنه فى قسمة الارض

ومعظم أراضى القصر امتلكها البدو بوضع اليد ، وهم يرفضون بيع أراضيهم حتى ولو كانوا فقراء ، ويقول البدو أنهم لو كانوا يعلمون أن الارض ستأخذها منهم الحكومة لكانوا هاجروا إلى وادى النيل ولا يفكرون فى زراعة الأرض .

وتعتبر الحيازة القبلية التقليدية للاراضى فى منطقة القصر أهم مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية لسكان المنطقة . وهذا النظام ينبع من ماضى التاريخ الاجتماعى للقبائل وتحكمه عاداتهم وتقاليدهم وأفكارهم التى جبلوا عليها أى أن هذا النظام يرتكز على العادات والتقاليد ولا يعتمد على قوانين الحكومة والحدود القبلية الجماعية للاراضى وحدود الحيازات الفردية بداخلها معروفة جيدا للجميع ، ونادرا ما يتم تسجيلها فى أى سجل قانونى للاراضى أو يتم توضيحها على خرائط مساحية .

ويعتز العشيبيون حتى الآن بنسبهم وأصلهم البدوى اعتزازا كبيرا وهم يعتقدون أن نسبهم إلى قبائل أولاد على يعطيهم التفوق والاصل عن بقية القبائل الأخرى من المرابطين . (١)

المثال الرابع : حيازة الارض وقبيلة الجميعات :

قبيلة الجميعات أحدى قبائل المرابطين ، وأراضيها بمطروح متفرقة ومبعثرة ومنتشرة بين أراضى قبائل أولاد على فى مطروح والقصر حيث توجد عائلة محمد

---

١ - ويرددون دائما أشعاراً بهذا المعنى فهم يقولون : على الابيض هو (عمود) البيت اللى فى الشتاء مسكينته (لايقع) . والسفينة نزالة (أخذوا الارض الكبيرة) الطرف...وضيف الخلا ماشبعيته (لايشبع)..وعلى الاحمر هم نقرة (بركة) الدم وكل خايف يبجى فى حميته (حماه) .

السويطية التى تتوسط أرض العشيبيات بالقصر ، وأم الرخسم وأبو لهو وسيدى حنيش وعلم الروم وغيرها . وقبائل المرابطين كانت قبائل تابعة ضعيفة ولهذا لجأت إلى قبائل أولاد على القوية لحمايتها من اعتداءات قبيلة أبو هندى التى كان أفرادها يقومون بالاعتداء على قبائل المرابطين والتنكيل بهم (١) .

لهذا السبب ولضعفهم انضم كل جزء من قبائل المرابطين إلى قبائل أولاد على لحمايتهم فجزء يتبع على الأبيض ، وجزء آخر يتبع على الأحمر ، وجزء ثالث يتبع السنة فى نظام المخاواة الذى سبق شرحه . ونظام المخاواة ليس فيه قرابة دموية وإنما هو نوع من التحالف بين القبائل القوية والقبائل الضعيفة تقوم فيه الأولى بحماية الضعيفة وأن تجعلها تزرع وترعى فى أراضيها فى مقابل جزية تسمى صدقة تلتزم بمقتضاها القبيلة المرابطة بدفع هذه الجزية أو الصدقة لقبائل السعادى التى ترتبط بها وتقيم على أرضها .

ولا يوجد اليوم أى قبيلة من قبائل المرابطين تدفع جزية أو تؤدى خدمات لقبائل السعادى . ولكنه بالرغم من ذلك نجد أن العلاقات التى كانت موجودة فى الماضى مازالت تؤثر على سلوك أفراد القبائل من كلا الجانبين وأكثر من ذلك نجد أن كثيرا من قبائل المرابطين إلى هذا اليوم لاتملك أرضا ، فقد عاشوا يرعون أغنامهم ويزرعون بعض الشعير لأجيال طويلة فى أراضى قبائل السعادى ولكن لم يسمح لهم قط بأن يزرعو أشجارا أو يستصلحوا أى أراضى إلا إذا قاموا بشرائها من قبائل السعادى التى تحوز تلك الأراضى بوضع اليد .

---

١ ـ وقالت الجميعات شعرافى ذلك سلملك شاب فات جريت (جزيرة كريت) وجاه متسايب البوهندى (أبو هندى) مخلى نايب (نصيب) .. حتى الشوخة (المشيخة) . خادها منا .

وبالرغم من أن ملكية قبائل السعادى للأرض لاتستند إلى قانون وضعى نجد أنهم ليسوا أكثر من مجموعة من الناس تمتلك بوضع اليد أراضى مملوكة للدولة إلا أنه لايجوز أن يقوم مرابط أو أى غريب بشراء الأرض من الحكومة أو ينتفع بها دون موافقة وتعويض القبيلة المالكة (١) .

إلا أنه ليس المقصود من ذلك أن يفهم بأن كل قبائل المرابطين لاتحوز أية أراضى فنجد أن قبائل المرابطين الكبيرة مثل قبائل الجميعات والقطعان يمتلكون أراضى خاصة بهم ، وتعترف قبائل السعادى بهذا الحق لأن هذه الأراضى تمتلكها قبائل المرابطين نتيجة المشاركة فى الحرب جنبا إلى جنب مع أولاد على ضد القبائل الأخرى .

وتنقسم قبيلة الجميعات إلى عائلات قاسم وموسى وشتور ، وجميعها من ذرية باجوش المرابط (٢) .

وباجوش هذا هو عبد القوى البجوشى زعيم الجميعات ، ويربطه بقبائل أولاد على مودة قديمة ومساعدات مشتركة فى حروب السعادى ضد الهنادى بالبحيرة ومن بيوت موسى بيت دخيل وبيت بوشيبه وبيت كريم وبيت حمد .

---

١ ـ ولذلك عندما أعلنت الحكومة القانون ١٢٤ لسنة ١٩٥٨ بشأن ملكيه الأراضى الصحراوية تقدم بعض رجال قبائل المرابطين وآخرون بطلبات تمليك لقطع من الأرض بغرض أصلاحها إلا أنهم قبل أن يقوموا بإبرام عقودهم كان عليهم أن يصلوا إلى تسوية سلمية نقدية مع الملاك العرفيين من القبائل.

٢ ـ أنظر الملحق رقم (١١) الخاص بقبيلة الجميعات ـ عائلة موسى (بيت السحفاقى) .

على أية حال لابد من توافر عاملين لاستقرار الجماعات البشرية : سند نباتي وحيواني يوفر لها الطمأنينة ثم امكانية استغلال هذا النبات والحيوان لصالحها .

ونظام الانتساب فى المجتمعات التقليدية ، وكذلك الحقـــوق والواجبات والالتزامات المرتبطة بالقرابة الأبوية ترتبط بدرجة كبيرة باستعمال الأرض وزراعتها والمشاركة فى العمـــل التعاونى كتنظيف الأرض عند بداية الموسم الزراعى (١) .

وعلاقات العائلة تعتبر ـ فى حد ذاتها ـ من أهم عوامل تماسك الجماعة فعلاقات البدنة لا يمكن التخلص منها أو التبرؤ منها ، والتبعثر الإقليمى لأفراد العائلة ، لايقطع علاقة الفرد بالأفراد الآخرين من عائلته (٢) .

ومن ناحية أخرى فان ميل العائلات للارتباط بمناطق اقليمية يعتبر من أهم عوامل التماسك بين أعضاء العائلة الواحـدة بالرغم من تفرق أو تبعثر أفراد العائلة للاقامة فى مناطق اقليمية أخرى ، وآية ذلك أن المجتمعات الإقليمية هذه التى ترتبط باسم عائلة معينة تعتبر أرض الاجداد وموطن أرواحهم التى لازالت تقطن هذه العائله .

ولقد نظر ايفانز بريتشارد إلى البدنة على أنها جزء أساسى منشطر من العشيرة وأن العشيرة هى المصدر الأول للبناء الجينالوجى حيث تنقسم العشيرة ذاتها بنائيا إلى عـدد من الأجزاء القرابية هى البدنات ، بمعنى أن العشيرة هى

1 – FORDE, D., " Doubl Descent among the JAKO, in AFRICAN system of kinship and marriage." op. cit, p. 307.

2 – FORTES, M., " The dynamics of kinship among the TALLENSI. LONDON. 1945. p.p. 204—205.

نسق من البدنات والبـدنه هى جزء جينالوجى منشطر عن العشيرة ، وهنـاك بدنات كبرى أساسيه وبدنات صغرى فرعيه ، وبذلك تزداد المسافة البنائيه أو تقصر طبقا لزيادة المسافه بين البدنات والعشائر (١) .

وتبدو الوحدة التعاونيه الكامله للبدنه واضحه من حيث أن أعضاءها الذكور يقابل الواحد منهم الآخر كل يوم ، ومن جهه أخرى فان رابطه القرابه العاصبه لكل أفـراد البدنه الذكور منهم والاناث تجعلهم بمثابه الرفاق بعضهم للبعض الآخر حيث أن احتـكاكات الفرد ومقابلاته تتحدد بصورة رئيسيه مع أقاربه العاصبين وبصورة تامه مع الرجال فى نفس الانحـدار الابوى ، وحيث يقدم بعضهم للبعض الآخر المساعدة والعون فى العمليات الاقتصاديه ، وهذا الارتباط ليس نتيجه لعلاقات الدم فحسب ولـكن تلعب الاقامه المشتركه والمصالح العامه لكل أفراد البدنة دورا كبيرا فى المحافظة على وحـــدة الجماعة المحلية ، وغالبا ما يقوم الصراع داخـل البدنة الواحدة ، غير أن فكرة القرابة والمساواة بين أعضاء البدنة الواحدة ومبدأ تمثيل البدنة له فاعلية القضاء على مثل هذه المواقف (٢)

يتضح لنا من هذا الفصل أهمية الدور الذى يلعبه نسق القرابة فى نظام حيازة الأرض لدى بدو مطروح ، فالعلاقات بين أعضاء الوحدات القرابية تقوم على القرابة العاصبة وعامل الموطن .

وهذا المجتمع يتكون من قبائل لها القدرة على الاستمرار فى البقاء بالرغم من فناء الاعضاء المكونين لها ، وتلك القبائل لها مدلول سياسى أكثر من كونها معنى قرابى .

1 — EVANS—PRITCHARD, "The NUER." op. cit. p. 192.

2 — FORTES, M. op. cit, p.p. 244 —255.

ويشيع نظام البدنة (العائلة) فى ذلك المجتمع ، فالعائلة نسق انقسامى يقوم على أساس ايكولوجى حيث لكل بدنة اقليمها ومراعيها ومصادرها الاقتصادية والاقليم الذى تقطنه تلك البدنات يتميز ببناء منقسم إلى وحـــدات اقليمية تتناظر مع الانقسام القرابى بحيث تنعكس الجينالوجية القبلية بكل دقائقها فى التوزع الإقليمى .

وخاصية الانشقاق والالتحام أهم خاصية تتميز بهـا العائلة الانقساميه وتتضح على وجه الخصوص فى المواقف السياسية التى تعكس دينا ميكية البدنة الانقسامية بحيث يحتفظ كل قسم من أقسام البدنه باستقلاله الخاص فى مواقف سياسيه معينه واندماجه مع ما يماثله من الأقسام التى تنتمى جميعها إلى بدنه معينه فى وحدة متكامله ومتماسكة فى مواقف سياسيه أخرى . وعلى هـذا الأساس كان لمفهوم العائلة الانقساميه ناحيته السياسيه التى تميزه عن غيره من العائلات فالبدنه الانقساميه وحدة اقليميه وسياسيه بقدر ما هى وحدة قرابيه .

وعمليه الانقسام لاتتم داخل اطار ثابت جامد وعلى فترات محددة أو مرسومه وإنما هو اطار متغير غير ثابت يعكس تغير الأقسام القبليه المستمر خلال الزمن .

وقد أدى الانتقال من منطقه لأخرى والاقامه الدائمه فيها إلى ظهور جماعات قرابيه تنمو وتكبر لتصبح عائله مستقله ومنفصله عن الجماعه القرابيه الاصليه وتحمل اسم مؤسسها المباشر .

وفى الوقت الذى تنمو فيه القبيله بظهور أجيال جديدة يحدث ادماج لعدد من الأجيال المتعاقبه فى جيل واحد وهى الأجيال التى تنتمى اليها البيوت .

وتقسيمات البدو الداخليه كالعائله والبيت ليست واضحه كل الوضوح بل هى متداخله يشوبها الخلط والغموض .

وقد لعبت الظروف البيئيه أثرا كبيرا فى تشكيل الجماعات البدويه وتوزيعها وتأكيد النسب الأبوى وانتقال حيازة الأرض فى خط الذكور .

ولما كانت العائله نسق انقسامى ، لذا نجد أن أصغر الأقسام الجينالوجيه للعائله هى أكبرها فى تماسكها وتضامنها .

وقد ساعد مبدأ النسب الأحادى فى خط الذكور فى معرفه العلاقات القرابيه للبدو واعطائها نسقا فعالا من التماسك الاجتماعى الذى يتطلب حشد البدو فى جماعات متمايزة .

وكل مجتمع محلى يرتبط بعائلة ، كما أن كل أعضاء المجتمع يرتبطون ـ بطريقة أو بأخرى بنسق القرابة وروابط المصاهرة .

وهناك نوعان من الحيازات ، حيازة جماعية تتركز فى أرض البدنة أو العائلة أو البيت ، وحيازة فردية للبدوى داخـل أرض البيت أو العائلة ، وذلك بسبب ظهور المصلحة الاقتصادية إلى جانب العلاقات القرابية .

ولقد أدت الظروف الإقتصادية للمجتمع وما صاحبها من تغير إلى تغيرات فى النظم القرابية ، فالعوامل التى تحدث التغير فى أحـــد النظم لابد وأن تحدث بعض التغيرات فى النظم الأخرى .

فنسق القرابة اذن شبكة من العلاقات الاجتماعية تشكل جـزء من الشبكة الاجمالية للعلاقات الإجتماعية، وحقوق وواجبات الأقارب تجاه بعضهم البعض تكون جزء هاما من هذا النسق .

الخـاتمة

تناولت الدراسة « نظام حيازة الأرض لدى بدو مطروح وعلاقته بالنظم الاجتماعية الأخرى ، وكان تحليلي لهذا النظام قائما على أساس علاقته بالأنساق الاجتماعية الأخرى للمجتمع البدوى ، والنظر إلى المجتمع كوحدة وظيفة متكاملة كما أنى اخترت نظام الحيازة كنقطة مركزية يمكن عن طريقها فهم المجتمع بكل نظمه وبالتالى تحليل الحياة الاجتماعية من زاوية حيازة الأرض فى هذا المجتمع القبلى .

وليس ثمة شك فى أن مثل هذه الدراسة على جانب كبير من الصعوبة وتحتاج إلى كثير من التعمق فى التحليل والفهم وإلى كثير من الجهد لتتبع العلاقات المتبادلة ولكنها إلى جانب ذلك تقتضى شيئاً آخر وهو أن يقوم الباحث بدراسته فى أغلب الأحوال فى مجتمع محلى صغير حتى تستطيع أن يتعرف على تلك العلاقات المعقدة فى تشعبها وتماسكها .

ولقد اخترت بجتمع مطروح حتى يمكن التعرف على تلك العلاقات ووجود مثل هذا المجتمع المحلى شرط أساسى لاتباع « المدخل البنائى » الذى يتطلب تتبع العلاقات والنظم والانساق فى تداخلها وتفاعلها .

والفرض العلمى الذى وضعته فى مقدمة البحث هو :

« إن التوزيع الاقليمى لدى بدو مطروح يرتبط ارتباطا قويا بتقسيماتهم القرابية بحيث يشير أى توزيع لمساحات من الأرض إلى علاقة قرابية » .

وقد حاولت تحقيق هذا الفرض مستخدما فى ذلك المنهج البنائى الوظيفى الذى يتصور البناء الاجتماعى للمجتمع ككل متماسك من أجزاء متساندة تساندا وظيفيا ومتداخلة ومتفاعلة ، وهذا التساند الوظيفى يقتضى من الباحث حين يعرض لدراسة أى جزء من تلك الأجزاء المكونة أن يتعرف على العلاقات

المتبادلة بينه وبين بقية المكونات ، وبالتالى يدرس الوظيفة الاجتماعية التى يؤديها هذا الجزء فى الكل الذى يدخل فى تكوينه.

ويمكن أن نتبين هذا كله فى ضوء ما درسناه فى النقاط التالية :

١ ـ من خلال استعراض النظم المختلفة للحيازة فى المجتمعات أمكن التعرف على معنى الحيازة عند البدو فهم يعرفونها بأنها وضع يد على مساحة معينة من الارض الصحراوية عن طريق السبق فى الوصول اليها وزراعتها وعمل علامات وجعل الحيازة ظاهرة وواضحة بدون غموض ولا إخفاء .

ومن الصعب أن نتكلم عن نظام واحد لحيازة الارض ونزعم أنه يمثل الشكل السائد للملكية فى كل المجتمعات ، إذ الواقع أن ثمة نظما كثيرة مختلفة ومعقدة إلى أبعد حدود التعقيد نظرا لارتباطها الوثيق بالأبنية الاجتماعية المختلفة التى توجد فى هذه المجتمعات .

وترجع حقوق الحيازة إلى حقين رئيسيين ، أولهما دوام الحيازة بمعنى بقائها ما بقيت الأرض وعدم فنائها بفناء أصحابها،وثانيهما حرية التصرف فى استغلال الأرض أو وقفها أو تأجيرها أى الحق فى استغلالها بأية صورة من الصور . كذلك فان العوامل المحددة لأسس الحيازة تتعلق بالنظم الاجتماعية للمجتمعات

٢ ـ للظروف الايكولوجية دخل كبير فى نظام حيازة الارض ، فقد أدت تلك الظروف إلى وجود نظم اقتصادية معينة ترتكز على التضامن القبلى ، وقد خضعت إقتصاديات البدو لتلك الظروف التى حددت لهم تحركاتهم السنوية وراء الماء والمرعى ، تلك التحركات التى تعتبر أقصى نوع من التوافق مع الحياة والطبيعة القاسية . وقد أدت تلك الظروف إلى تقسيم البدو إلى جماعات قبلية لكل منها بقعة من الأرض داخل الاقليم الواحد ، وأصبح هذا هو نمط الحياة

والبناء الأساسى المجتمع البدوى .

٣ ـ الملامح الرئيسية لأراضى البدو من وجود تربة صحراوية وأراضى زراعية محددة تتركز على طول الساحل الشمالى الغربى ، تلك الملامح تتفاعل مع بعضها وتكون نسقا بيئيا يشكل حياة البدو مباشره ويؤثر فى بنائها الاجتماعى ، وبالرغم من أن البدو يعرفون إقتصادا مختلطا رعويا وزراعيا فإن أرضهم أكثر مناسبة لرعى الماشية عن الزراعة ، ولهذا فإن الإنحياز البيئى يتطابق مع انحياز إتجاهاتهم ولا يشجع على أى تغيير لمصلحة الزراعة،فسيطرة القيمة الرعوية على القيمة الزراعية يرتبط بالعلاقات الايكولوجية التى تناسب رعى الماشية عن الزراعة .

٤ ـ يؤكد توزيع المساكن داخل العائلة الواحدة أن هناك تلازم بين التوزيع الاقليمى والتقسيمات القرابية ، وكلما قربت علاقات القرابة بين تلك البيوت كلما تقاربت مساكنهم ، كذلك فإن البعد البنائى بين كل قسم من أقسام البدنة وبقية الأقسام أقل اتساعا وأكثر تقاربا عن البعد البنائى بينه وبين القبائل الأخرى .

٥ ـ ظهور نظم جديدة للحيازة نتيجة لمشروعات التوطين لم تكن معروفة من قبل وتقوم هذه النظم على أساس الحقوق الفردية بدلا من الحقوق الجماعية واستغلال الأرض عن طريق تأجيرها ، ومنح الارض كهدية للانتفاع بها فقط.

٦ ـ يخضع إقتصاد مجتمع البدو لنظام المشاركة والحيازه القبلية للاراضى مما أعاق كثيرا من مشروعات التوطين التى يرى فيها البدو بديلا مطلقا لحياتهم وبالرغم من أن البدو يعرفون أنهم لا يملكون الارض رسميا ، إلا أنهم لازالوا يدافعون عن حدود المساحة التى ارتبطت بها بدنتهم دائما ويمنعون البدنات الأخرى من الانتفاع بتلك المساحة .

٧ ـ لعبت العوامل الايكولوجية أثرا كبيراً فى تشكيل الجماعات البدوية

وتوزيعها وتأكيد النسب الأبوى وانتقال حيازة الأرض فى خط الذكور ، وكل مجتمع محلى يرتبط ببدنة ، كما أن كل أعضاء المجتمع يرتبطون - بطريقة أو بأخرى بنسق القرابة وروابط المصاهرة .

٨ - تتضح خاصية الإنشقاق والإلتحام - وهى أهم خاصية تتميز بها العائلة الانقسامية - على وجه الخصوص فى المواقف السياسية التى تعكس ديناميكية العائلة الانقسامية بحيث يحتفظ كل قسم من أقسام العائلة باستقلاله الخاص فى مواقف سياسية معينة واندماجه مع مايماثله من الأقسام الأخرى التى تنتمى جميعا إلى عائلة معينة فى وحدة متكاملة ومتماسكة فى مواقف سياسية أخرى. وعلى هذا الأساس كان لمفهوم العائلة الانقسامية ناحيته السياسية التى تميزه عن غيره من العائلات ، فالعائلة الانقسامية وحدة اقليمية واقتصادية وسياسية بقدر ما هى وحدة قرابية . والاقليم الذى تقطنه تلك العائلات يتميز ببناء منقسم الى وحدات اقليمية تتناظر مع الانقسام القرابى بحيث تنعكس الجينالوجيه القبلية بكل خصائصها فى التوزيع الاقليمى.

وعلى الرغم من الضغط الذى نال العلاقات القرابية بسبب ظهور نظام الملكية الفردية إلا أن العلاقات بين أقسام القبيلة لاتزال تحمل بعض خصائصها، ولاتزال القبيلة ككل تنظم علاقاتها بالقبائل الأخرى فى مختلف المواقف الإجتماعية فى إطار هذه العلاقات القائمة بين الأقسام القبلية . فلم يؤد تفكك العائلة إلى أن يضعف من شعور البدوى بأنه عضو فى جماعة البدنة التى كانت تؤلف وحدة اقليمية قرابية أو أنه عضو فى جماعة البيت النجعية .

٩ - يقوم القانون العرفى البدوى بحل جميع المشاكل المتعلقة بحيازة الأرض وتخريب أملاك الغير واتلاف المزروعات وغيرها وينص القانون على أن لكل

عشيرة من قبائل أولاد على أراضيها الخاصة بها تسكن بها دون أن يقيم معها غريب ، ولا يستطيع أى غريب عن المنطقة أن يقوم بشراء الأرض أو استغلالها دون موافقة صاحب الأرض . ومن أهم أسباب تضامن البدنة المصالح الإقتصادية المشتركة فى الأرض والتى يعتبر كل فرد من أفراد البدنة بمثابة الوارث لها وهذه المصلحة المشتركة فى الأرض والتى يعتبر كل فرد من أفراد البدنة مساندا لها بما تفرضه العلاقات الوثيقة التى تربط أفراد البدنة بعضهم ببعض، والمجتمع البدوى حرص على أن يضع ضوابط لتنظيم حيازة الأرض وفض المنازعات التى قد تنشب بين البدنات على الأرض .

١٠ - أدى ضعف سلطة القانون الوضعى والتنظيم الإدارى فى مجال الضبط الاجتماعى بسبب العزلة الجغرافية وخاصة خارج المدن إلى صعوبة تغيير النظام الجديد لحيازة الأرض طبقا لتلك القوانين ، بل ان نظام الحيازة نفسه لايزال يمارس من خلال التنظيم القبلى ، كما تلعب المسافة البنائية دورا فى الإسراع بفض منازعات الأرض ولقبول الترضية والصلح ، فكلما كانت المسافة البنائية ضيقة كلما زاد الميل للصلح الذى ينهى النزاع .

ومن كل ما سبق إذن يتضح صحة الفرض العلمى الذى وضعته فى مقدمة هذا البحث .

ولكننى إذا كنت قد تحققت من صحة الفرض العلمى الذى وضعته فى مقدمة دراستى . وإذا كانت دراستى قد انحصرت فى دراسة ذلك الفرض والتحقق من صحته فى مجتمع محلى ، إلا أن هذا لا يعنى بالطبع إستحالة القيام بدراسات مقارنة وبالتالى لايعنى استحالة الوصول إلى تعميمات كلية أو إلى قوانين .

إلا أن دراستى إقتصرت على مجتمع محدد بالذات توصلت فيها إلى تحقيق الفرض العلمى عن طريق دراسته فى إطار النظم الإجتماعية الأخرى لذلك المجتمع ولن يمكن مطلقا إطلاق أية تعميمات صادقة ودقيقة عن المجتمع البشرى إلا بعد أن تتوافر بأيدينا دراسات عن الأبنية المختلفة لمختلف أنواع المجتمعات يضاف إلى ذلك أنه من الخطأ من وجهة النظر البنائية - القيام بمثل هذه المقارنات بالاعتماد على معلومات جزئية يكتفى فيها الباحث بمقارنة السمات الثقافية فعلا أو بعض الإحصائيات المستمدة من المجتمعات فى العالم فالمدخل البنائى يستوجب دراسة أى نظام من النظم أولا ضمن البناء الاجتماعى الكلى الذى ينتمى إليه حتى يمكن فهم وظيفته بدقة ، ثم ينتقل الباحث بعد ذلك إلى مقارنة هذا النظام فى البناء الاجتماعى الخاص بذلك المجتمع بالنظم المماثلة فى المجتمعات ذات الأبنية الاجتماعية المتشابهة أيضا قبل أن ينتقل إلى مقارنته بالنظم المشابهة فى المجتمعات التى تختلف فى بنائها

كذلك حاولت الدراسة دراسة ديناميات التغير فى ذلك المجتمع فالمدخل البنائى يحتم على الباحث أن يهتم بالتغيرات التى طرأت على النظم والأنساق وبالتالى على البناء الإجتماعى الكلى ؛ بل وحتى فى الحالات التى يقتصر فيها على دراسة التغيرات التى طرأت على نظام واحد مثل نظام حيازة الأرض فلابد من أن يدرس ذلك فى ضوء البناء الاجتماعى التقليدى من ناحية والبناء الإجتماعى الجديد من الناحية الأخرى .

والمدخل البنائى يحتم أن نأخذ فى الإعتبار حين نخطط فى ميدان من الميادين كل النتائج والآثار المتوقع حدوثها فى بقية تلك الميادين . فلا يكفى مثلا أن نهتم بمدى نجاح مشروع كمشروع توطين البدو فى صحراء مطروح من الناحية الإقتصادية أو التكنولوجية ، بل لابد من أن ندرس أثر ذلك على المجتمع

التقليدى وعلى الحياة التقليدية ، ونوع التغيرات التى سوف تطرأ على تفاعلات الناس بعضهم ببعض من ناحية وعلاقاتهم بالمجتمع القومى الكبير من الناحية الأخرى .

والمدخل البنائى ، لا يزال يعتبر المدخل الأكثر صعوبة ، كما أنه المدخل الذى يتيح فهم أى نظام اجتماعى ، ليس فى ذاته وإنما فى علاقته بالمجتمع ككل (١)

---

١ - دكتور أحمد أبوزيد : « البناء الاجتماعى ، المفهومات ، المرجع السابق ص ٣١٥ .

١ - باللغة العـــربية

١ - دكتور أحمد أبو زيد :

أ - « الأنثربولوجيا والقانون » المجلة الجنائية القومية المجلد العاشر ١٩٦٥ .

ب - « البناء الإجتماعى » . الجزء الأول . المفهومات ١٩٧١ .

ج - البناء الإجتماعى . الجزء الثانى - الأنساق .

د - الطريقة الأنثربولوجية لدراسة المجتمع . مجـــلة كلية الآداب . المجلد العاشر ١٩٥٦ .

هـ - العقوبة فى القانون البدائى . المجلة الجنائية القومية المجلد العاشر ١٩٦٧

و - دراسات أنثربولوجية فى المجتمع الليبى - مطبعة دار نشر الثقافة ١٩٦٢

ز - دراسات فى الفولكلور سنة ١٩٧٢ .

ح - « تايلور » . دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٧ .

ط - « قابيل وهابيل » قصة الصراع بين البداوة والحضارة فى العالم العربى . مجلة معهد البحوث والدراسات العربية . العدد الأول . مارس سنة ١٩٦٩

٢ - دكتور أحمد الخشاب :

أ - الضبط الإجتماعى ، أسسه النظرية وتطبيقاته العملية الطبعة الثانية ١٩٦٨

ب - دراسات أنثربولوجية وإثنوجرافية . مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٥٩

٣ - الجامعة العربية : « رعاية البدو وتحضيرهم وتوطينهم » ١٩٦٥ الجزء الأول

٤ - الجهاز التنفيذى للمشروعات الصحراوية : « مشروعات التنمية بالساحل الشمالى الغربى مايو ١٩٧٢

٥ - الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء : تعداد عام ١٩٦٦ بالعينة

٢ - باللغة الأجنبية

1. ABOU—ZEID, A.M. "The Nomadic and the semi Nomadic tribal populations of the Egyptian desert and the Syrian desert." Bulleten of the faculty of arts Vol XVII. 1963. Alexandria University press. 1964.

2. BARNES, E H., 'Sociology." N.Y. 1952.

3. BARTH, F, "Nomads of South persia' O.U.P. 1961

4. BEATTIE, J., 'Other cultures' The free press, N.Y. 1964.

5. BEALS, R.L. and HOJJER, 'An introduction to Anthropology.' 1966.

6. BERGER, 'The Arab world.' Doubleday and Co. N.Y. 1964.

7. BLACKSTONE, Commentaries on the laws of England. 1966.

8. BOHANAN, P., 'Social Anthropology.' CHUBB, L.T., 'Ibo-land tenure.' Ibadan unversity press. 1961.

9. DALTON, 'Economic theory and primitive society.' LONDON. 1952.

10. DICKOON, H.R.P., 'The Arab of the desert.' LONDON. GEORGE ALLEN and union, L.T.D. 1967.

11. DICXON, R.A., 'Economic institutions and cultural change' 1941.

12. DURKHEIM. 'The division of labour in society.' G. Simpson LONDON. 1964.

13. EVANS-PRITCHARD, E. E. and FORTES, M, 'African political systems O.U.P, 55.

14. EVANS-PRITCHARD, E,E., 'Kinship and marraige among the Nuer.' O.U.P. 51.

'The Nuer.' O.U.P. LONDON. 1949.

'The Sanusi of Cyrenaica.' O.U.P. 1949

15. Encyclopaedia of the social sciences.

16. FARBR, B, «Kinship and family organization.» N.Y 1966.

17. FIRTH, R, «Elements of social organization.» 1951.

«Primitive economics of the New Zeland Maori. 1929.

18. FORDE, D., «Double descent among the jako, in African systems of Kinship and marraige.

«Primitive economy». In shapiro, man culture and society. O.U.P. LONDON. 1960.

19. FORTES, M., «The dynamics of Kinship among the Tallensi, LONDON. 1945.

20. FREEMAN and RAUP, H., «Essentials of Geography.» N.Y. 1956.

— FRIED «Land tenure,» *geography and ecology in the* contact of culture.» *Reprint series in the social sciences* A - 73.

21. GLUCKMAN, M, Order and rebellion in tribal African, LONDON.

— GLUCKMAN, "African land tenure." *Reprrint* series in the social sciences. A. 85.

22. HAGEN, E., "On the theory of social change." LONDON. 1964

23. HERSKOVITS, MELVILLE, J., "Economic Anthropology." N.Y. 1952.

24. HOEBEL, E.A., "The law of primitive man." Harvard. U.P. 1954.

25. International encyclopedia of the social sciences. David L. Sills editor, The macmillan company and the free press. 1968.

26. JACOBS and STERN, "General Anthropology.," 1964.

27. KESSING, F. M., 'Social Anthropol ogy." O.U. P. LONDON 1963.

— Land holding and land wage among the plateau Tonga of mazabuka district. O.U.P. 1948.

28. LOWIE, R.H., "Primitive society." Routledge, LONDON, 1944.

— Land |Tenure in Uganda. "Puplished by authority." 1957.

29. MAINE, H.S., "Ancient law " Routledge. LONDON. 1897.

30. MALINOWSKI, B., "Crime and custom in a savage society' LONDON. 1940.

31. MEEK, C.K., "Land law and custom in the colonics.' O.U.P. 1949

32. MORGAN, L.H., "Ancient society.' Chicago.

33. MURDOCK, G., "Social structure.' Macmillan, N.Y, 1949.

34. MURPHEY R., "An introduction to geography.' Chicago. 1964.

35. NADEL, S.R. 'The foundations of social anthropology.' 1953. COHEN, S. West.

36 Notes and queries on Anthropology six edition. Routledge and Kegan paul. L.T.D. LONDON. 1960.

— PETERS, D.U., 'Land usage in sereuje district.' O.U.P, 1950

37. PIDDINGTON, R., 'An introduction to social Anthropology.' LONDON, 1952.

38. RADCLIFF-BROWN, A.R., 'Introduction to African system of kinship and marraige, O.U.P. 1955.
Structure and function in primitive society' 1956. Cohen and west L.T D.

39. RICHARDS, A. I., 'Land labour and diet in northern Rohodesia' O U.P. 1951.

40. RIVERS, 'Social organization.' LONDON. Kegan. 1926.

41. ROSS, E.A., 'Social control' A survey on the foundations of order N,Y, 1920

42. SHAPIRO, T.S., 'Handbook of Tswana law and custom', O.U.P. LONDON. 1955.

43. SMITH, T.L., Social cohesion and social control. In Rouck J.S. LONDON. 1962.

44. The statesman's year-Book, Edited by J. Paxton. Macmillan st, Martin's press 1972.

45. WABNER, P., The human use of the earth. LONDON, 1964.

البحر المتوسط

شمال

خليج السلوم

السلوم

سيدي براني

زاوية شماس

بقبق

رأس علم الروم

رأس الحكمة

الضبعة

خليج العرب

بئر الخالد

بئر الحلقة

بئر الحمام

منخفض القطارة

الجمهورية العربية الليبية

خريطة الجزء الشمالي الغربي لمحافظة مطروح

خطوط ارتفاعية

طرق رئيسية

مدقات

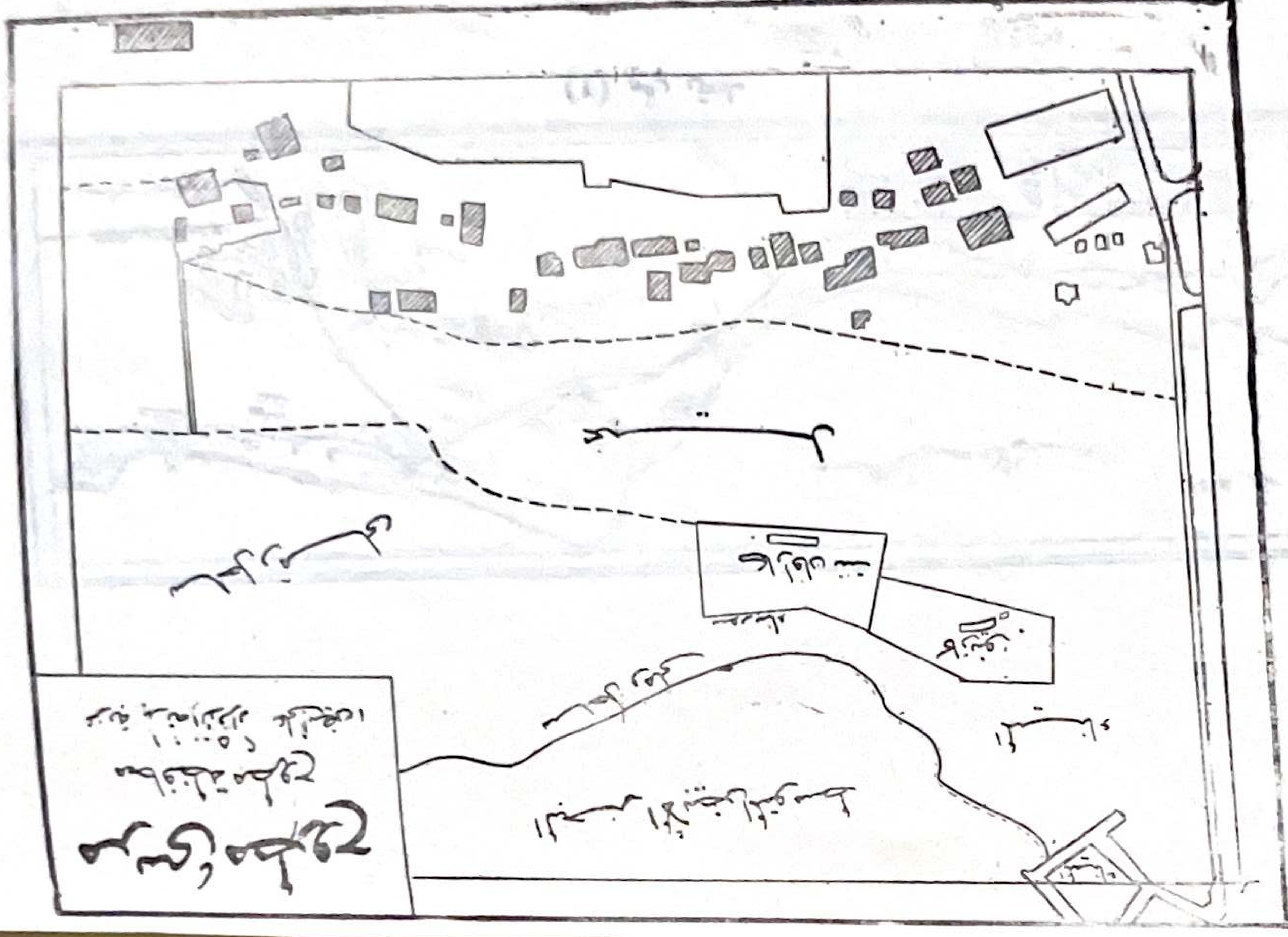
مقياس الرسم

ملحق رقم (1)

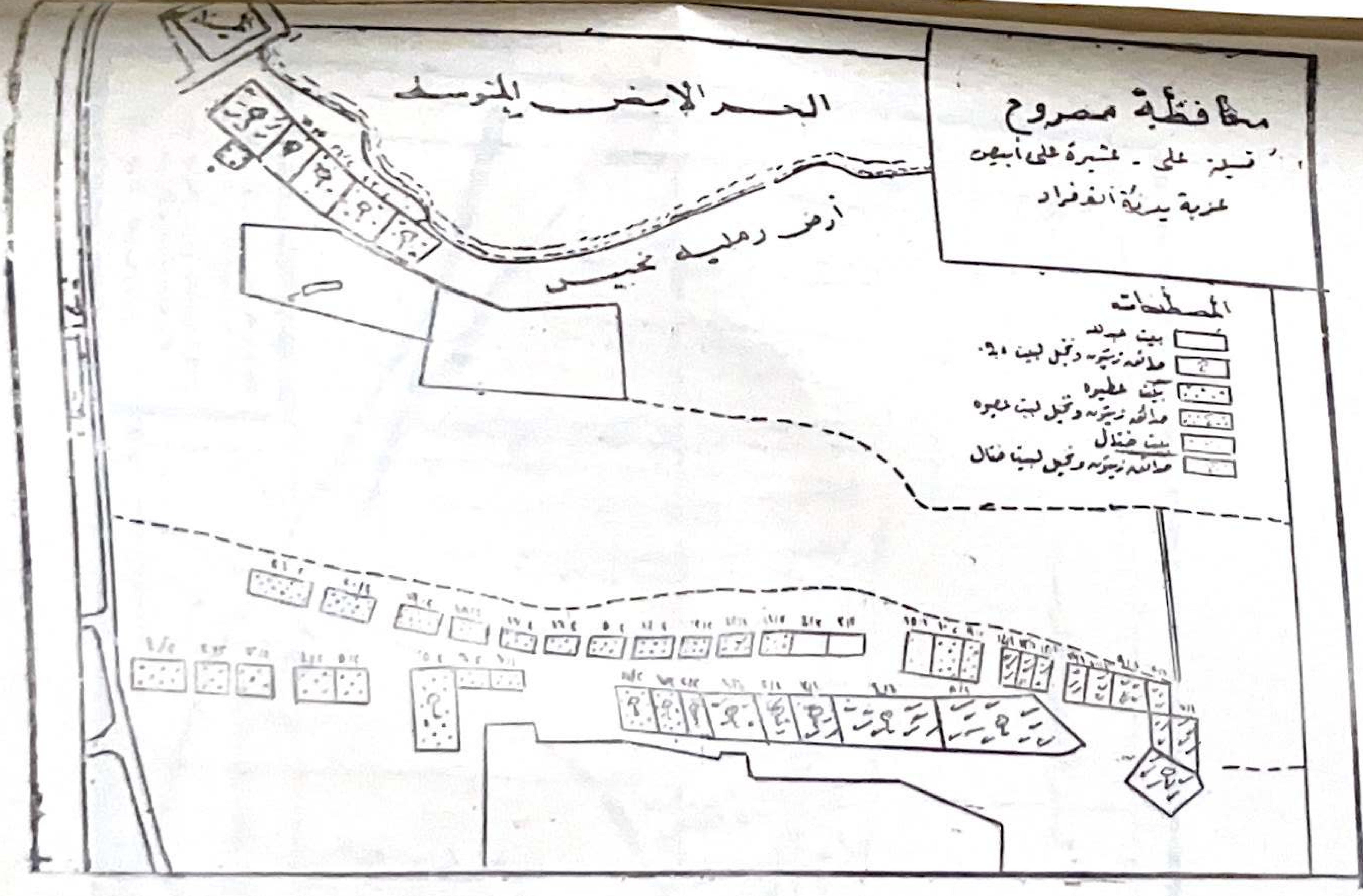
البحر الأبيض المتوسط

محافظة مطروح

ملحق رقم (٢)



ملحق رقم (٣)



ملحق رقم (٤)

البحر الأبيض المتوسط

عشيبات الزرمات

عشيبات الزرمات

القناشات علي احرة

عائلة حسين العاصي

عشيبات دويلوت

عشيبات المزغوات

عشيبات معفنس

ملحق رقم (٥)

ملحق رقم

قبيلة علي

عشيرة علي الأبيض . صباقرة

برنة عائلة الأفراد

بيت ختال

ملحق رقم (٦)

ملحق رقم

قبيلة علي

عشيرة علي الأبيض . صباقرة

الأفراد

(بيت عطيو)

ملحق رقم (٧)

ملحق رقم

قبيلة علي

عشيرة علي الأبيض . صنافرة

بدنة . عائلة الأفراد

بيت عبدالله .

سنجر

جبريل

عبدالقادر

عبدالله

علواني

عبدالله

عبدالرازق

راجعة

جاب الله

عائدة

عبدالخير

عبدالله

فاطمة

كاملة

عبدالهادي

عبدالرحمن

منال

عبدالسلام

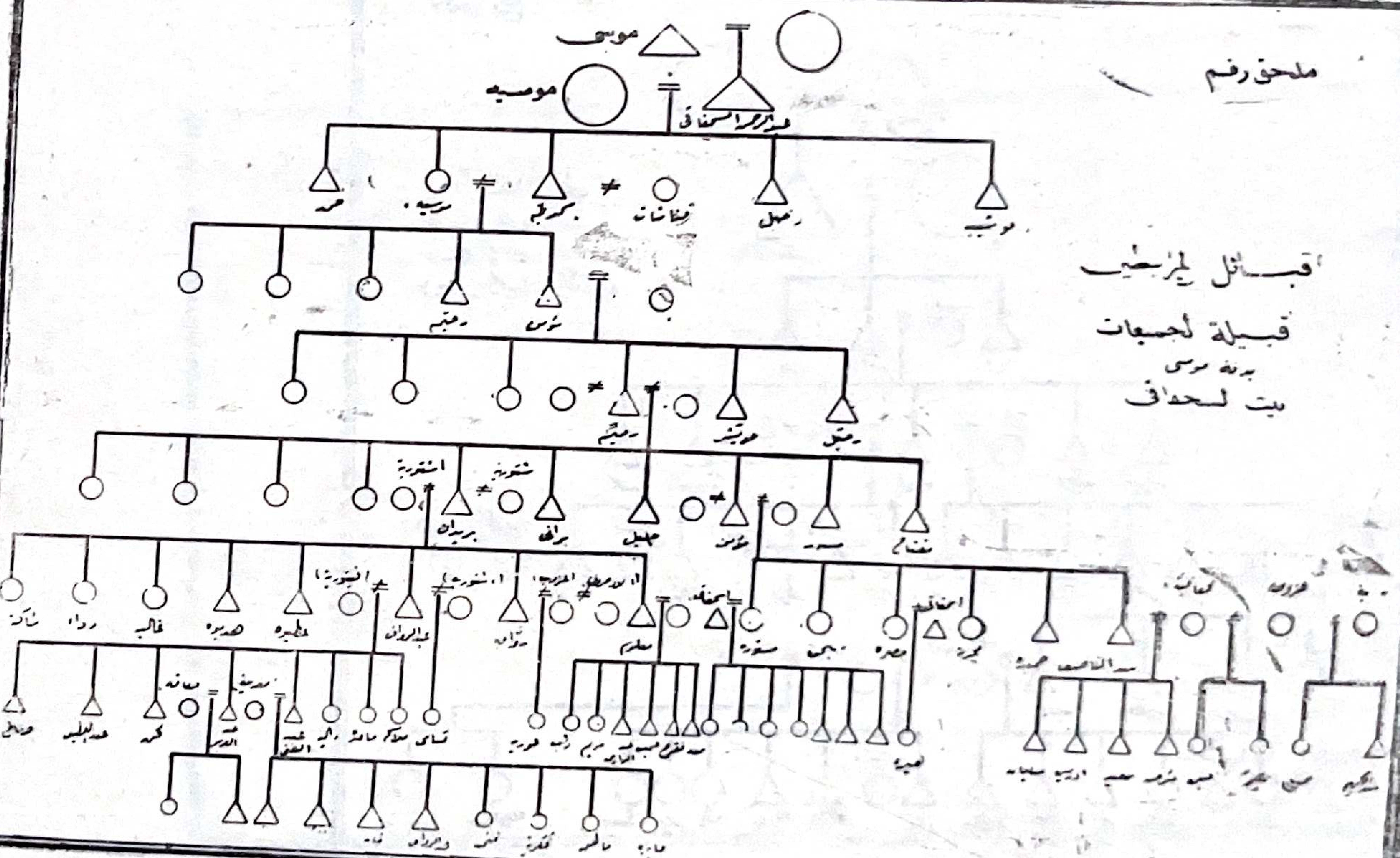
ملحق رقم (٨)

ملحق رقم (٩)

ملحق رقم

قبيلة علي
عشيرة علي أحمد
بدنة الشيبات
(بيت أبو محجوبة . بالقصر)

ملحق رقم (١٠)



ملحق رقم (١١)



رقم الايداع ٧٩/٣٩٤٣
الرقم الدولى ٩٧٧-٠٢-١-١٨٤٦-[illegible]
[illegible]